الكتاب: كتاب الفتوح
المؤلف: أحمد بن أعثم الكوفي
الجزء: ١
الوفاة: ٣١٤
المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة
تحقيق: علي شيري (ماجستر في التاريخ الإسلامي)
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤١١
المطبعة: دار الأضواء
الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع
ردمك:
ملاحظات: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع ص ب ٤٠ / ٢٥ غبيري - أو ٦٦٤١ / ١١٣ الحمرا . / تلكس ٢٣٧١٧ بيدر أو ٢٣٤٠٧ هادي - بيروت - لبنان

كتاب الفتوح

(١)

جميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١١ ه - ١٩٩١ م
دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع
ص ب ٢٥ / ٤٠ غبيري - أو ٦٦٤١ / ١١٣ الحمراء تلكس ٢٣٧١٧ بيدر أو ٢٣٤٠٧ هادي - بيروت - لبنان

كتاب الفتوح
للعلامة أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي
المتوفى نحو سنة ٣١٤ ه / ٩٢٦ م)
تحقيق
على شيري
ماجستير في التاريخ الاسلامي
الجزء الأول
دار الأضواء

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.
قال الشيخ الإمام العالم العلامة لوط أحمد بن محمد بن أعثم (١) الكوفي عفا الله عنه:
الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفى قام بالأمر بعده الإمام أبو بكر الصديق رضي الله
عنه، وكان قد بويع له بالخلافة في اليوم الذي مات (٢) فيه النبي صلى الله عليه وسلم بسقيفة بني
ساعدة، ولذلك قصة عجيبة نذكرها بتمامها، ونذكر ما فتحه المسلمون في أيامه وأيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما من الفتوحات، وقتال أهل [الردة] (٣)، وذلك أن المسلمين اجتمعوا وبكوا على فقد رسول الله، فقال لهم أبو بكر: إن دمتم على هذه الحال فهو والله الهلاك والبوار.

---

(١) في اسم المؤلف خلاف - وقد تطرقنا إلى مختلف الأقوال في ذلك في مقدمة التحقيق - والأرجح أنه أحمد بن محمد بن علي المعروف بابن الأعثم الكوفي. وهو ما ورد في النسخة المطبوعة من الترجمة الفارسية لأحمد بن محمد المستوفي.
(٢) قال خليفة في تاريخه: توفي رسول الله (ص) يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأول، ويقال للتين خلتا منه ودفن ليلة الأربعا (ص) انظر ص ٩٤ والطبري ٣ / ٢٠٠ ومروج الذهب ٢ / ٣٠٣ والبداية والنهاية ٥ / ٢٧٥ ابن الأثير ٢ / ٩ ونقل عن أبي نعيم الفضل بن دكين أنه (ص) توفي: يوم الاثنين مستهل ربيع الأول سنة إحدى عشرة. والأكثر على القول الأول.
(٣) ما بين معكوفين سقطت من الأصل، استدرك للإيضاح.

ذكر ابتداء سقيفة بني ساعدة وما كان
من المهاجرين والأنصار
قال: ثم أقبل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على المسلمين فقال: أيها الناس! إنه من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ومن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، والله! لقد نعى الله نبيه محمدا عليه السلام نفسه فقال تبارك وتعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) (١) ثم قال (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت (٢) ثم قال (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) (٣) ألا! وإن محمدا عليه السلام قد مضى لسبيله، ولا بد لهذا الأمر من قائم يقوم به، فدبروا وانظروا وهاتوا رأيكم - رحمكم الله. (٤) قال: فناداه الناس من كل جانب: نصبح وننظر في ذلك إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله. قال: فانصرف الناس يومهم ذلك، فلما كان من غد انحازت طائفة من المهاجرين إلى أبي بكر رضي الله عنه وانحازت طائفة من الأنصار إلى سعد بن عبادة الخزرجي في سقيفة بني ساعدة، قال: وجلس علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في منزله مغموما بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نفر من بني هاشم وفيهم الزبير بن
العوام. قال: فاجتمع الناس من جميع جنبات المدينة يستمعون ما يكون من كلام المهاجرين والأنصار (٥)، وكان أول من تكلم من الأنصار يومئذ خزيمة بن... (٦) ذو

---

(١) سورة الزمر: ٣٠.
(٢) سورة الأنبياء: ٣٤ - ٣٥.
(٣) سورة آل عمران: ١٤٤.
(٤) جاء كلام أبي بكر هذا بعد ما اختلف الصحابة فيما بينهم فمن قائل يقول: مات رسول الله (ص)، ومن قائل: لم يمت. وكان عمر بن الخطاب قد قام في الناس يقول: إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله (ص) توفي وأنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، والله ليرجعن رسول الله (ص)، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات. وكان أبو بكر غائبا ببيته في السنح، فاستدعي سريعا فجاء، فقام في الناس وقال ما قال، وأزاح الجدل وأزال الإشكال.
(الطبري ٣ / ٢٠٢ البداية والنهاية ٥ / ٢٦٥ الكامل لابن الأثير ٢ / ١١).
(٥) قارن ما جرى يوم السقيفة مع الطبري ٣ / ٢٠٥ وما بعدها وابن الأثير ٢ / ١٣ والبداية والنهاية ٥ / ٢٦٥.
(٦) كذا بياض بالأصل. وهو خزيمة بن ثابت، ذو الشهادتين، ابن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن غيان بن عامر بن خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس جعل رسول الله (ص) شهادته بشهادة رجلين (أسد الغابة ٢ / ١١٤).

الشهادتين وقال: يا معشر الأنصار! إنكم إذ قدمتم اليوم... (١) إلى يوم القيامة، وأنتم الأنصار في كتاب الله تعالى وإليكم كانت الهجرة وفيكم قبر النبي (صلى الله عليه وسلم وآله)، فأجمعوا أمركم على رجل تهابه قريش وتأمنه الأنصار. قال: فقالت الأنصار: صدقت يا خزيمة! إن القول لعلى ما تقول، قد رضينا بصاحبنا سعد بن عبادة. قال: فقلب المهاجرون ونظر بعضهم إلى بعض، ثم وثب أسيد بن حضير الأنصاري الأوسي (٢) - وكان مقبول القول عند الأنصار وأهل الطاعة فيهم - فقال: يا معشر الأنصار! إنه قد عظمت نعم الله عليكم إذ سماكم (الأنصار) (٣) وجعل إليكم الهجرة، وفيكم قبض الرسول محمد عليه السلام، فاجعلوا ذلك شكرا لله فإن هذا الأمر في قريش دونكم، فمن قدموه فقدموه ومن أخروه فأخروه. قال: فوثب إليه نفر من الأنصار فأغلظوا له في القول وسكتوه فسكت، ثم وثب بشير بن سعد الأنصاري الأعور (٤) - وكان أيضا من أفاضل الأنصار - فقال: يا معشر الأنصار! إنما أنتم بقريش وقريش بكم، ولو كان ما تدعون حقا لما اعترض عليكم فيه، فإن قلتم بأنا آوينا ونصرنا فما أعطاهم خير مما أعطيتم، فلا تكونوا كالذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار. قال: ثم وثب عويم بن ساعدة الأنصاري - وهو من النفر الذين أنزل الله عز وجل فيهم هذه الآية في مسجد قباء (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) (٥) - فقال: يا معشر الأنصار! إنكم أول من قاتل عن هذا الدين فلا تكونوا أول من قاتل أهله عليه، فإن الخلافة لا تكون إلا لأهل النبوة فاجعلوها حيث جعلها الله عز وجل، فإن

---

(١) بياض بالأصل.

(٢) كان سعد بن عبادة سيد الخزرج وكان أسيد بن حضير (أسيد بضم الهمزة، وحضير بضم أوله وآخره راء) من نقباء الأوس وقد خافوا من تأمير الأوس فقالوا لبعضهم البعض: والله لئن وليتها الخزرج مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم فيها نصيبا أبدا (الكامل لابن الأثير ٢ / ١٤ الإمامة والسياسة ١ / ٩).

(٣) كلمة (أنصار) وردت ثماني مرات في القرآن الكريم.

(٤) كان بشير بن سعد من سادة الخزرج ورؤسائهم، وقد نفر من تأمير قومه سعد بن عبادة وحسده (الإمامة والسياسة ١ / ٨) وقارن ما قاله مع الأصل (الطبري ٣ / ٢٢١ ابن الأثير ٢ / ١٤).

(٥) سورة التوبة: ١٠٨ وعويم من الأوس، مات على الصحيح في خلافة عمر بن الخطاب وله خمس أو ست وستون سنة.

لهم دعوة إبراهيم عليه السلام، قال: ثم وثب معن بن عدى الأنصاري فقال: يا معشر الأنصار! إن كان هذا الأمر لكم من دون قريش فخبروهم بذلك حتى يبايعوكم عليه، وإن كان لهم من دونكم فسلموا لهم، فوالله! ما مات رسول الله (صلى الله عليه وسلم وعلى آله) حتى صلى بنا أبو بكر رضي الله عنه فعلمنا أنه قد رضيه
لنا (١)، لأن الصلاة عماد الدين. قال: فبينا الأنصار كذلك في المحاورة إذ أقبل أبو بكر وعمر وعثمان وأبو عبيدة بن الجراح وجماعة من المهاجرين رضي الله عنهم فإذا هم بسعد بن عبادة (٢). (٣) ينصره الله فهو مخذول، ألا! فاهتدوا بهدى الله ربكم وما جاء به نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم فإنه (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل
فلن تجد له وليا مرشدا) (٤) وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام، وعمل بشرائعه اغترارا بالله عز وجل وجهالة بأمره وطاعة للشيطان، و (الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) (٥) وبعد! فقد وجهت إليكم خالد بن الوليد في جيش من المهاجرين والأنصار وأمرته أن لا يقاتل أحدا حتى يدعوه إلى الله عز وجل ويعذر إليه وينذر، فمن دخل في الطاعة وسارع إلى الجماعة ورجع عن المعصية إلى ما كان يعرف من دين الله ثم تاب إلى الله وعمل صالحا قبل الله منه ذلك وأعانه عليه، ومن أبى أن يرجع إلى الإسلام بعد أن يدعوه خالد بن الوليد ويعذر إليه فقد أنذرته وأمرته أن يقاتله أشد القتال بنفسه ومن معه من أنصار دين الله وأعوانه، ثم لم يترك أحدا قدر عليه إلا أحرقه بالنار إحراقا ويسبى الذراري والنساء، ويأخذ الأموال وقد أعذر من أنذر (٦)، والسلام على عباد الله المؤمنين، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قال: ثم

---

(١) إشارة إلى تأميره (ص) أبا بكر بالصلاة في الناس في مرض موته. انظر ما ذكر في ذلك دلائل البيهقي ٧ / ١٨٩ و ٧ / ١٩٤ وما بعدها.
(٢) كذا بالأصل. ولم يذكر المؤلف تتمة بيعة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة.
(٣) هذا من كتاب أبي بكر الصديق إلى قبائل العرب التي ارتدت، وقد سقط من الأصل أول الكتاب. قال الطبري ٣ / ٢٥٠ أنه كتب إلى قبائل العرب المرتدة كتابا واحدا. وفي ابن الأثير ٢ / ٢١ (نسخة واحدة) وبينهما وبين ما ذكر من الكتاب هنا بعض اختلاف.
(٤) سورة الكهف: ١٧.
(٥) سورة فاطر: ٦.
(٦) وفي الكتاب: وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم، والداعية الأذان، فإذا أذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم وإن أذنوا اسألوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا قبل منهم، وحملهم على ما ينبغي لهم. (عن الطبري ٣ / ٢٥١).

طوى أبو بكر الكتاب وختمه ودفعه إلى خالد بن الوليد وأمره أن يعمل بما فيه (١)، قال: فسارع خالد بن الوليد إلى أهل الردة بمن معه من المهاجرين والأنصار يريد طليحة بن خويلد.

ذكر مسير خالد بن الوليد إلى أهل الردة

قال: فسار خالد وكان معه جماعة يومئذ من بني أسد من المؤمنين الذين لم يرتدوا، وكتب رجل منهم يقال له ضرار بن الأزور إلى بني عمه من بني أسد كتابا، قال: فلم يبق مع خالد بن الوليد رجل من بني أسد يعرف بالصلاح إلا كتب إلى قومه يحذرهم مقدم خالد بن الوليد عليهم ويعذلهم على ارتدادهم عن دين الإسلام، وآخر من كتب إليهم جعونة بن مرثد الأسدي.

ذكر الفجاءة بن عبد ياليل السلمي

وما فعل بالمسلمين وكيف أحرق بالنار

قال: وسار خالد بن الوليد يريد بني أسد فأقبل إلى أبي بكر الصديق رضي

---

(١) يستفاد من الطبري وابن الأثير واليعقوبي أن أبا بكر أمر أمراء وعقد لهم بالمسير لقتال المرتدين، وعقد لهم الألوية، فعقد أحد عشر لواء لأحد عشر أميرا، منهم خالد بن الوليد.
وقد كتب أبو بكر للأمراء عهودا بذلك - نسخة العهد كما وردت عند الطبري ٣ / ٢٥١: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله (ص) لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وعلانيته، وأمره بالجد في أمر الله، ومجاهدة من تولى عنه، ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام! فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقروا له، ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم، فيأخذ ما عليهم، ويعطيهم الذي لهم، لا ينظرهم، ولا يرد المسلمين على قتال عدوهم، مفن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف. وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل، وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به، ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان، وحيث بلغ مراغمه، لا يقبل من أحد شيئا أعطاه إلا الإسلام، فمن أجابه وأقر قبل منه وعلمه، ومن أبي قاتله، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم قسم ما أفاء الله عليه، إلا الخمس فإنه يبلغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد وألا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم لا يكونوا عيونا، ولئلا يؤتي المسلمون من قبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم، ولا يعجل بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول.

الله عنه رجل من بني سليم يقال له الفجاءة (١) بن عبد ياليل فدخل عليه وسلم ثم قال:
يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم! أنا رجل مسلم وعلى دين الإسلام مذ كنت ما غيرت ولا
بدلت وقد رغبت في قتال أهل الردة (٢) وقد أحببت أن تعينني بقوة من خيل وسلاح حتى أفرقه في قومي وبني عمى من بني سليم، وألحق بالقوم بخالد بن الوليد وأقاتل معه طليحة بن خويلد وأصحابه، قال: فدفع إليه أبو بكر رضي الله عنه عشرة من الخيل ودفع إليه سلاحا كثيرا من سيوف ورماح وقسى وسهام، ووجه معه بعشر نفر من
المسلمين. قال: فخرج الفجاءة من المدينة كأنه يريد إلى خالد بن الوليد ثم ترك الطريق إلى خالد وعطف إلى دار بني سليم فأرسل إلى قوم منهم ودعاهم فأجابوه فعطف بهم على هؤلاء العشرة الذين وجه بهم معه أبو بكر رضي الله عنه فقتلهم عن آخرهم، ثم أنه فرق تلك الخيل وذلك السلاح الذي قد أعطاه أبو بكر رضي الله عنه على من اتبعه من سفهاء قومه، ثم سار فجعل يقتل الناس يمنة ويسرة فلا يبقي على قومه ولا غيرهم. قال: فجعل الفجاءة يفعل ما يفعل ويلتئم إليه الناس من أهل الدعارة والفساد.
قال: وبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه فأعرضه على من كان عنده من بني سليم وغيرهم من قيس غيلان وخبرهم بما صنع الفجاءة، قال: فاغتم لذلك بنو سليم خاصة غما شديدا وقالوا: والله يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله)! لقد حدثتنا أنفسنا ببعض ذلك وقد قلدنا عدو الله بفعاله عارا لا يغسل عنا أبدا. قال: ثم وثب الضحاك بن سفيان الكلابي (٤) - وكان شيخ بني كلاب وفارسهم وعميدهم وشاعرهم وكانت له صحبة مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله) - فقال والله يا خليفة رسول الله! لقد كان عدو الله يريد الفساد، وما كنت أظن أنه يقدم على مثل هذا الفعال، ولقد كنت أحذر قومي من بنى ذكوان أن يسمعوا منه، ويأخذوا برأيه

---

(١) قيل اسمه: إياس بن عبد ياليل، وقيل: إياس بن عبد الله بن عبد ياليل بن عميرة بن خفاف، من بني سليم. (الطبري ٣ / ٢٦٤ - ٢٦٥ البداية والنهاية ٦ / ٣٥١).
(٢) في الطبري: وقد أردت جهاد من ارتد من الكفار.
(٣) كان معه نجبة (نخبة) بن أبي الميثاء من بني الشريد.
(٤) هو الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الكلابي، يكنى أبا سعيد. كان من الشجعان الابطال ذكره العباس بن مرداس السلمي في شعره:
وكان النبي (ص) قد بعثه في سرية:
إن الذين وفوا بما عاهدتهم * جيش بعثت عليهم الضحاكا.

فأبى الله تبارك وتعالى إلا ما أراد. قال: ثم كتب أبو بكر رضي الله عنه كتابا إلى خالد بن الوليد يخبره بما صنع الفجاءة وما أخذ من الخيل والسلاح وما قتل من المسلمين، وأمره أن يوجه إليه بقوم يطلبونه فيأتون به حيث ما كان، فلما ورد الكتاب ... (١) يا سوداء! (٢) من يقول هذا الشعر؟ فقالت: والله! ما أدري غير أني سمعت دويا من هذا الغدير وقائلا يقول هذا الشعر. قال: فاغتم عيينة بن حصن وانكسر لذلك انكسارا شديدا، ثم أقبل على طليحة بن خويلد وهو جالس في بني عمه فقال له: أبا عامر! أتاك جبريل منذ نزلت هذا المنزل؟ قال طليحة: لا، قال: فهل ترجو أن يأتيك؟ قال: نعم، ولم سألت عن ذلك؟ قال: إني سمعت هذه الأمة السوداء تزعم أنها سمعت من هذا الغدير كذا وكذا، قال: فضحك طليحة ثم قال: ترى أن سحر قريش وصل إلينا من المدينة. قال: ثم أقبل قرة بن هبيرة القشيري على بني عامر بن صعصعة فقال: يا بني عامر! هذا خالد بن الوليد قد أظلكم في المهاجرين والأنصار وقد تقارب من أرضكم فلو صاح بخيله صيحة لصبحكم فاتقوا الله ربكم وارجعوا عن هذا الذي أنتم عليه فإنكم قتلتم بالأمس المنذر بن عمرو الساعدي (٣) وكان من خيار أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثم إنكم حقرتم ذمة
أبي بكر ورددتم عامر بن الطفيل عن دين الإسلام وإني خائف على طليحة بن خويلد أن... (٤) خالد غدا قد هلك وهلكنا معه. قال: فأبى قومه أ [ن يطيعوه -] (٥)

---

(١) بياض بالأصل، سقطت معه تتمة الكلام على الفجاءة بن عبد ياليل. وفي الطبري روايتان عن نهاية الفجاءة: عن سيف، عن سهل وأبي يعقوب قالا: وبلغ ذلك أبا بكر، فأرسل إلى طريفة بن حاجز يأمره أن يجمع له وأن يسير إليه، وبعث إليه عبد الله بن قيس الجاسي عونا، ففعل، ثم نهضا إليه وطلباه، فجعل يلوذ منهما حتى لقياه على الجواء، فاقتتلوا، فقتل نجبة وهرب الفجاءة، فلحقه طريفة فأسره، ثم بعث به إلى أبي بكر، فقدم به على أبي بكر، فأمر فأوقد له نارا في مصلى المدينة على حطب كثير، ثم رمى به فيها مقموطا (٣ / ٢٦٤ ابن الأثير ٢ / ٢٧ البداية والنهاية ٦ / ٣٥١).
(٢) كذا بالأصل، ويظهر أن هناك نقصا في الكلام، ويظهر أن القصة تتعلق بموضوع طليحة وردته.
(٣) وكان رسول الله (ص) قد أرسله في نفر من خيار المسلمين إلى نجد يدعونهم إلى الإسلام حتى نزلوا ببئر معونة وهي أرض بين بني عامر وحرة بني سليم، فقتلتهم قبائل سليم وذلك في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد (تاريخ خليفة ص ٧٦ وانظر حديث بئر معونة في سيرة ابن هشام ٢ / ١٨٤ وصحيح البخاري ٥ / ١٣٤).
(٤) بالأصل غير واضح.
(٥) بالأصل مطموس. وما أضفناه لاستقامة المعنى.

ثم قالوا: لا نعطى الدنية في ديننا أبدا ونحن أحق (١) من ابن أبي قحافة. قال: فقال لهم ابن سلمة... (٢) تعطوا الدنية في دينكم أن يسفكوا دماءكم باجماعكم ... (٣) قال: فأبى القوم أن يطيعوه ولجوا في طغيانهم. قال: ودنا خالد بن الوليد من أرض بني أسد ثم دعا ابن محصن الأسدي (٤) وثابت بن أرقم (٥) الأنصاري وسعيد بن عمرو المخزومي فقال لهم: انطلقوا وتجسسوا إلي الخبر عن طليحة بن
خويلد وأصحابه ولا تبطوا علي. قال: فمضى هؤلاء الثلاثة وجعلوا يتجسسون ويسألون عن طليحة وعن موضع عسكره. قال: فبينما هم كذلك إذ وقع عليهم نفر من أصحاب طليحة فقتلوهم (٦) - رحمة الله عليهم. قال: وخالد بن الوليد لا يعلم بشئ من ذلك غير أنه انطوى عليه خبرهم كأنه أنكر أمرهم فركب في نفر من أصحابه وساروا فإذا هم بالقوم قتلى، فاغتم خالد والمسلمون لذلك غما شديدا ثم أمر بهم فحملوا ودفنوا في عسكر المسلمين. قال: وبلغ بني أسد أن خالد بن الوليد قد دنا من أرضهم فأقبلوا على طليحة بن خويلد فقالوا: يا أبا عامر! إنا نظن أن هذا الرجل قد سار إلى ما قبلنا وذلك أنا قتلنا ثلاثة نفر من أصحابه فلو بعثت من يتجسس لنا عن خبره. قال: قال طليحة: نعم، أرأيتم [إن] (٧) بعثتم بفارسين بطلين على فرسين عتيقين أدهمين أغرين محجلين من بني نصر بن قعين (٨) أتياكم من القوم بعين، فقال له بعض أصحابه: أبا عامر! أشهد أنك نبي حقا فليس هذا الكلام إلا من كلام

---

(١) بالأصل مطموس. (كلمة) ولعله: نحن أحق بالخلافة.
(٢) بالأصل غير واضح.
(٣) بالأصل مطموس، ولم نصل إليه.
(٤) هو عكاشة بن محصن الأسدي. (عكاشة بضم أوله وتشديد الكاف وتخفيفها أيضا: الإصابة) من السابقين الأولين، وشهد بدرا.
(٥) كذا، وهو تحريف، وهو ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان، شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله (ص).
(٦) في تاريخ خليفة ص ١٠٢: فانتهوا إلى قطن (ماء في أرض بني أسد من ناحية فيد - ياقوت) فصادفوا بها حبالا متوجها إلى طليحة (أخيه) بثقله، فقتلا حبالا وأخذا ما معه، فخرج طليحة وسلمة ابنا خويلد فلقيا عكاشة وثابتا (إشارة هنا إلى أن خليفة والطبري لم يذكرا سعيد بن عمرو المخزومي معهما) فقتلا عكاشة وثابتا.
(٧) زيادة ليستقيم المعنى. وفي المطبوعة: إن شئتم.
(٨) بنو نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة. وهم أولاد عم طليحة بن خويلد، وهو من بني نضلة بن الأشتر بن حجوان بن فقعس بن طريف بن عمرو. وعمرو ونصر ابنا قعين. (جمهرة النسب للكلبي ص ١٦٩ - ١٧٠).

الأنبياء. قال: ثم بعث القوم... (١) على وصف طليحة بن خويلد ليتجسسا الأخبار بخالد... (٢) رجعا يركضان وهما يقولان: هذا خالد بن الوليد أقبل ... (٢) والأنصار، قال: فازداد القوم فتنة إلى فتنتهم... (٣) يشجع أصحابه ويقول: يا معشر بني أسد! لا يهولنكم... (٣) إلى خالد بن الوليد من هذا الجيش فإنهم على باطل وغرور، وأخرى فإنهم قد لهجوا بهذه الصلاة فهم يظنون أنهم محسنون، ولقد أتاني جبرئيل يخبرني عن ربي: أنه ليس يحتاج إلى تعفر وجوهكم وفتح (٤) أدباركم، ولا يريد منكم ركوعا وسجودا وإنما يريد منكم أن تذكروه قياما وقعودا، فانظر أن تمنعوا القوم أموالكم كما منعتموها في جاهليتكم، وأما عيينة بن حصن فقد خبرني عنه جبريل أنه قد خاف من حرب القوم، وأيم الله! لو كانت له نية صادقة لما خاف من أحد أبدا إذا كان على هذا الدين. قال: ثم تقدم إلى طليحة جماعة من أصحابه فقالوا: يا أبا عامر! إنه قد أضربنا العطش فهل عندك من حيلة؟ فقال طليحة: نعم اركبوا علالا، واضربوا أميالا، وجاوزوا الرمالا، وشارفوا الجبالا، ويمموا التلالا، تجدوا هناك قلالا (٥). قال: فركب بعض بني أسد فرسا لطليحة يقال له: علال، ثم سار إلى ذلك الموضع الذي وصف طليحة فإذا هو بماء عذب زلال! فشرب منه وملأ سقاء كان معه، ثم رجع إلى قومه فخبرهم بذلك، قال: فمضوا إلى ذلك الموضع فأسقوا وازدادوا فتنة إلى فتنتهم بطليحة بن خويلد. قال: وجعل خالد بن الوليد يتأنى بطليحة ويرسل إليه الرسل ويحذره سفك دماء أصحابه (٦)، وطليحة يأبى ذلك ولج في طغيانه، قال: فعندها عزم خالد على حرب القوم.

أول حرب أهل الردة

قال: وزحف إليهم خالد حتى وافاهم بأرض يقال لها: بزاخة (٧)، وإذا

---

(١) كلمة غير واضحة بالأصل. ويتضح مما يلي أن الكلمة المطموسة: (رجلين أو فارسين) انظر الطبري ٣ / ٢٦١.

(٢) مطموس بالأصل قدر كلمتين.

(٣) مطموس بالأصل، ويتضح مما يلي أنه (وراح طليحة).

(٤) كذا بالأصل. وفي المطبوعة (وقبح) أصوب.

(٥) القلال جمع قلة وهي أعلى الجبل. وقلة كل شيء: أعلاه. والقلة: مزادة كبيرة من الماء، وقد سميت قلال لأنها تقل (اللسان).

(٦) وكان ذلك - من خالد - وفقا لما جاء في عهد أبي بكر إليه، وقد مر قريبا نسخة عنه.

(٧) بزاخة: ماء لبني أسد. وما أثبتناه عن تاريخ خليفة، وبالأصل براحه.

طليحة قد عبى أصحابه وعبى خالد أصحابه، وكان على ميمنته عدي بن حاتم الطائي، وعلى ميسرته زيد الخيل، وعلى الجناح الزبرقان بن بدر التميمي، ودنا القوم بعضهم من بعض واختلط القوم فاقتتلوا، فقتل من الفريقين جماعة، وجعلت بنو أسد وغطفان وفزارة يقاتلون بين يدي طليحة بن خويلد أشد القتال وهم ينادون: لا نبايع أبا الفصيل - يعنون أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وجعل عدي بن حاتم يحمل عليهم في أصحابه فيقاتلهم وهو يقول: والله! لنقاتلنكم أبدا أو تكنونه بالفحل الأكبر (١). قال: وجعل عدي بن حاتم وزيد الخيل وقبائل طيء يقاتلون بين يدي خالد بن الوليد قتالا لم يقاتلوا قبله في يوم من أيامهم التي سلفت، ومدحهم خالد بن الوليد. قال: واشتد القتال وعظم الأمر وعظت (٢) الحرب الفريقين جميعا، فأقبل عيينة بن حصن إلى طليحة بن خويلد وهو واقف على باب خيمة من شعر (٣) وفرسه علال إلى جانبه وامرأته نوار جالسة بين يديه (٣) فقال له عيينة: أبا عامر! هل أتاك جبريل؟ قال طليحة: لا، فرجع عيينة إلى الحرب فقاتل ساعة ثم رجع إليه فقال: هل أتاك جبريل بعد؟ فقال: لا، فرجع فلم يزل يقاتل حتى بلغ منه الجهد واشتد به الأمر ثم رجع إلى طليحة فقال: أبا عامر! هل أتاك جبريل؟ قال: لا، قال عيينة: حتى متى ويحك! بلغ منا الجهد واشتد بنا الأمر وأحجم الناس عن الحرب، ثم رجع فلم يزل يقاتل هو وبنو عمه من فزارة حتى ضجوا من الطعان والضراب، ثم رجع فقال له: أبا عامر! هل أتاك جبريل بعد؟ قال: نعم قد أتاني، قال عيينة: الله أكبر! هات الآن ما عندك وما الذي قال لك جبريل! قال طليحة: نعم قد قال جبريل عليه السلام: إن رجاء لا تقوم لرجاه وإن لك وله حديثا لا تنساه الناس أبدا (٥). قال: ثم أقبل عيينة على أهله وبنى عمه من فزارة فقال: ويحكم يا بنى عمى! هذا والله كذاب! والله صح عندي كذبه لتخليطه في كلامه! قال: ثم ولى عيينة بن حصن منهزما مع بني عمه من فزارة وانهزمت بنو أسد وغطفان وسيوف المسلمين في أقفيتهم كأنها الصواعق! فقال طليحة بن خويلد:

---

(١) في الطبري ٣ / ٢٥٥ أبا الفحل الأكبر.
(٢) أي اشتدت، وكانت شديدة فيها عسف وعنف (اللسان).
(٣) في الطبري: وطليحة متلفف في كساء له بفناء له من شعر.
(٤) زيد في الطبري: يتنبأ لهم، والناس يقتتلون، فلما هزت عيينة الحرب، وضرس القتال، كر على طليحة.
(٥) في الطبري: (إن لك رحا كرحاه، وحديثا لا تنساه).

ويحكم! ما بالكم منهزمين؟ فقال رجل منهم: أنا أخبرك يا أبا عامر: لم لا ننهزم؟ نحن قوم نقاتل ونريد البقاء وهؤلاء قوم يقاتلون ويحبون الفناء. قال: فقالت نوار امرأة طليحة: أما إنه لو كانت لكم نية صادقة لما انهزمتم عن نبيكم! فقال لها رجل منهم: يا نوار! لو كان زوجك هذا نبيا حقا لما خذله ربه. قال: فلما سمع طليحة ذلك صاح بامرأته: ويلك يا نوار! اقتربي مني فقد اتضح الحق وزاح الباطل. قال: ثم استوى طليحة على فرسه وأردف امرأته من ورائه ومر منهزما مع من انهزم (١)، واحتوى خالد ومن معه من المسلمين على غنائم القوم وعامة نسلهم وأولادهم.

قال: فجمع خالد غنائم القوم فوكل نفرا من المسلمين يحفظونها، ثم خرج في طلب القوم يتبع آثارهم حتى وافاهم بباب الأجرب (٢) فاقتتلوا قتالا شديدا، فأسر عيينة بن حصن الفزاري وأسر معه جماعة من بني عمه، وأفلت طليحة بن خويلد فمر هاربا على وجهه نحو الشام حتى صار إلى بني جفنة (٣) فلجأ إليهم واستجار بهم فأجاروه. قال: ثم جمع خالد الأسارى بأجمعهم من بني أسد وغطفان وفزارة وعزم أن يوجه بهم إلى أبي بكر رضي الله عنه.

ذكر الأسارى الذين وجه بهم خالد بن الوليد
إلى أبي بكر وما كان من أمرهم

قال: ثم أمر خالد بالمجامع فوضعت في أعناق هؤلاء الأسارى (٤) ووجه بهم مع الغنائم إلى المدينة، فلما أشرفت الغنائم على المدينة خرج الناس ينظرون إلى الأسارى، فإذا هم بعيينة بن حصن على بعير ويده مجموعة إلى عنقه، (٥)، فجعل المسلمون يشتمونه ويلعنونه وهو ساكت لا ينطق بشئ، قال: وجعل أهل المدينة ينخسونه بالعسبان (٦) ويقولون له: يا عدو الله! أكفرت بعد إيمانك وقاتلت المسلمين؟ قال: فأشرف عليهم من فوق البعير فقال: والله ما آمن ذلك الرجل بالله

---

(١) العبارة في الطبري: وقال (لأصحابه): من استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت وينجو بأهله فليفعل. ثم سلك الحوشية حتى لحق بالشام وارفض جمعه.
(٢) الأجرب: اسم موضع يذكر مع الأشعر من منازل جهينة بناحية المدينة.
(٣) في تاريخ اليعقوبي: لحق طليحة بالشام وجاور بني حنيفة.
(٤) كانوا ثلاثين أسيرا وعيينة بن حصن (اليعقوبي ٢ / ١٢٩).
(٥) عند اليعقوبي: وهو مكبل بالحديد.
(٦) العسبان جمع عسيب وهو جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها (اللسان) وفي الطبري: ينخسه غلمان المدينة بالجريد.

ساعة قط - يعني عن نفسه. قال: ثم أتى به حتى دخل على أبي بكر رضي الله عنه فأوقفه بين يديه، فقال له أبو بكر: يا عدو الله! أسلمت وأقرأت القرآن ثم رجعت عن دين الإسلام كافرا! لأضربن عنقك صبرا، فقال عيينة: يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله)! إن الجميل أجمل، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرف بي
منك لم يخف عليه شئ من أمري، ولقد خرج من الدنيا وإني لمقيم على النفاق (١)، غير أني تائب إلى الله عز وجل وإليك في يومي هذا فاعف عني عفا الله عنك! فعفا عنه أبو بكر رضي الله عنه وصفح عن بني عمه وأحسن إليهم وكساهم.
قال: ثم قدم قرة (٢) بن هبيرة القشيري حتى أوقف بين يدي أبي بكر
رضي الله عنه ويده مجموعة إلى عنقه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: اضربوا عنقه، فقال قرة: يا خليفة رسول الله! إني رجل مسلم يشهد لي بذلك عمرو بن العاص، وذلك أنه مر بي منصرفا من عمان (٣) فقربته وأكرمته ودللته على الطريق وهو عارف بإسلامي، قال: فدعا أبو بكر عمرو بن العاص، قال له: يا أبا عبد الله! ما الذي عندك من الشهادة لقرة بن هبيرة؟ فإنه يزعم أنك تشهد له بالاسلام! فقال عمرو بن العاص: نعم يا خليفة رسول الله! عندي من الشهادة أني مررت به، وأنا منصرف من عمان فلما نزلت عليه سمعته يقول: والله! لئن لم يتجاف أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زكاة أموالنا فما له في أعناقنا طاعة، فقال قرة بن هبيرة: لم يكن
القول على ما تقول يا عمرو! فقال عمرو: بلى والله يا خليفة رسول الله! لقد سمعته يقول هذا المقال (٤) وعلمت أنه قد عزم على العصيان ومنع الزكاة، فهذا والله

---

(١) كذا. وقد ورد فيه أنه أسلم قبل الفتح - وقيل بعده - وشهده وشهد حنينا والطائف، وكان من المؤلفة قلوبهم، وكان من الأعراب الجفاة، فيه جفاء سكان البوادي ولم نجد عند من ترجم ما يشير إلى ذلك والنبي حيا (أسد الغابة - الإصابة - الاستيعاب) فقط هناك إشارة في حديث قال عنه النبي (ص): أحمق مطالع سيد قومه. ونعته ابن أخيه في مجلس عمر بن الخطاب أنه من الجاهلين.

(٢) كذا ورد قرة بن سلمة بن هبيرة خطأ، وقد مر قريبا صوابا: قرة بن هبيرة. ترجم له في أسد الغابة والإصابة.

(٣) وذلك بعد وفاة رسول الله (ص). وكان رسول الله (ص) قد استعمله على عمان ومات (ص) وهو أميرها. (الطبري - الإصابة).

(٤) عبارة الطبري ٣ / ٢٥٩ فلما أراد الرحلة، خلا به قرة، فقال: يا هذا، إن العرب لا تطيب لكم نفسا بالإتاوة، فإن أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع، وإن أبيتم فلا أرى أن تجتمع عليكم.

يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان من مقالتي ومقالته ثم إني رحلت عنه فلما قربت فرسي
وركبته سمعته يقول: إن أتيتنا - فعضض على الأنامل (١)، قال قرة بن هبيرة: يا هذا! فإن كان هذا ذكرت فكم إلى كم هذا التحريض، قال: فسكت عمرو بن العاص وتكلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: سوءا لك يا عمرو! رجل نزلت عليه فآواك وأحسن ضيافتك وأطعمك وسقاك ثم تكلم بكلام بينك وبينه فأجبته على كلامه ثم رحلت عنه، فالآن لما نظرت إليه في مثل هذه الحالة أسيرا قد جمعت يداه إلى عنقه وثبت قائما على قدميك تخطب عليه بجهدك! فاستحيا عمرو وندم على ما تكلم، والتفت عمر إلى أبي بكر فقال: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم! هذا رجل من
سادات العرب وأشراف بني عامر وما أولاك بالصفح عنه بعد إذ قدرت عليه! فقد كان منه ما كان من غيره فاعف عنه كما عفوت عن غيره (٢)! قال أبو بكر: قد عفوت عنه، ثم أطلقه رضي الله عنه وكساه وأحسن إليه وأطلق من كان معه من بني عمه.
قال: وبلغ طليحة بن خويلد الأسدي أن عيينة بن حصن وقرة بن هبيرة قد
حملا إلى المدينة وقد عفا عنهما أبو بكر رضي الله عنه، فندم على ما كان منه أشد الندامة، ثم إنه وجه إلى أبي بكر رضي الله عنه من الشام مع بعض النوادر (٣)،
قال: فلما انتهى إلى أبي بكر كتابه وقرئ عليه رق له أبو بكر رقة شديدة وعلم أنه قد ندم على ما كان منه. قال: وجعل طليحة بن خويلد يتقدم في الرجوع إلى دار الإسلام ويتأخر إلى أن توفى أبو بكر ومضى لسبيله رحمة الله عليه ثم استخلف بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقدم عليه طليحة بن خويلد مسلما تائبا، فلما رآه عمر قطب في وجهه ثم قال: يا طليحة! كيف ترجو النجاة من النار وقتلت مثل

---

(١) وكان عمرو بن العاص - على رواية الطبري - قد قال لقرة: فوالله لأوطئن عليك بالخيل.
(٢) في الإصابة أن قرة بن هبيرة اعتذر إلى أبي بكر عن ارتداده بأنه كان له مال وولد فخاف عليهم، ولم يرتد في الباطل.
(٣) عند اليعقوبي ٢ / ١٢٩ وبعث بشعر إلى أبي بكر يعتذر إليه، ويراجع الإسلام، يقول فيه:
فهل يقبل الصديق أني مراجع * ومعط بما أحدثت من حديث يدي
وأني من بعد الضلالة شاهد * شهادة حق لست فيها بملحد
وفي رواية عند الطبري ٣ / ٢٦١ أنه راجع إسلامه بعد ما بلغه أن أسد وغطفان وعامرا قد أسلموا (ثم خرج نحو مكة معتمرا في إمارة أبي بكر ومر بجنبات المدينة، فقيل لأبي بكر: هذا طليحة. فقال: ما أصنع به! خلوا عنه، فقد هداه الله للإسلام).

ثابت بن أرقم (١) الأنصاري وعكاشة بن محصن الأسدي؟ قال طليحة: يا أمير المؤمنين! ذلك رجلان أكرمهما الله عز وجل بالجنة وساق إليهما الشهادة على يدي ولم يقتلني (٢) بأيديهما فأكون في النار! قال: فأعجب عمر مقالته فقربه وأدناه، وأقام طليحة عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أن تحركت الفرس بعد ذلك فوجهه عمر بن الخطاب مع سعد بن أبي وقاص، فقاتل بالعراق قتالا شديدا وقاتل أيضا بنهاوند، ولم يزل ناصرا لدين الإسلام حتى لحق بالله. فهذا ما كان من كفر طليحة بن خويلد الأسدي وارتداده وخروجه على أبي بكر وتوبته.

ثم رجعنا إلى مسير خالد بن الوليد إلى مالك بن نويرة، قال: فلما فرغ خالد بن الوليد من حرب بني أسد وغطفان وفزارة وأمكنه الله منهم أقبل على من كان معه من المسلمين فقال لهم: إنكم تعلمون أن خليفة رسول الله (ص) قد كان أمرني بالبطاح (٣) من أرض بني تميم إلى مالك بن نويرة وأصحابه وأنا سائر (٤)، فما الذي عندكم من الرأي؟ قال: فقالت له الأنصار: يا أبا سليمان! إنك لست عندنا بمتهم غير أن أبا بكر لم يعهد إلينا بشئ في ذلك (٥) عهدا فإن كان أمرك بالمسير إلى بني تميم فسر راشدا فإنا غير سائرين معك، قال خالد: لست أكرهكم على شئ وأنا سائر بمن معي من المهاجرين حتى أنفذ أمر أبي بكر. قال: ثم سار خالد بمن معه من المهاجرين (٦) يريد أرض بني تميم وأقامت الأنصار في مواضعها، حتى إذا سار خالد يومه كأنه اغتم على تخلف الأنصار عنه، قال: وتلاومت (٧) الأنصار أيضا، ثم قال بعضهم لبعض: والله، لئن كان غدا في هذا الجيش مصيبة فإنه لعار علينا! ليقولن الناس بأنكم خذلتم المهاجرين وأسلمتموهم لعدوهم (٨)، ولئن أصابوا

---

(١) كذا بالأصل، وهو تحريف، وهو أقرم وقد تقدم.
(٢) في الطبري: ولم يهني.
(٣) البطاح بضم أوله – منزل لبني يربوع، وقيل: البطاح ماء في ديار بني أسد بن خزيمة، وهناك كانت الحرب بين المسلمين وأميرهم خالد بن الوليد وأهل الردة (معجم البلدان).
(٤) في تاريخ خليفة أنه بعد هزيمة غطفان وأسد ببزاخة قال خالد: والله لا أنتهي حتى أناطح مسيلمة.
(٥) في الطبري: إن الخليفة عهد إلينا إن نحن فرغنا من البزاخة... أن نقيم حتى يكتب إلينا.
(٦) زيد في الطبري: والتابعين بإحسان.
(٧) في الطبري: وندمت الأنصار، وتذامروا. وفي الأغاني ١٥ / ٣٠٠ وبرمت الأنصار وتذامروا.
(٨) في الطبري والأغاني: ولئن أصابتهم مصيبة ليجتنبنكم الناس.

فتحا فإنه خير حرمتموه، ولكن سيروا فالحقوا بإخوانكم. قال: فسارت الأنصار حتى لحقت خالد بن الوليد فصار القوم جميعا واحدا، وتوسط خالد بن الوليد أرض البطاح، وبالبطاح يومئذ رجل من أشراف بني تميم يقال له: الجفول (١)، لأنه جفل إبل الصدقة ومنع الزكاة وجعل يقول لقومه: يا بني تميم! إنكم قد علمتم بأن محمد بن عبد الله قد كان جعلني على صدقاتكم قبل موته، (٢) وقد هلك محمد ومضى لسبيله، ولابد لهذا الأمر من قائم يقوم به، فلا تطمعوا أحدا في مالكم فأنتم أحق بها من غيركم. قال: فلامه بعض قومه على ذلك وحمده بعضهم وسدد له رأيه بما قال (٣)، فلما بلغ كلامه أبا بكر والمسلمين فازدادوا عليه حنقا وغيظا، وأما خالد بن الوليد فإنه حلف وعاهد الله عز وجل لئن قدر عليه ليقتلنه وليجعلن رأسه أثفية للقدور.

قال: ثم ضرب خالد عسكره بأرض بني تميم، وبث السرايا في البلاد يمنة ويسرة. قال: فوقعت سرية من تلك السرايا على مالك بن نويرة فإذا هون في حائط له ومعه امرأته وجماعة من بني عمه، (٤) قال: فلم يرع مالك إلا والخيل قد أحدقت به فأخذوه أسيرا وأخذوا امرأته معه وكانت بها مسحة من جمال. قال: وأخذوا كل من كان من بني عمه فأتوا بهم إلى خالد بن الوليد حتى أوقفوا بين يديه. قال: فأمر خالد بضرب أعناق بني عمه بديا. قال: فقال القوم: إنا مسلمون فعلى ماذا تأمر بقتلنا؟ قال خالد: والله! لأقتلنكم، فقال له شيخ منهم: أليس قد نهاكم أبو بكر أن تقتلوا من صلى للقبلة؟ فقال خالد بلى قد أمرنا بذلك ولكنكم لم تصلوا ساعة قط، قال: فوثب أبو قتادة (٥) إلى خالد بن الوليد فقال: أشهد أنك لا سبيل لك

---

(١) عن الأغاني: وبالأصل: الحفول.

(٢) كان مالك بن نويرة على بني يربوع - من بني حنظلة.

(٣) كذا بالأصل، وفي الطبري أن مالكا قد فرق (أصحابه) في أموالهم ونهاهم عن الاجتماع، وقال: يا بني يربوع إنا قد كنا عصينا أمراءنا إذ دعونا إلى هذا الدين، وبطأنا الناس عنه فلم نفلح ولم ننجح، وإني قد نظرت في هذا الأمر، فوجدت الأمر يتأنى لهم بغير سياسة، وإذا الأمر لا يسوسه الناس، فإياكم ومناوأة قوم صنع لهم، فتفرقوا إلى دياركم وادخلوا في هذا الأمر... وخرج مالك حتى رجع إلى منزله. وانظر الأغاني ١٥ / ٣٠١.

(٤) من بني ثعلبة بن يربوع، من عاصم وعبيد وعرين وجعفر.

(٥) هو الحارث بن ربعي وقيل اسمه النعمان أبو قتادة الأنصاري الخزرجي، ثم من بني سلمة. فارس رسول الله (ص). (أسد الغابة - الإصابة).

عليهم، قال خالد: وكيف ذلك؟ قال: لأني كنت في السرية التي قد وافتهم فلما نظروا إلينا قالوا: من أين أنتم؟ قلنا: نحن المسلمون، فقالوا: ونحن المسلمون، ثم أذنا وصلينا فصلوا معنا، فقال خالد: صدقت يا [أبا] (١) قتادة إن كانوا قد صلوا معكم فقد منعوا الزكاة التي تجب عليهم ولا بد من قتلهم. قال: فرفع شيخ منهم صوته وتكلم فلم يلتفت خالد إليه وإلى مقالته فقدمهم فضرب أعناقهم عن آخرهم. (٢) قال: وكان أبو قتادة قد عاهد الله أنه لا يشهد مع خالد بن الوليد مشهدا أبدا بعد ذلك اليوم.

قال: ثم قدم خالد مالك بن نويرة ليضرب عنقه فقال مالك: أتقتلني وأنا مسلم أصلي إلى القبلة! فقال له خالد: لو كنت مسلما لما منعت الزكاة ولا أمرت قومك بمنعها والله! ما نلت ما في مثابتك حتى أقتلك. قال: فالتفت مالك بن نويرة إلى امرأته فنظر إليها ثم قال: يا خالد! بهذه قتلتني؟ فقال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن دين الإسلام وجفلك لإبل الصدقة وأمرك لقومك بحبس ما يجب عليهم من زكاة أموالهم. قال: ثم قدمه خالد فضرب عنقه صبرا (٣). فيقال إن خالد بن الوليد تزوج بامرأة مالك (٤) ودخل بها، وعلى ذلك أجمع أهل العلم.

.

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) كذا بالأصل، ويفهم من رواية الطبري والأغاني أن قتلهم لم يكن مقررا إنما كان لسوء فهم أمر أصدره خالد بقوله: أدفئوا أسراكم وكان في لغة كنانة إذا قالوا: دثروا الرجل فأدفئوه، دفئه أي اقتلوه من الدفء. فظن القوم - وهي في لغتهم القتل - أنه أراد القتل، فقتلوهم. وقد عبر خالد عن أسفه بقوله: إذا أراد الله أمرا أصابه (٣ / ٢٧٨ الأغاني ١٥ / ٣٠١).

(٣) كذا بالأصل، وهو ما ذهب إليه اليعقوبي، وأما في الرواية المتقدمة عن الطبري والأغاني أن ضرار بن الأزور هو الذي قتل مالكا. ويقول أخوه متمم بن نويرة يرثيه:

فعشنا بخير في الحياة وقبلنا * أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

في أبيات (الأغاني - الكامل لابن المبرد - أدب الكاتب وقال:

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت * خلف البيوت قتلت يا بن الأزور.

أدعوته بالله ثم غدرته * لو هو دعاك بذمة لم يغدر.

(٤) هي أم تميم بنت المنهال بن عصمة الرياحي وهو الذي كفن مالكا - بثوبيه.

ذكر أمر مسيلمة الكذاب وما كان
من حروبه مع خالد بن الوليد والمسلمين
قال: وأقام خالد بن الوليد بالبطاح من أرض بني تميم بعد قتل مالك ابن نويرة ينتظر أمر أبي بكر رضي الله عنه (١). وجعل مسيلمة بن حبيب الكذاب يعلو أمره باليمامة يوما بعد يوم ويقول لقومه بني حنيفة: أريد أن تخبروني بماذا صارت قريش أحق بالنبوة والإمامة منكم، والله! ما هم بأكثر منكم ولا أنجد، وإن بلادكم لأوسع من بلادهم، وأموالكم أكثر من أموالهم، وإن جبرئيل عليه السلام ليأتيني في كل يوم بالذي أريده من الأمور، وينزل علي كما كان ينزل على محمد بن عبد الله من قبلي، وبعد فهذا الرحال بن نهشل (٢) ومحكم بن الطفيل وهما من سادات أهل اليمامة فسلوهما هل يشهدان لي بأن محمد بن عبد الله قد أشركني في نبوته قبل وفاته (٣). قال: فأقبل قوم من أشراف بني حنيفة إلى الرحال (٢) بن نهشل ومحكم بن الطفيل فقالوا لهما: إن مسيلمة بن حبيب قد ادعى النبوة بين أظهرنا منذ كذا وكذا وقد زعم لنا أنكما تشهدان له بأن محمد بن عبد الله قد أشركه في نبوته قبل وفاته وأنتما عندنا شيخان صادقان فما الذي عندكما؟ قال الرحال (٢) بن نهشل: صدق مسيلمة في قوله، أنا أشهد أن محمد بن عبد الله قد أشركه في نبوته قبل وفاته (٣)، وقال محكم بن الطفيل: وأنا أشهد بذلك. قال: فعندها تسارع الناس إلى مسيلمة وآمنوا بنبوته إلا القليل منهم.

---

(١) في الطبري: أنه لما بلغ أبا بكر خبر مالك بن نويرة وما أقدم عليه خالد بن الوليد كتب إليه أن يقدم عليه، ففعل، فأخبره خبره، فعذره وقبل منه، وعنفه في التزويج الذي كانت تعيب عليه العرب من ذلك. (٣ / ٢٧٨ - ٢٧٩ والأغاني ١٥ / ٣٠١ - ٣٠٢).

(٢) كذا بالأصل، وهو الرجال بن عنفوة بن نهشل (وقيل هو الرجال بالحاء) واسمه نهار (عن ابن الأثير) وكان قد أسلم في قومه بنى حنيفة وهاجر إلى النبي (ص) وقرأ القرآن، وفقه في الدين، فبعثه معلما لأهل اليمامة وليشغب على مسيلمة فكان أعظم فتنة على بنى حنيفة من مسيلمة.

(٣) وكان مسيلمة قد تنبأ سنة عشر، وكان كتب إلى رسول الله إني أشركت معك، فلك نصف الأرض، ولى نصفها، ولكن قريش قوم لا يعدلون. فكتب اليه رسول الله (ص): من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب: أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين.

ذكر سجاح بنت الحارث (١) التميمة لما زوجت
نفسها من مسيلمة
قال: وظهر أمر مسيلمة باليمامة وانتشر ذكره في الناس، وسمعت به سجاح
بنت الحارث (١) التميمية وقد كانت ادعت النبوة (٢) وتبعها رجال من قومها غيلان
بن
خرشة (٣) والحارث (٤) بن الاهتم وجماعة من بني تميم. (٥) قال: وكان لها مؤذن
(٦) يؤذن
بها ويقول: أشهد أن سجاح (١) نبية الله. قال: فسارت سجاح (١) هذه إلى مسيلمة
الكذاب سلمت عليه بالنبوة وقالت: إنه بلغني أمرك وسمعت بنبوتك وقد أقبلت إليك
وأحببت أن أتزوج بك، ولكن أخبرني ما الذي أنزل إليك من ربك؟ فقال مسيلمة:
أنزل علي من ربي: لا أقسم بهذا البلد، ولا تبرح هذا البلد، حتى تكون ذا مال
وولد، ووفر وصفد، وخيل وعدد، إلى آخر الأبد، على رغم من حسد. قال:
فقالت سجاح (١): إنك نبي حقا، وقد رضيت بك وزوجتك نفسي، ولكن أريد أن
تجعل لي صداقا يشبهني، قال مسيلمة: فإني قد فعلت ذلك. قال: دعا مسيلمة
بمؤذنه (٧) فقال: ناد في قوم هذه المرأة: ألا! إن نبيكم مسيلمة قد رفع عنكم
صلاتين (٨) من الخمس التي جاء بها محمد بن عبد الله، وهي صلاة الفجر وصلاة
العشاء الأخيرة، فقالت سجاح (١): أشهد أنك لقد جئت بصواب.
قال: وضج المسلمون إلى أبي بكر رضي الله عنه وقالوا: يا خليفة

---

(١) بالأصل شجاح بنت المنذر، تحريف. وهي سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان.
(٢) تنبأت بعد موت رسول الله (ص) بالجزيرة في بني تغلب، فاستجاب لها الهذيل، وترك التنصر. وتابعها جمع من عشيرتها.
(٣) عن الطبري، وبالأصل حرشنة.
(٤) في الطبري: وعمرو.
(٥) زيد في الطبري ٣ / ٢٧٤ والزبرقان بن بدر، وعطارد بن حاجب وشبث بن ربعي.
(٦) في تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٢٩ الأشعث بن قيس، وفي الطبري والكامل لابن الأثير: شبث بن ربعي الرياحي. وفي المعارف لابن قتيبة ص ١٧٨: مؤذنها زهير بن عمرو من بني سليط بن يربوع، ويقال أن شبث بن ربعي أذن لها.
(٧) في الطبري وابن الأثير: دعا مسيلمة بمؤذنها وقال له: ناد في أصحابك...
(٨) في الأغاني ١٨ / ١٦٦ (قد وضعت عنكم صلاة العصر. فبنو تميم إلى الآن بالرمل لا يصلونها، ويقولون: هذا حق لنا، ومهر كريمة منا لا نرده).

رسول الله! قد انتشر من ذكر هذا الملعون الكذاب بأرض اليمامة. قال: فقال أبو بكر رضي الله عنه: لا تعجلوا فإني أرجو أن الله تبارك وتعالى قد أذن في هلاكه.

ذكر كتاب أبي بكر رضي الله عنه
إلى خالد بن الوليد في أمر مسيلمة

قال: ثم كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد رضي الله عنهما وهو يومئذ مقيم بالبطاح (١) فكتب إليه (٢):

(بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله بن عثمان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
خالد بن الوليد ومن معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان.

أما بعد يا خالد! فإني قد أمرتك بالجد في أمر الله والمجاهدة لمن تولى عن سبيل الله إلى غيره ورجع عن دين الإسلام والهدى إلى الضلالة والردى، وعهدي إليك يا خالد أن تتقى الله وحده لا شريك له، وعليك بالرفق والتأني، [وإياك ونخوة بني المغيرة] (٣)، وسر نحو بني حنيفة ومسيلمة الكذاب، واعلم بأنك لم تلق قوما قط يشبهون بني حنيفة في البأس والشدة، فإذا قدمت عليهم، فلا تبدأهم بقتال حتى تدعوهم إلى داعية الإسلام، واحرص على صلاحهم، فمن أجابك منهم فأقبل ذلك منه، ومن أبي فاستعمل فيه السيف.

واعلم يا خالد بأنك إنما تقاتل قوما كفارا بالله وبالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا
عزمت على الحرب فباشرها بنفسك، ولا تتكل على غيرك، وصف صفوفك واحكم بعينك (٤) واجزم (٥) على أمرك، واجعل على ميمنتك رجلا ترضاه، وعلى ميسرتك مثله، واجعل على خيلك رجلا عالما صابرا، واستشر من معك من أكابر (٦) المسلمين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله تبارك وتعالى موفقك بمشورتهم.

---

(١) تقدم أن أبا بكر كان قد استدعى خالدا بعد قتله مالك بن يربوع فقدم عليه خالد واعتذر إليه فعذره وقبل منه ثم وجهه إلى مسيلمة وأوعب معه الناس. (الطبري ٣ / ٢٨١ الكامل لابن الأثير ٢ / ٣٥).

(٢) مجموعة الوثائق السياسية حميد الله ص ٣٤٨ عن كتاب الردة للواقدي ص ٧١ - ٧٢.

(٣) ما بين معكوفتين سقط من مجموعة الوثائق.

(٤) في مجموعة الوثائق: تعبئتك.

(٥) في مجموعة الوثائق: واحزم.

(٦) في مجموعة الوثائق: أكابر أصحاب.

واعرف للمهاجرين والأنصار حقهم وفضلهم، ولا تكسل ولا تفشل، وأعد السيف للسيف والرمح للرمح والسهم للسهم، واستوص بمن معك من المسلمين خيرا، ولين الكلام وأحسن الصحبة واحفظ وصية نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في الأنصار خاصة.

أن (١) تحسن إلى محسنهم وتتجاوز عن مسيئهم، وقل: لا حول ولا قوة إلا بالله).

قال: فلما ورد الكتاب على خالد بن الوليد جمع أصحابه ثم قرأ عليهم الكتاب وقال: ما الذي ترون الآن من الرأي؟ فقالوا: الرأي رأيك وليس فينا أحد يخالفك.

قال: فعندها عزم خالد على المسير إلى مسيلمة وأصحابه (٢)، وكتب حسان بن ثابت الأنصاري إلى محكم بن الطفيل وزير مسيلمة يهدده، قال: فلما وصل كتابه إلى محكم بن الطفيل هذا الذي هو وزير مسيلمة وقرأه أرسل إلى وجوه أهل اليمامة فجمعهم ثم أقبل عليهم فقال: يا بني حنيفة! هذا خالد بن الوليد قد سار إليكم في جمع المهاجرين والأنصار وإنكم تلقون غدا قوما يبذلون أنفسهم دون صاحبهم، فابذلوا أنفسكم دون صاحبكم. قال: فقالت بنو حنيفة: سيعلم خالد غدا إذا نحن التقينا أنا بخلاف من لقي من العرب، فقال محكم بن الطفيل: هذا الذي أريده منكم. قال: وبلغ بني حنيفة أن خالدا قد سار إليهم في الحد والحديد والخيل والجنود فاجتمعوا إلى رجل واحد من أكابرهم يقال له ثمامة بن أثال (٣) - وكان ذا عقل

وفهم ورأى وكان مخالفا لمسيلمة على ما هو عليه - فقالوا له: يا أبا عامر! إنه قد سار هذا الرجل إلى مقاتلتنا يريد قتلنا وبوارنا واستئصالنا عن جدبة الأرض، فهذا مسيلمة بن حبيب بين أظهرنا وقد ادعى ما قد علمت من النبوة، فهات الذي عندكم من الرأي (٤).

---

(١) في مجموعة الوثائق: وأن.

(٢) رواية الطبري ٣ / ٢٨٠ أنه لما وجهه أبو بكر إلى مسيلمة أوعب معه الناس... وتعجل خالد حتى قدم على أهل العسكر بالبطاح، وانتظر البعث الذي ضرب بالمدينة، فلما قدم عليه نهض حتى أتى اليمامة وبنو حنيفة يومئذ كثير.

(٣) من الطبري والإصابة. وبالأصل: تمامة بن أتال. وهو ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لجيم. حاول وهو مشرك أن يقتل رسول الله (ص) فأخذ وأمر به فربط إلى عمود من عمد المسجد ثم عفا عنه رسول الله (ص) وتركه ثم أسلم. قال ابن إسحاق: لما ارتد أهل اليمامة عن الإسلام لم يرتد ثمامة وثبت على إسلامه هو ومن اتبعه من قومه وكان مقيما باليمامة ينهاهم عن اتباع مسيلمة وتصديقه ويقول: إياكم وأمرا مظلما لا نور فيه وأنه لشقاء. قتله بنو الحصم. (أسد الغابة).

(٤) قيل إن ثمامة كتب إلى مسيلمة ينصحه كتابا نسخته (عن مجموعة الوثائق حميد الله ص ٣٤٩ عن كتاب الردة للواقدي ص ٧٦): ارجع ولا تدع، فإنك في الأمر لم تشرك. كذبت على الله في وحيه وكان

هواك هوى. ألا وتدو مناك (؟ وقد مناك) وقومك أن يمنعوك. وإن باتهم خالد ينزل، فما لك في الجو من مصعد، وما لك في الأرض من مسلك. سحبت الذيول إلى سوءة (؟) على من يقل مثله يهلك.

قال: فقال لهم ثمامة (١): ويحكم يا بني حنيفة! اسمعوا قولي تهتدوا، وأطيعوا أمري ترشدوا، واعلموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان نبيا مرسلا لا شك في نبوته،
ومسيلمة رجل كذاب لا تغتروا بكلامه وكذبه، فإنكم قد سمعتم القرآن الذي أتى به محمد (صلى الله عليه وسلم وآله) عن ربه إذ يقول: (بسم الله الرحمن الرحيم * حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير *) (٢) فأين هذا الكلام من كلام مسيلمة الكذاب! فانظروا في أموركم ولا يذهبن هذا عنكم، ألا! وإني خارج إلى خالد بن الوليد في ليلتي هذه طالبا منه الأمان على نفسي ومالي وأهلي وولدي، فقال القوم: نحن معك يا أبا عامر! فكن من ذلك على علم. ثم خرج ثمامة بن أثال في جوف الليل في نفر من بني حنيفة حتى صار إلى خالد فاستأمن إليه فأمنه خالد وأمن أصحابه.
قال: وسار خالد بمن معه من المهاجرين والأنصار حتى إذا تقارب من أرض اليمامة نزل إلى جنب واد من أوديتها، ثم بعث بجماعة من أصحابه يزيدون على مائتي فارس فقال لهم: سيروا في هذه البلاد فأتوني بكل من قدرتم عليه، فساروا فإذا هم برجل من أشراف بني حنيفة يقال له مجاعة بن مرارة ومعه ثلاثة (٤) وعشرون رجلا من بني حنيفة.
ذكر مجاعة بن مرارة وسارية بن عامر
قال: فدنا منهم المسلمون فقالوا: من أنتم؟ قالوا: نحن قوم من بني حنيفة، قال المسلمون: فلا أنعم الله بكم عينا يا أعداء الله! ثم أحاطوا بهم

---

(١) بالأصل: تمامة.
(٢) سورة غافر: ١ - ٣.
(٣) في الطبري: حتى إذا كان من عسكر مسيلمة على ليلة.
(٤) في تاريخ خليفة ص ١٠٧ في عشرين رجلا. وفي الكامل ٢ / ٣٦ والبداية والنهاية ٦ / ٣٥٦ (أربعين وقيل ستين فارسا) وكانوا قد ذهبوا لأخذ ثأر لهم في بني تميم وبني عامر.

فأخذوهم وجاؤوا بهم إلى خالد بن الوليد حتى أوقفوهم بين يديه، فقال لهم خالد: يا بني حنيفة! ما تقولون في صاحبكم مسيلمة؟ فقالوا: نقول إنه شريك محمد في نبوته، فقال رجل يقال له سارية بن عامر (١): يا أبا سليمان! ولكني لا أقول ذلك، قال خالد: يا مجاعة (٢)! ما تقول فيما يقول أصحابك هؤلاء؟ فقال مجاعة: أقول إني قدمت المدينة وبها رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله) فآمنت به وصدقته أنا وصاحبي هذا سارية بن عامر، لا والله ما غيرنا ولا بدلنا! غير أنه لم يكن لنا بد من مداراة مسيلمة خوفا على أنفسنا وأموالنا وأولادنا، فقال له خالد بن الوليد: فاعتزل أنت وصاحبك هذا ناحية من هؤلاء الكفار. ثم قدم خالد بقية القوم فضرب أعناقهم صبرا، ثم عمد إلى مجاعة فقال مجاعة: أيها الأمير! إني لم أزل مسلما وأنا اليوم على ما كنت عليه أمس وقد عجلت على هؤلاء القوم بالقتل وأنا والله خائف على نفسي منك! ولكن أيها الأمير إن كان رجل كذاب خرج بين أظهرنا فادعى ما ادعى فليس يجب عليك أن تأخذ البرئ بأمر السقيم، فإن الله تبارك وتعالى يقول: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) (٣)، قال: فسكت عنه خالد ولم يكلمه بشئ. قال: ثم أقبل عليه سارية بن عامر فقال: أيها الأمير! من خاف سيفك رجا عدلك ومن رجا عدلك رجا أمانا منعما، وخفتك ورجوتك وأنا بحمد الله على دين الإسلام، ما غيرت ولا بدلت، فإن أردت أن نسأل لك أمر بني حنيفة فاستبقني واستبق هذا الشيخ فإنه سيد أهل اليمامة ولا تؤاخذونا بما كان منا ومن تخلفنا عنك والسلام، قال خالد: فإني عفوت عنكما ولكن أقيما في عسكري ولا تبرحا حتى أنظر ما ينصرم أمري وأمر بني حنيفة، ثم أمر خالد بمجاعة وسارية فأطلقهما من حديدهما.

---

(١) في الإصابة: سارية بن عمرو الحنفي.

(٢) هو مجاعة بن مرارة بن سلمى وقيل سليم بن زيد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة الحنفي اليمامي من رؤساء بني حنيفة. وفيه يقول شاعر بني حنيفة:

ومجاع اليمامة قد أتانا * يخبرنا بما قال الرسول

فأعطيناه المقادة واستقمنا * وكان المرء يسمع ما يقول

وقد أنشد مجاعة يعبر عن تخوفه من خالد بعد ما أسر:

أترى خالدا يقتلنا اليو * م بذنب الأصغر الكذاب

لم يدع ملة النبي ولا نحسن * رجعنا فيها على الأعقاب

قال المرزباني: وبقي إلى خلافة معاوية.

(٣) سورة الأنعام: ١٦٤ والاسراء: ١٥ وفاطر: ١٨ والزمر: ١٧.

ذكر الوقعة بين مسيلمة وخالد بن الوليد ومقتل مسيلمة
قال: وسار خالد بن الوليد بالمسلمين حتى نزل بموضع يقال له عقرباء (١) من أرض اليمامة، فضرب عسكره هناك. وسار مسيلمة في جميع بني حنيفة حتى نزل حذاء خالد، فأقاموا يومهم ذلك ينظر بعضهم إلى بعض، فلما كان من غد وثب مسيلمة يعبى أصحابه تعبية الحرب ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين (٢)، ونظر خالد بن الوليد إلى ذلك فوثب يعبي أصحابه فكان على ميمنته زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعلى ميسرته أسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى
الجناح البراء بن مالك أخو أنس بن مالك (٣). قال: وسلت بنو حنيفة سيوفها من أجفارها وأبرقوا بها، ثم إنهم ضجوا ضجة ونعروا نعرة منكرة، فقال خالد: أيها القوم أبشروا! فإن القوم مخذولون إن شاء الله تعالى، وإنما سلوا هذه السيوف ليرهبوكم ولم يفعلوا ذلك إلا جزعا وفشلا، قال: فسمع رجل من بني حنيفة فقال: (٤) هيهات والله يا بن الوليد! لكن أبرزناها لكم من أغمادها لتعلموا أنها ليست كسيوفكم الخشنة الكليلة.
قال: ودنا القوم بعضهم من بعض وتقدم خالد بن الوليد في أول القوم ثم قاتل ساعة ورجع إلى أصحابه، وتقدم عمار بن ياسر وفي يده صحيفة له يمانية ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل منهم جماعة، وحمل رجل من بني حنيفة فضربه فالتقاها عمار بحجفته فزاحت الضربة عن الحجفة وهوت إلى أذن عمار فرمت بها، فلما بقيت أذن عمار معلقة سقطت على عاتقه، قال: وداخله عمار فضربه ضربة قتله.
قال: ثم تقدم الحارث بن هشام المخزومي أخو أبي جهل بن هشام فجعل يهدر كالفحل، ثم حمل وقاتل قتالا شديدا ورجع إلى موقفه، وتقدم زيد بن الخطاب ثم

---

(١) عقرباء: منزل من أرض اليمامة في طريق النباج (معجم البلدان).
(٢) كان على مقدمته الرجال بن عنفوة بن نهشل. وفي الطبري: جعل مسيلمة على مجنبتيه المحكم والرجال.
(٣) في الطبري ٣ / ٢٨٦ قدم خالد شرحبيل بن حسنة، وأمر على المقدمة خالد بن فلان المخزومي وجعل على المجنبتين زيدا وأبا حذيفة. وفي رواية أخرى ٣ / ٢٨٨ كانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس.
(٤) في الطبري ٣ / ٢٨٩ هو مجاعة بن مرارة قال: كلا والله ولكنها الهندوانية خشوا عليها من تحطمها، فأبرزوها للشمس لتلين لهم.

حمل وذلك في آخر النهار فلم يزل يقاتل حتى قتل خمسة من وجوه القوم وفرسانهم وقتل (١) - رحمة الله عليه -. قال: فتقدم ابن عم له يقال له عامر بن بكير العدوي حتى وقف بين الجمعين، قال: ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل - رحمة الله عليه.

قال: واشتبك الحرب بين الفريقين فقتل من المسلمين زهاء عن ثلاثمائة رجل، وقتل من بني حنيفة جماعة، فأمسى القوم فرجع بعضهم عن بعض ولم ينم منهم أحد تلك الليلة لما يخافون من البيات، فلما كان من الغد دنا بعضهم إلى بعض، وتقدم محكم بن الطفيل هذا - وزير مسيلمة وصاحب أمره - فتقدم حتى وقف أمام أصحابه شاهرا سيفه، ثم حمل على المسلمين فقاتل قتالا شديدا، وحمل عليه ثابت بن قيس الأنصاري فطعنه في خاصرته طعنة نكسه عن فرسه قتيلا (٢)، ثم جال الأنصاري في ميدان الحرب جولة، ثم حمل هذا الأنصاري في جماعة من بني حنيفة فلم يزل يقاتل حتى قتل - رحمة الله عليه -. قال: ثم تقدم السائب بن العوام أخو الزبير بن العوام ثم حمل، فلم يزل يقاتل حتى قتل - رحمة الله عليه.

ذكر البراء بن مالك أخي أنس بن مالك

قال: وكان البراء بن مالك فارسا بطلا لا يصطلى بناره، وكان إذا شهد الحرب وعاينها أخذته الرعدة (٣) وينتفض انتفاضا شديدا حتى كان ربما يعقل بالحبال ويضبطه

الرجال فلا يزال كذلك ساعة حتى يفيق، وإذا أفاق يبول بولا أحمر كأنه نقاعة الحناء، ثم إنه يثب قائما مثل الأسد فيقاتل قتالا شديدا لا يقوم له أحد، قال: فلما كان ذلك اليوم وعاين البراء بن مالك من شدة الحرب ما عاين أخذته الرعدة والنفضة، فلما أفاق (٤) وثب ثم حمل على جميع بني حنيفة فجعل تارة يضرب بسيفه وتارة يطعن فيهم برمحه حتى قتل منهم جماعة ورجع إلى موقفه. قال: وصاحت بنو حنيفة بعضها ببعض وحملوا على المسلمين حملة منكرة حتى أزالوهم عن موقفهم

---

(١) قتله أبو مريم الحنفي (تاريخ خليفة ص ١٠٨) وقيل قتله: سلمة بن صبيح ابن عم أبي مريم (الاستيعاب).

(٢) في تاريخ خليفة ص ١٠٩ رماه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق يسهم فقتله. زيد في الطبري ٣ / ٢٩٠ رماه بسهم فوضعه في نحره فقتله.

(٣) في الطبري ٣ / ٢٩٠ (العروراء) وهي رعدة تصيب الانسان، وهي في الأصل برد الحمى.

(٤) في الطبري: فما بال وثب.

وقتلوا منهم نيفا على ثمانين رجلا. قال: ثم كبر المسلمون وحملوا عليهم وكشفوهم كشفة قبيحة.
ثم تراجعت بنو حنيفة ومعهم صاحبهم مسيلمة حتى وقف أمام قومه، ثم حسر عن رأسه، ثم إنه حمل وحمل معه بنو حنيفة كحملة رجل واحد وانهزم المسلمون بين أيديهم وأسلموا سوادهم. قال: وصارت بنو حنيفة إلى فسطاط خالد فأحدقوا به (١)، وثبت لهم خالد يومئذ وحده يضاربهم بالسيف، فإذا هو قد كشفهم عن فسطاطه ويلتفت إلى المسلمين فيناديهم: ويحكم يا قراء القرآن! أما تخافون غضب الرحمن وعذاب النيران؟ ويحكم يا أهل دين محمد! أين الفرار ممن يزعم أنه شريك نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم في نبوته ورسالته؟ أما تخافون الله أن يطلع عليكم
فيجازيكم على سوء فعلتكم؟ قال: فتاب الناس إليه من كان جانب حتى أحدقوا به، ودنت بنو حنيفة للقتال كأنهم الأسد الضارية، واشتبك الحرب بين الفريقين، وتقدم أبو دجانة سماك ابن خرشة (٢) الأنصاري، ثم حمل أبو دجانة على بني حنيفة فلم يزل يقاتل حتى قتل منهم جماعة، قال: وحمل عليه رجل من سادات بني حنيفة ليضربه بالسيف فأخطأه وضربه أبو دجانة ضربة فقطعه نصفين، وحمل على رجل آخر من بني حنيفة وولى الحنفي من بين يديه ولحقه أبو دجانة فضربه فقطع ساقيه جميعا، ثم حمل على ميمنتهم فضرب فيهم ضربا وجيعا وحمل على ميسرتهم ففعل كذلك، وكان ربما حمل على الرجل فيعانقه ثم يضربه فيذبحه ثم يقف وينادى بأعلى صوته: يا أهل الدين والإسلام! إلي إلي فداكم أبي وأمي! فتاب إليه السوابق من أهل بدر وأحد والأحزاب فكبروا وحملوا معه حملة عجيبة على مسيلمة وأصحابه فكشفوهم كشفة فاضحة وقتلوا منهم جماعة، ثم رجعوا إلى مواقفهم.
قال: وتقدم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري خطيب الأنصار وشيخهم

---

(١) في الطبري: فزال خالد عن فسطاطه، ودخل ناس الفسطاط وفيه مجاعة [بن مرارة، وكان خالد قد أبقاه في فسطاطه مع امرأته أم تميم] عند أم تميم، فحمل عليها رجل بالسيف، فقال مجاعة: مه أنا لها جار، فنعمت الحرة! عليكم بالرجال ٣ / ٢٨٩.
(٢) عن الاستيعاب ٢ / ٨٣ وبالأصل حرشنة. وهو سماك بن خرشة، ويقال: سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان بن عبد ود بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، مشهور بكنيته أحد الشجعان شهد بدرا.

فتقدم (١) وفي يد راية صفراء ثم حمل على القوم فلم يزل يطاعن حتى قتل (٢) - رحمة
الله عليه -. قال: فتقدم ابن عم له يقال له بشير بن عبد الله من بني الحارث بن النجار حتى وقف بين الجمعين، قال: ثم حمل بشير بن عبد الله هذا فلم يزل يقاتل حتى قتل - رحمه الله تعالى.
قال رافع بن خديج الأنصاري: والله! لقد كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى (ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) (٣) فلم نعلم من هم حتى دعانا أبو بكر رضي الله عنه إلى قتال بني حنيفة، فلما قاتلناهم علمنا أنهم أولو بأس شديد، وذلك أنهم هزمونا نيفا على عشرين هزيمة وقتلوا منا مقتلة عظيمة وكادوا أن يفضحونا مرارا غير أن الله عز وجل أحب أن يعز دينه.
قال: ثم إن المسلمين اجتمعت آراؤهم على أن يحملوا بأجمعهم على بني حنيفة... (٤) واحدة ثم إنهم لا يرجعون دون أن ينكوا فيهم. قال... (٥) على ذلك، ثم إنهم اجتمعوا في موضع واحد وكبروا تكبيرة واحدة وحملوا عليهم فكشفوهم حتى ألجؤوهم إلى حديقة لهم، فلما أدخلوهم إلى جوفها ومسيلمة معهم أقبل المسلمون إلى الحديقة، فقال أبو دجانة الأنصاري (٦): ويحكم يا معشر الأنصار! احملوني حملا [وألقوني] (٧) إليهم. قال: فحملوا أبا دجانة الأنصاري (٦) على ترس... (٨) الأنصار ثم رفع بالرماح حتى ألقى في جوف الحديقة. قال... (٨) أبو دجانة (٦) في وسط الحديقة ثم وثب كالليث

---

(١) تقدم وهو يقول: بئسما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين! اللهم إني أبرأ إليك مما يعبد هؤلاء - يعني أهل اليمامة - وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء - يعني المسلمين -.
(٢) في البداية والنهاية ٦ / ٣٥٧: حفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقيه، وهو حامل لواء الأنصار بعد ما تحفظ وتكفن فلم يزل ثابتا حتى قتل هناك (وانظر الطبري ٣ / ٢٩٠ وتاريخ خليفة ص ١٠٧).
(٣) سورة الفتح: ١٦.
(٤) بالأصل مطموس، ولعله (حملة واحدة).
(٥) بالأصل مطموس.
(٦) في تاريخ خليفة والطبري وابن الأثير والنهاية: البراء بن مالك.
(٧) زيادة عن تاريخ خليفة ص ١٠٩، الأصل مطموس.
(٨) الأصل مطموس.

المغضب فلم يزل يقاتل في جوف الحديقة حتى قتل - رحمة الله عليه -. قال: وصاح رجل من بني حنيفة بأصحابه: ويلكم يا معشر بني حنيفة! اعملوا أن هذه الحديقة حديقة الموت فقاتلوا أبدا حتى تموتوا كراما.

قال: واقتحم خالد بن الوليد الحديقة بفرسه وبيده سيف لو ضرب به الحجر لقطعه، قال: فاستقبله رجل من بني حنيفة فقال له: أين تريد يا ابن كذا وكذا؟ فحمل عليه خالد واعتنقه الحنفي فسقطا عن فرسيهما جميعا إلى الأرض، فسقط الحنفي تحت خالد فجعل يجرحه بخنجر كان معه، وخالد قد قبض على حلقه والحنفي يجرحه من تحت حتى جرحه سبع جراحات، فوثب خالد وتركه وإذا فرس خالد قد غار عن الحديقة، فجعل خالد ظهره إلى باب الحديقة وجعل يقاتل حتى تخلص وهو لما به. قال: وأقبل عباد بن بشر (٢) الأنصاري حتى وقف على باب الحديقة ثم نادى بأعلى صوته: يا معشر الأنصار! احطموا جفور (٣) سيوفكم واقتحموا... (٤) الحديقة عليهم فقاتلوهم أو يقتل مسيلمة الكذاب. قال: ثم كسر عباد بن بشر... سيفه وكسرت الأنصار جفار سيوفهم واقتحموا الحديقة ... (٦) ومائة رجل، فقاتلوا حتى ما بقي منهم إلا أربعة نفر فإنهم أقبلوا مجروحين لما بهم.

قال: وعظم الأمر على الفريقين جميعا، والتفت بنو حنيفة إلى مسيلمة فقالوا له: يا أبا ثمامة! ألا ترى إلى ما نحن فيه من قتال هؤلاء؟ فقال مسيلمة: بهذا أتاني

---

(١) كذا بالأصل والعبارة في الطبري ٣ / ٢٩٠: (فقال البراء: يا معشر المسلمين، القوني عليهم في الحديقة، فقال الناس: لا تفعل يا براء، فقال: والله لتطرحني عليهم فيها، فاحتمل حتى إذا أشرف على الحديقة من الجدار، اقتحم فقاتلهم على باب الحديقة، حتى فتحها للمسلمين، ودخل المسلمون عليهم فيها) وقال خليفة ص ١٠٩: (... فقاتلهم حتى فتح الباب، وفيه بضع وثمانون جراحة من بين رمية بسهم وضربة فحمل إلى رحله يداوى فأقام عليه خالد شهرا) (انظر الاستيعاب ١ / ١٥٥).

(٢) من تاريخ خليفة ص ١١٣ وبالأصل (بشير) تحريف.

(٣) كذا جفور، وجفار يريد جمع جفرة. وجفرة كل شيء وسطه ومعظمه. والجفير: الكنانة والجعبة التي تجعل فيها السهام (اللسان).

(٤) بالأصل مطموس، لعله (جدار).

(٥) بالأصل مطموس: لعله (جفرة).

(٦) مطموس بالأصل، وفي المطبوعة عن الترجمة الفارسية: وهم عشرون ومائة.

الوحي أن القوم يلجؤوكم إلى هذه الحديقة ويكون قتالكم معهم في جوفها، فقال له بعضهم: فأين ما وعدتنا من ربك بأنه ينصرنا على عدونا، وأن هذا الدين الذي نحن فيه هو الدين القيم؟ فقال مسيلمة: أما الدين فلا دين لكم، ولكن قاتلوا عن أحسابكم. تظنون أنا إنما كنا نقاتل إلى... (١) ونحن على الحق وهم على الباطل، إنه لو كان ما تظنون إذا لما... (٢) أحد جمعنا. قال: ثم جعل مسيلمة يرتجز. قال: فعند ذلك علم القوم أنهم كانوا في غرور وضلال من استمساكهم بدين مسيلمة، وجعل رجل منهم يرتجز.

قال: فاقتحم المسلمون بأجمعهم على مسيلمة وأصحابه فقاتلوهم حتى احمرت الأرض من الدماء. قال: ونظر وحشي (٣) غلام جبير بن مطعم بن عدي إلى مسيلمة وقد ألجأه المسلمون إلى جانب الحديقة فقصده وحشي وقصده أيضا رجل من الأنصار يقال له: عبد الله بن يزيد، (٤) ونظر إليهما مسيلمة وقد قصداه فحمل عليهما، ثم بدره الأنصاري بضربة على رأسه فأوهنه، ورماه وحشى بحربة كانت في يده فوقعت الحربة في خاصرته فسقط مسيلمة عدو الله عن فرسه قتيلا (٥). قال: وتصايح الناس من كل جانب وقالوا: ألا! إن مسيلمة عدو الله قد قتله عبد أسود وهو وحشي غلام جبير بن مطعم. قال: وجعل وحشي ينادى: أيها الناس! أنا وحشي غلام جبير بن مطعم! قتلت خير الناس وأنا كافر - يعني حمزة بن عبد المطلب رحمة الله عليه - وقتلت شر الناس وأنا مسلم - يعني مسيلمة الكذاب -، قال: ثم أنشأ الأنصاري (٦). قال: ودفع بنو حنيفة جانبا من حائط الحديقة فهدموه وخرجوا منها والسيف يأخذهم، وأقبل خالد بن الوليد حتى دخل الحديقة ومعه جماعة من

---

(١) بالأصل مطموس، ولعله: إلى إظهار هذا الدين.

(٢) بالأصل مطموس: ولعله: إذا لما فرق.

(٣) هو وحشي بن حرب الحبشي، أبو دسمة وهو من سودان مكة مولى طعيمة بن عدي وقيل مولى جبير بن مطعم بن عدي قاتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه يوم أحد. كان يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام (أسد الغابة).

(٤) في تاريخ خليفة: عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب من بني مازن بن النجار. وفي البداية والنهاية ٦ / ٣٥٧: أبو دجانة الأنصاري سماك بن خرشة، ضربه بالسيف فسقط. وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٠.

(٥) كان وحشي يقول: ربك أعلم أينا قتله! (وقد ضرباه سوية فلا يدرى ضربة من منهما أصابته أولا).

(٦) كذا، وقد سقط كلامه من الأصل.

المسلمين، فوقف على مسيلمة وهو مقتول ونظر إليه فإذا هو أصفر أحمش (١) ضعيف البدن، فقال خالد بن الوليد: أين مجاعة بن مرارة؟ فقال: ها أنا ذا - أصلح الله الأمير! فقال: هذا صاحبكم الذي أوقعكم (٢)! فقال مجاعة: نعم - أصلح الله الأمير! هذا صاحبنا فلعنة الله عليه فلقد كان مشوما على نفسه وعلى بني حنيفة.

قال: ثم جعل مجاعة بن مرارة يقول (٣):

ذكر الصلح الذي جرى بين خالد بن الوليد
وبين مجاعة بن مرارة.

قال: ثم أقبل مجاعة على خالد فقال: أيها الأمير! هلم فصالحني على من ورائي من الناس، فإني أعلم أنه ما أتاك إلى الحرب إلا سرعان الخيل (٤)، فقال خالد: ويلك ما تقول يا مجاعة! فقال: أقول إن الحصون مملوءة رجالا وسلاحا!

قال: فظن خالد أنه كما يقول مجاعة، فجعل يقدم ويؤخر في الصلح.

قال: وأرسل مجاعة إلى الحصون فأمر النساء أن يلبسن... (٥) والمغافر ويتقلدن ويقفن على أسوار الحصون حتى ينظر إليهن خالد. قال: ففعل النساء ما أمرهن به مجاعة ولبسن السلاح، فلما وقفن على حيطان الحصون ونظر إليهن خالد قال: ويحك يا مجاعة! إني أرى حصونكم مملوءة رجالا وسلاحا، فقال له مجاعة: قد خبرتك بذلك أيها الأمير ولكنك أبيت أن تصالحني، قال خالد بن الوليد: فإني قد صالحتك. قال: فصالحه خالد على ما ظهر من الصفراء والبيضاء من الذهب والفضة وعلى ثلث الكراع وربع من السبي. وأقبل مجاعة نحو الحصون فإذا هو بامرأة من بني حنيفة قد رفعت صوتها وهي تقول (٦)، قال: فدنا منها

---

(١) في تاريخ خليفة ص ١١٠: (رويجل أصفر أحيمش) والاحيمش: دقيق الساقين صغير الحجم. وفي تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٥: أخينس (تصغير أخنس) والخنس: تأخر الانف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة.

(٢) في الطبري: هذا صاحبكم قد فرغتم منه. وفي تاريخ خليفة: هذا صاحبنا. فقال خالد: ويلك هذا فعل بكم ما فعل؟ قال: قد كان ذلك.

(٣) كذا، وسقط كلامه من الأصل.

(٤) في الطبري: (سرعان الناس) وسرعان: بالتحريك ويخفف. أوائلهم المستبقون إلى الامر.

(٥) الأصل مطموس. وفي مجموعة الوثائق السياسية ص ٣٥٠: الدروع.

(٦) كذا، وقد سقط من الأصل ما قالته.

مجاعة بن مرارة فقال لها: اسكتي – رض الله فاك! أنا مجاعة بن مرارة وقد صالحت خالدا صلح مكر فلا تبرحن عن مواضعكن حتى يتم الصلح (١).
ذكر عدد القتلى الذين قتلوا من المسلمين،
والكتاب الذي ورد على خالد من المدينة.
قال: وأحصى من قتل من المسلمين فكانوا ألفا ومائتي رجل (٢)،
[و] سبعمائة رجل كانوا حفاظ القرآن، وبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه ومن معه بالمدينة
من المسلمين، وقامت النياحات بالمدينة على القتلى. قال: وكتب بعض المسلمين إلى خالد بهذه الأبيات... (٣) يحرضه على قتل من بقي من بني حنيفة... (٤) قال: فلما وصلت هذه الأبيات إلى خالد بن الوليد ونظر فيها قال: إنه لولا ما مضى من صلح القوم لفعلت ذلك فأما الان فليس إلى قتلهم من سبيل.

---

(١) خرج مجاعة حتى أتى خالدا فقال: بعد شد ما رضوا، اكتب كتابك فكتب: (نص الصلح عن الطبري ٣ / ٢٩٨ ومجموعة الوثائق السياسية حتى ١٥٩) بسم الله الرحمن الرحيم (تفرد بها النويري وليست في الطبري).
هذا ما قاضى عليه خالد بن الوليد، مجاعة بن مرارة وسلمة بن عمير وفلانا وفلانا، قاضم على الصفراء والبيضاء، ونصف السبي والحلقة والكراع وحائط من كل قرية ومزرعة، على أن يسلموا.
ثم أنتم آمنون بأمان الله، ولكم ذمة خالد بن الوليد وذمة أبي بكر خليفة رسول الله (ص)، وذمة المسلمين على الوفاء.
(٢) كذا بالأصل والطبري ٣ / ٣٠٠ وفي رواية أخرى في الطبري ٣ / ٢٩٦: قتل من المهاجرين والأنصار ٣٦٠ ومن المهاجرين من غير المدينة والتابعين بإحسان ٣٠٠ من هؤلاء و ٣٠٠ من هؤلاء. وفي تاريخ خليفة ص ١١١: قتل من المهاجرين والأنصار ١٤٠ وكان جميع القتلى ٤٥٠ رجلا. وفي رواية: شهداء اليمامة ٥٠٠، فيهم ٥٠ أو ٣٠ من حملة القرآن. وقد ذكر خليفة أسماءهم انظر ص ١١١ وما بعدها.
(٣) كذا، ولم تذكر الأبيات بالأصل. وفي الطبري ٣ / ٢٩٧ أبيات قالها ضرار بن الأزور يوم اليمامة منها:
ولو سئلت عنا جنوب لأخبرت * عشية سالت عقرباء وملهم
(٤) بياض بالأصل.

ذكر كتاب خالد بن الوليد إلى أبي بكر الصديق
رضي الله عنهما بعد قتل مسيلمة وجواب الكتاب (١).
بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله بن عثمان خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله) من خالد بن الوليد، أما بعد فإن الله تبارك وتعالى لم يرد بأهل اليمامة إلا ما صاروا إليه، وقد صالحت القوم على (٢) شئ من الصفراء والبيضاء وعلى ثلث الكراع وربع السبي، ولعل الله تبارك وتعالى أن يجعل عاقبة صلحهم خيرا - والسلام. [عليك ورحمة الله وبركاته].
جواب الكتاب:
أما بعد فقد قرأت كتابك، وأما (٣) ما ذكرت فيه من صلح القوم. فأتمم للقوم ما صالحتهم عليه ولا تغدر بهم، واجمع الغنائم والسبي وما أفاء الله به عليك من مال بني حنيفة. فأخرج من ذلك الخمس ووجه به إلينا ليقسم فيمن بحضرتنا (٤) من المسلمين، وادفع إلى كل ذي حق حقه - والسلام.
قال: وبلغ خالد بن الوليد أن مجاعة بن مرارة قد خدعه وأوقف النساء على حيطان الحصون وألبسهم السلاح وأنه صالح خالدا صلح مكر. قال: فدعا به خالد وسأله عن ذلك، فقال: نعم أيها الأمير! إني لم أجد بدا مما فعلت وذلك أنهم قومي وعشيرتي وخشيت عليهم الفناء وأرجو أن نكون بعد هذا اليوم أعوانا لك على من ناواك. قال: فسكت عنه خالد ولم يجب أن ينقض الصلح الذي كان بينه وبين مجاعة، فانصرف مجاعة إلى منزله وأنشأ يقول... (٥).
قال: ثم رجع خالد إلى الغنائم فأخرج منها الخمس وقسم باقي ذلك في المسلمين وبعث الخمس إلى المدينة، وانتخب خمسين من وجوه أهل اليمامة فوجه بهم وفدا (٦) إلى أبي بكر رضي الله عنه حتى قدم هؤلاء القوم على أبي بكر مع

---

(١) انظر مجموعة الوثائق السياسية ص ٣٥٠ نقلا عن كتاب الردة للواقدي ص ٩٢ - ٩٥.
(٢) في مجموعة الوثائق: على ما وجد.
(٣) في مجموعة الوثائق: وما ذكرت فيه من صلح القوم بأنهم صالحوك.
(٤) مجموعة الوثائق: يحضرنا.
(٥) كذا بالأصل، ولم نجد الأبيات.
(٦) انظر الطبري: ٣ / ٣٠٠.

الخمس، فلما دخلوا إليه سلموا عليه ورد عليهم السلام، ثم قال: يا بني حنيفة! ما هذا الذي كنتم أزمعتم عليه من أمر مسيلمة؟ قال: فتكلم رجل منهم يقال له: عمرو بن شهم بن عبد العزيز بن سحيم فقال: يا خليفة رسول الله! خرج بيننا وكان رجلا مشؤوما أصابته فتنة من حديث النفس وأماني الشيطان دعا إليه قوما مثله فأجابوه إلى ما دعاهم إليه فلم يبارك الله عز وجل له في قومه ولا لقومه فيه وقد كان منا ما كان من غيرنا ممن ارتد من قبائل العرب وأنت أولى بالعفو والصفح الجميل – والسلام، ثم أنشأ يقول شعرا... (١) فلما فرغ عمرو بن شهم هذا من شعره أقبل أبو بكر عليه – رضي الله عنه – قال: ذاك بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد، قال: ثم رضى عنهم أبو بكر وأمرهم بالرجوع إلى بلدهم باليمامة.

ذكر تزوج خالد بن الوليد رضي الله عنه
إلى مجاعة بن مرارة بابنته بأرض اليمامة.

قال: وخطب خالد إلى مجاعة ابنته فزوجها إياه ودخل خالد بها هنالك بأرض اليمامة، فكان إذا جاءه المهاجرون والأنصار فسلموا عليه يرد عليهم السلام ويأمرهم بالجلوس فيجلس الرجل منهم حيث ما لحق، وإذا جاء أعمام هذه الجارية التي قد تزوجها يرفع مجالسهم ويقضى حوائجهم، قال: فغضب المسلمون لذلك واشتد عليهم ما يفعله بهم خالد، فكتب حسان بن ثابت إلى أبي بكر رضي الله عنه أبياتا ... (٢) قال: فلما وردت هذه الأبيات إلى أبي بكر رضي الله عنه غضب لذلك

---

(١) كذا بياض بالأصل.

(٢) بياض بالأصل. ونقل في مجموعة الوثائق السياسية ص ٣٥١ عن كتاب الردة للواقدي ص ٩٨ – ١٠٠ أبيات حسان – وهي ليست في ديوانه المطبوع: يقول:

ألا أبلغ الصديق قولا كأنه * إذا بث بين المسلمين...
أترضى بأنا لا تجف دماؤنا * وهذا عروس باليمامة خالد؟
يبيت يناجي عرسه في فراشه * وهام لنا مطروحة وسواعد.
إذ نحن جئنا صد عنا بوجهه * وثنى لأعمام العروس الوسايد
وقد كانت الأنصار منه قريبة * فلما رأوه قد تباعد، باعدوا
وما كان في صهر اليمامي رغبة * ولم يرضه إلا من الناس واحد
فكيف بألف قد أصيبوا ونيف * على الماء بين اليوم أو زاد زايد
فإن ترض هذا، فارضى ما رضيته * وإلا فأيقظ إن من تحت راقد

ثم أقبل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أبا حفص! ما ترى إلى خالد بن الوليد وحرصه على الزواج وقلة اكتراثه بمن قتل من المسلمين؟ فقال عمر: أما والله لا يزال يأتينا من قبل خالد في كل حين ما تضيق به الصدور (١).

قال: ثم كتب إليه أبو بكر: أما بعد يا ابن الوليد فإنك فارغ القلب حسن (٣) العزاء عن المسلمين إذ قد اعتكفت على النساء وبفناء بيتك ألف ومائتا رجل من المسلمين منهم سبعمائة رجل من حملة القرآن. إن لم يخدعك مجاعة بن مرارة عن رأيك أن صالحك صلح مكر، وقد أمكن الله منهم، أما والله يا خالد ما هي منكر ينكر؟ وإنها لشبيهة بفعلك الأول بمالك بن نويرة، فسوأة لك ولافعالك! هذه القبيحة التي شانتك في بني مخزوم - والسلام.

قال: فلما وصل كتاب أبي بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد وقرأه تبسم ضاحكا ثم قال: يرحم الله أبا بكر! والله ما أعرف في هذا الكتاب من كلامه شيئا! ولا هذا إلا من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٥)، وقد كان الذي كان، وليس إلى ردة خالد في تزوجه ابنة مجاعة، وأنشأ منهم رجل (٦).

ذكر ارتداد أهل البحرين ومحاربة المسلمين إياهم.

قال: فلما فرغ خالد بن الوليد من أمر اليمامة وبني حنيفة وقتل مسيلمة أقام بأرض اليمامة ينتظر أمر أبي بكر. قال: وعزم أبو بكر رضي الله عنه على أن يوجه بجيش من المسلمين إلى محاربة أهل البحرين.

قال: وكان من سبب أهل البحرين وارتدادهم عن دين الاسلام أن نفرا من بكر بن وائل كانوا يعادون قبائل عبد القيس، وعبد القيس يومئذ بالبحرين متمسكون بدين الاسلام، لم يرتدوا مع من ارتد (٧) قال: وجعل هؤلاء الذين ارتدوا من

---

(١) يعرض بفعلته هذه، وبقتله مالك بن نويرة.

(٢) مجموعة الوثائق السياسية ص ٣٥٢، الطبري باختصار ٣ / ٣٠٠.

(٣) في مجموعة الوثائق: خشن.

(٤) مجموعة الوثائق: ساقك.

(٥) في الطبري: هذا عمل الأعيسر - يعني عمر بن الخطاب -.

(٦) كذا بالأصل.

(٧) وكان الذي ثنى عبد القيس عن الردة الجارود بن عمرو بن حنش بن معلى. (انظر الطبري ٣ / ٣٠٢).

بكر بن وائل (١) يقول بعضهم لبعض: تعالوا حتى نرد الملك في دار النعمان بن المنذر (٢) فإنه أحق بهذا الامر من ابن أبي قحافة، قال: فعزموا على ذلك، ثم خرج نفر من رؤسائهم وأهل الشرف فيهم حتى قدموا على كسرى ملك الفرس فاستأذنوا عليه فأذن لهم فدخلوا عليه وحيوه بتحية الملوك، فقال كسرى: ما الذي أقدمكم يا معشر العرب؟ فقالوا: أيها الملك! إنه قد مضى ذلك الرجل العربي الذي كانت قريش وسائر مضر يعتزون به - يعنون بذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله) - وقد
قام من بعده خليفة له ضعيف البدن ضعيف الرأي، وقد انصرف عامله إلى صاحبه (٣)، وبلاد البحرين اليوم ضائعة ليس بها أحد ممن هو على دين الاسلام إلا شرذمة من عبد القيس، وليس هم عندنا بشئ ونحن أكثر منهم خيلا ورجلا، فلو بعثت إلى البحرين رجلا يأخذها لم يكن أحد يمانعه عليها. قال: فقال لهم كسرى: فمن تحبون أن أوجه معكم إلى البحرين؟ فقالوا: من أحب الملك، قال: فما تقولون في المنذر ابن النعمان بن المنذر؟ فقالوا: أيها الملك! هو لنا رضا وما نريد بدلا. قال: فأرسل كسرى إلى المنذر بن النعمان، فدعاه وهو يومئذ غلام حدث السن حين بقل وجهه، فخلع عليه خلعا وتوجه بتاج وحمله على مائة من الخيل وضم إليه سبعة آلاف فارس وراجل، وعزم على أن يوجه به مع بكر بن وائل إلى البحرين.
قال: وتجهز المنذر بن النعمان ليخرج مع القوم وندم كسرى على ما فعل وجعل يقوم لوزرائه: إني لم أصنع شيئا عمدت إلى غلام حدث (٤) لا معرفة له بالأمور فجعلته رأسا للعرب، وما عسى أن يكون مثله، وبلغ ذلك المنذر بن النعمان فأقبل حتى دخل على كسرى فحياه بتحية الملوك ووقف بين يديه ثم أقبل على من بحضرته من العرب ثم قال: انظروا أن تفسروا ما أقول. قال: فلما فسرت هذه الأبيات (٥) لكسرى وفهمها أمره بالمسير إلى البحرين مع بكر بن وائل فكان معهم

---

(١) وهم ربيعة وقد خرج بهم على الردة الحطم بن ضبيعة.
(٢) في الطبري: ٣ / ٣٠٣ والأغاني ١٥ / ٢٥٦: فقالوا: نرد الملك في آل المنذر، فملكوا المنذر بن النعمان بن المنذر، وكان يسمى الغرور.
(٣) هو المنذر بن ساوى، وقد مات بعد متوفى رسول الله (ص).
(٤) حدث أي شاب.
(٥) كذا بالأصل. وقد سقطت الأبيات من الأصل.

الحطم بن ضبيعة (١) وظبيان بن عمرو ومشمع بن مالك، قال: فكتب إليهم المثنى بن حارثة يعذلهم على فعالهم وينهاهم عما قد أزمعوا عليه من حربهم لاخوتهم عبد القيس، ويهددهم بالمهاجرين والأنصار وأنشأ يقول في كتابه إليهم أبياتا ... (٢) فلما وصلت هذه الأبيات إلى بكر بن وائل جعل يقول بعضهم لبعض: حسدنا المثنى بن حارثة على ثلاث خصال: على ملك المنذر بن النعمان، وعلى صلحنا لكسرى، وعلى التوسع في البحرين، والله! لا قبلنا منه ما أشار به علينا. قال: ثم سار القوم نحو البحرين وأنشأ رجل منهم (٣).

قال: وتوسط بنو بكر بن وائل أرض البحرين، واجتمعت عبد القيس إلى رأس من رؤسائهم يقال له الجارود بن المعلى العبدي في أربعة آلاف من عبد القيس وأحلافهم وعبيدهم ومواليهم، قال: ودنت منهم بنو بكر بن وائل في تسعة آلاف من الفرس وثلاثة آلاف من العرب، (٥) فاقتتل القوم قتالا شديدا، فكانت الدائرة على عبد القيس فانتصف بعضهم من بعض ودام الحرب بينهم أياما كثيرة حتى قتل منهم مقتلة عظيمة، واستأمن عامة عبد القيس إلى بكر بن وائل فانهزموا بين أيديهم حتى صاروا إلى حصن لهم بأرض هجر يقال له جواثا (٥) فدخلوا، وأقبلت بنو بكر بن وائل والفرس حتى نزلوا على الحصن فأحدقوا به وحاصروا عبد القيس حصارا شديدا ومنعوهم من الطعام، فقال رجل منهم يقال له عبد الله بن حذف (٦) العبدي هذه الأبيات ووجه بها إلى أبي بكر رضي الله عنه بالمدينة (٧).

---

(١) عن الطبري والأغاني، وبالأصل: أبو ضبعة الحطيم بن زيد.

(٢) كذا بياض بالأصل.

(٣) كذا بالأصل.

(٤) في الطبري: ٣ / ٣٠٤ خرج الحطم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة فيمن اتبعه من بكر بن وائل على الردة... ومن غير المرتدين ممن لم يزل كافرا... ومن الزط والسيابجة.

(٥) جواثا: (جواثاء: بالضم، وبين الألفين ثاء مثلثة، يمد ويقصر) حصن لعبد القيس فتحه العلاء بن الحضرمي في أيام أبي بكر (رض) سنة ١٢ (ياقوت).

(٦) عن الأغاني: ١٥ / ٢٥٧ ومعجم البلدان، والطبري ٣ / ٣٠٤ وبالأصل: (عوف تحريف.

(٧) لم تذكر الأبيات، وهي في الطبري ٣ / ٣٠٤ والأغاني ١٥ / ٢٥٦ معجم البلدان (جواثا).

ذكر مسير العلاء بن الحضرمي إلى البحرين
ومحاربة الكفار الذين بها.
قال: فلما نظر أبو بكر رضي الله عنه في هذه الأبيات اغتم فيه غما شديدا لما فيه من ذكر عبد القيس وما قد اجتمع عليهم من كفار الفرس وبني بكر بن وائل، فدعا برجل من المسلمين يقال له العلاء بن الحضرمي (١) فعقد له علما وضم إليه ألفي رجل من المهاجرين والأنصار وأمره بالمسير إلى البحرين إلى نصرة عبد القيس ثم قال له: انظر يا علاء! لا تمرن بحي من أحياء العرب إلا استنهضتهم إلى محاربة بني بكر بن وائل فإنهم قد أتوا بالمنذر بن النعمان بن المنذر من عند كسرى ملك الفرس وقد عقدوا التاج على رأسه، وقد عزموا على إطفاء نور الله وقتل أولياء الله. فسر وقل: لا حول ولا قوة إلا بالله.
قال: فسار العلاء بن الحضرمي حتى صار بأرض اليمامة فاستقبله ثمامة بن أثال الحنفي وكان مسلما تقيا فسلم عليه ثم قال: أين تريد يا علاء؟ فإني أرى معك جيشا كثيفا! فقال: والله! أريد بني بكر بن وائل، فإنهم قد أتوا بالمنذر بن النعمان من عند كسرى، وقد ارتدوا عن دين الاسلام وقد اجتمعوا على عبد القيس يريدون قتلهم وبوارهم وقد أمرني الصديق أن استنهض كل من لقيني من المسلمين إلى حربهم، فهل لك أن تكون أول من أجاب إلى هذه الدعوة؟
قال: فقال ثمامة: ويحك يا علاء! أنت تعلم أن قومي قريبو عهد بالردة مع مسيلمة الكذاب وما أظنهم
يجيبوا إلى ذلك. ولكن أرقب على قليلا حتى أذوق القوم وانظر ما عندهم، ثم أرسل ثمامة بن أثال إلى جماعة من بني حنيفة فدعاهم، فلما اجتمعوا عنده أقبل عليهم فقال لهم: يا بني حنيفة! هل لكم أن يرفع الله عز وجل رؤسكم مما كان منكم مع مسيلمة؟ فقالوا: وما ذاك؟ فقال: تسيرون مع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين فتقاتلون على الحق، فقالوا: ولمن نقاتل؟ فقال: تقاتلون قوما لو أدعوكم إلى قتالهم لقاتلوكم على الباطل، فقال له رجل من قومه: يا ثمامة! حسبنا ما كان منا من الخروج مع مسيلمة حتى فنيت رجالنا وذهبت أموالنا وسبيت أولادنا ونساؤنا.

---

(١) وهو العلاء بن عبد الله بن عباد... بن مالك بن الخزرج. وقيل غير ذلك في نسبه. ولاه النبي (ص) البحرين ثم أقره أبو بكر وعمر. توفي سنة ١٤ وقيل سنة ٢١. (أسد الغابة).

فلا تلمنا على القعود فحسبنا ما نزل بنا من الامر، ثم أنشأ (١).
فقال لهم ثمامة بن أثال: ويحكم يا معشر بني حنيفة! ليس الامر فيما ذكرتم من هتك حريمكم وسفك دمائكم وذهاب أموالكم، فذلك بما كان من كفركم ورجوعكم عن دين الاسلام وخروجكم مع مسيلمة الكذاب تضربون وجوه المهاجرين والأنصار، فأنزل بكم خالد بن الوليد من الذل والصغار، والعلاء بن الحضرمي في وقته هذا إنما يدعوكم إلى نصرة الاسلام، وليس القياس فيما ذكرتم بسواء، وأنا والله ماض معه غير راغب بنفسي عنه، والله يفعل في ذلك ما يجب ويرضى، ثم أنشأ ثمامة بن أثال (٢).
قال: وسار ثمامة بن أثال مع العلاء بن الحضرمي في نفر من بني عمه (٣)، حتى إذا صار العلاء إلى أرض بني تميم لقيه ابن عاصم (٤) المنقري التميمي فسلم عليه ورحب به، فقال له العلاء: ويحك! إن قومك من بني تميم أبطؤا عن الاسلام وتأخروا عنه فلما دخلوا فيه ردتهم عنه امرأة (٥) وقد كان ما علمت من تأخرك عن أبي
بكر فهل لك أن تسير معي إلى أرض البحرين فنقاتل هؤلاء المرتدين عن دين الاسلام، فقال له قيس بن عاصم: أما قولك بأن قومي تأخروا عن دين الاسلام فلما دخلوا فيه ردهم امرأة فقد كان ذلك كما ذكرت، وقومك من اليمن أيضا قد ملكتهم امرأة وليس هذا بعجب، والكلام كثير، وإن زدت زدنا، فإني إنما آتيك الآن لاحفزك وأسير معك حتى تخرج من أرض بني سعد فأكون قد قضيت حق مسيرك، وليس لي حاجة إلى قتال أهل البحرين إلا أن أرى في ذلك رأيي.
قال: فسار العلاء بن الحضرمي ومعه قيس بن عاصم في عشرين فارسا من بني تميم، فكان لا ينتهى إلى ماء من مياه بني سعد إلا تلقوه بالقرى والانزال والعلوفة، وقد ذكر بعض ذلك بنو تميم حيث يقول (٦). قال: وسار العلاء بن الحضرمي ومعه

---

(١) كذا.
(٢) كذا.
(٣) في الطبري ٣ / ٣٠٤ لحق به ثمامة بن أثال في مسلمة بني حنيفة من بني سحيم ومن أهل القرى من سائر بني حنيفة.
(٤) هو قيس بن عاصم المنقري.
(٥) يريد سجاح التميمية.
(٦) كذا.

ألف رجل من المهاجرين والأنصار ومعه ثمامة بن أثال وقيس بن عاصم المنقري (١) في جماعة من بني تميم وبني حنيفة حتى توسط أهل البحرين.
قال: وبنو بكر بن وائل والفرس نزول على حصن جواثا قد حاصروا المسلمين من عبد القيس. قال: وجعل العلاء بن الحضرمي يستشير أصحابه في محاربة القوم، وبلغ من كان في حصن جواثا من المسلمين أن العلاء بن الحضرمي قد وافى في المهاجرين والأنصار معونة لهم فرحوا بذلك واشتدت بهم ظهورهم.
قال: وكتب إليه رجل من المسلمين من الحصن يعلمه أن القوم ليس لهم إلا البيات فان يأتهم وكسر عسكرهم فقد قتلهم وكسر شوكتهم، وأثبت في كتابه إلى العلاء بن الحضرمي أبياتا. قال: فلما انتهت هذه الأبيات إلى العلاء بن الحضرمي علم أنه أمر ببيات القوم، فعزم على ذلك، ثم بعث إلى أولئك المحاصرين في الحصن أن يكونوا على أهبة الحرب فإذا علمتم أني كبستهم وسمعتم المعمعة فأخرجوا عليهم فإني أرجو أن يمكن الله عز وجل منهم.
قال: وبات العلاء بن الحضرمي ليلته تلك يشجع قومه ويقوى عزمهم وينهاهم عن الجزع والفشل (٢). قال: ثم إنه دعا برجل من أصحابه (٣) وقال له: امض وتجسس لي الخبر من القوم، قال: فمضى ذلك الرجل، فلما كان انفجار الصبح إذا الرجل وافاه فقال: أيها الأمير! قم فإن الله أمكن منهم وذلك أنى أشرفت على معسكرهم (٤) فلم أسمع لهم حركة والقوم عندي سكارى ما يعقلون. قال: فعندها نادى العلاء بن الحضرمي في أصحابه، فركب وسار نحوهم رويدا رويدا، حتى إذا عاين عسكرهم أكب عليهم الخيل، فلم تشعر الفرس ومن معهم من العرب إلا (٢) وكانت الإبل - بعد نزولهم في بحبوحة الدهناء - قد نفرت في جوف الليل، فما بقي بعير ولا زاد ولا
مزاد ولا ماء، فلحقهم من الغم ما لا يعلمه إلا الله. فدعاهم العلاء وجمعهم وقال: لن تراعوا، أنتم
المسلمون، وفي سبيل الله وأنصار الله، فأبشروا فوالله لن تخذلوا. (الطبري - ابن الأثير).
(٣) هو عبد الله بن حذف (الطبري ٣ / ٣٠٨).
(٤) انظر ما ذكره الطبري بشأنه. (*)

---

(١) وكان قيس بن عاصم قد قسم الصدقات التي اجتمعت إليه بعد موت النبي (ص). ولما رأى ما صنعت الرباب وعمرو من تلقيهم للعلاء ندم قيس على ما كان فرط منه ونزع عن أمره الذي كان هم به، وعمل على إعداد ما كان قسم من الصدقات. وخرج مع العلاء لقتال أهل البحرين. (الطبري ٣ / ٣٠٥ ابن الأثير ٢ / ٤٠).

وحوافر الخيل تطأهم فاستيقظوا فزعين فأخذتهم السيوف.
قال: وفتح أولئك القوم المحاصرون باب الحصن وخرجوا من ورائهم فاقتتل القوم قتالا شديدا في جوف الليل، فقتل من المسلمين نفر قليل وقتل من الكفار بشر كثير، وأضاء الصبح وانهزم الكفار إلى موضع يقال له الردم (١)، واحتوى المسلمون على ما قدروا عليه من غنائمهم.
قال: واجتمعت عبد القيس إلى العلاء بن الحضرمي من جميع نواحي البحرين حتى صار في نيف من ستة آلاف من أصحابه الذين قدموا عليه وممن انحاز إليهم، فأقبل عليهم العلاء بن الحضرمي فقال: يا معشر عبد القيس! اعلموا أنكم في جهاد هؤلاء كجهاد من جاهد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بين هؤلاء وأولئك فرق، واعلموا أن القتيل منكم في الحياة والرزق عند الله، وللحي منكم الغنم والسرور، وقد ذلت لكم بنو بكر بن وائل الرقاب بقدومي عليكم فأبشروا بالنصر على أعدائكم ولتصدق نياتكم في الجهاد. قال: فقال المنذر بن الجارود العبدي: صدقت أيها الأمير! لقد كان قدومك علينا فرجالنا وثوابا عظيما لنا ولك في جهاد عدونا، فلو لم تأتنا لكان الله عز وجل ينصرنا على عدونا ولم يكن يخذلنا، لكن أيها الأمير ههنا جزيرة (٢) فيها قوم كفار أشد علينا من جميع أعدائنا وليس لها إلا طريق واحد، فسر بنا إليهم فعسى الله عز وجل أن يمكننا منهم، فإذا فرغت منهم سر بنا إلى عدونا وعدوك من هؤلاء الفرس وغيرهم من الكفار.
قال: فسار العلاء بن الحضرمي في جوف الليل وليس لها إلا طريق واحد وعلى طريقها قوم يحرسونها فلم يشعر الحرس إلا وخيل المسلمين قد وافتهم فقتلوا عن آخرهم، ودخلت الخيل إلى الجزيرة، فما تركوا فيها ذكرا إلا قتلوه إلا من كان من صغار الذرية، واحتوى المسلمون على جميع ما كان في جزيرة دارين من النساء

---

(١) الردم: قرية لبني عامر بن الحارث العبقسيين بالبحرين. (معجم البلدان).
(٢) وهي جزيرة دارين، فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند، والنسبة إليها داري. قال ياقوت: إن المسلمين اقتحموا إلى دارين البحر مع العلاء بن الحضرمي فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله جميعا يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل، وإن ما بين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة لسفر البحر، فالتقوا وقتلوا وسبوا فبلغ منهم الفارس ستة آلاف والراجل ألفين (معجم البلدان) وانظر الطبري ٣ / ٣١١.

والذرية والأموال، وانصرفوا إلى عسكرهم، فأنشأ بعض المسلمين يقول في ذلك (١).

قال: ثم سار العلاء بن الحضرمي حتى وافى الكفار في موضع يقال له الردم، ودنا القوم بعضهم من بعض واختلطوا فاقتتلوا ساعة وحمل رجل من الكفار يقال له أبجر بن بجير على قيس بن عاصم فضربه على رأسه وانهزم بين يديه فضربه قيس ضربة أثخنه (٢)، ثم أنشأ قيس بن عاصم في ذلك يقول (٣).

قال: وانهزم الكفار بين يدي المسلمين وأخذتهم السيوف وقد كان رائس لهم يقال له الحطم بن ضبيعة (٤) نزل عن فرسه لقضاء حاجة قبل أن تقع الهزيمة. فلما انهزم القوم وثب مسرعا، فلما وضع رجله في الركاب ليركب وكان ثقيل البدن مال به السرج فوقف قائما لا يدرى ما يصنع فضربه رجل من المسلمين ضربة فقتله (٥) ثم جعل يقول شعرا (٦). قال: ثم مضى حتى لحق بالمسلمين فخبرهم أنه قتل الحطم بن ضبيعة (٧) ثم أنشأ في ذلك يقول شعرا (٦).

قال: وانهزمت بنو بكر بن وائل فلحقوا بالبراري والفلوات هائمين من سيوف المسلمين والمهاجرين والأنصار، وهرب (٨) المنذر بن النعمان حتى صار إلى أهل جفنة فاستجار فأجاروه، وانهزم الفارس فصار بعضهم إلى موضع يقال له الزرارة والقطيف (٩)، ومضى بعضهم حتى لحق بكسرى فخبروه بما كان منهم، فاغتم

---

(١) كذا بالأصل، ولعله يريد ما قاله عفيف بن المنذر:
ألم تر أن الله ذلك بحره * وأنزل بالكفار إحدى الجلائل.
دعونا الذي شق البحار فجاءنا * بأعجب من فلق البحار الأوائل.
(الطبري – معجم البلدان – البداية والنهاية).

(٢) في الطبري: طعنه في العرقوب، فقطع العصب، وسلم النسا، فكانت رادة.

(٣) كذا، وفي الطبري – ٣ / ٣٠٩: وقال عفيف بن المنذر، وذكر بيتين له.

(٤) بالأصل (زيد): وقد تقدمت الإشارة إليه.

(٥) قتله قيس بن عاصم. وكان قبله قد ضربه عفيف بن المنذر على فخذه فقطعها وتركه. الطبري ٣ / ٣٠٩ الأغاني ١٥ / ٢٦٠.

(٦) كذا، ولم ترد في الأصل ولا في الطبري أو الكامل أو الأغاني.

(٧) بالأصل: زيد تحريف.

(٨) كذا، وفي الطبري والأغاني: أنه أسره عفيف بن المنذر ثم أجاره وأسلم وبقي بهجر.

(٩) الزرارة والقطيف من قرى البحرين.

كسرى بذلك غما شديدا، واستأمن أيضا قوم من الفرس إلى العلاء بن الحضرمي فآمنهم فصاروا بالبحرين حراثين وزراعين.
وجمع العلاء بن الحضرمي ما كان عنده من الغنائم فأخرج منه الخمس ووجه به إلى أبي بكر رضي الله عنه وكتب إليه يخبره بما فتح الله عز وجل عليه من البحرين، فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه بالجواب (١)، وأقره على البلاد. قال: وندم المنذر بن النعمان بن المنذر على ما كان منه أشد الندامة ثم كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الشام هذه الأبيات (٢).

ذكر ارتداد أهل حضرموت من كندة
ومحاربة المسلمين إياهم.

قال: فلما فرغ أبو بكر رضي الله عنه من حرب أهل البحرين عزم على محاربة أهل حضرموت من كندة، وذلك أن عاملهم زياد بن لبيد الأنصاري (٣) كان ولاه عليهم
النبي (صلى الله عليه وسلم وآله) كان مقيما بحضرموت يصلي بهم ويأخذ منهم ما يجب
عليهم من زكاة أموالهم، فلم يزل كذلك إلى أن مضى رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله) لسبيله وصار الامر إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقال له الأشعث بن قيس: يا هذا! إنا قد سمعنا كلامك ودعاءك إلى هذا الرجل فإذا اجتمع الناس إليه اجتمعنا، قال له زياد بن لبيد: يا هذا! إنه قد اجتمع المهاجرون والأنصار، فقال له الأشعث: إنك لا تدرى كيف يكون الامر بعد ذلك. قال: فسكت زياد بن لبيد ولم يقل شيئا، ثم قام إلى الأشعث بن قيس ابن عم له يقال له امرؤ القيس بن عابس من كندة فقال له: يا أشعث! أنشدك بالله وبايمانك وبقدومك إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله) إن نكصت أو رجعت عن دين الاسلام، فإنك إن تقدمت تقدم الناس معك، وإن هذا الامر لابد له من قائم يقوم به فيقتل من خالف عليه، فاتق الله في نفسك، فقد علمت ما نزل بمن خالف أبا بكر ومنعه الزكاة، فقال له الأشعث بن قيس: إن محمدا صلى الله عليه وسلم قد مضى لسبيله وإن العرب قد رجعت إلى ما كانت تعبده،
فقال له: نحن أقصى العرب دارا فيبعث إلينا أبو بكر جيشا كما بعث إلى غيرنا،

---

(١) كتاب العلاء وجواب أبي بكر في الطبري: ٣ / ٣١٣.
(٢) كذا بالأصل.
(٣) في الطبري: ٣ / ٣٣٠ زياد بن لبيد البياضي. وفي الكامل ٢ / ٤٧ زياد بن أبي لبيد الأنصاري.

وأخرى فإن زياد بن لبيد بين أظهرنا وهو عامل علينا ولا يدعك أن ترجع إلى الكفر بعد الايمان. قال: فضحك الأشعث ثم قال: أو لا يرضى زياد أن يخبره فيكون بين أظهرنا! قال: فقال له امرؤ القيس: يا أشعث! انظر ما يكون بعد هذا. قال: ثم انصرف امرؤ القيس إلى منزله وأنشد شعرا (١). قال: وافترق القوم فريقين: فرقة أقاموا على دين الاسلام فلم يرجعوا وعزموا على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وفرقة عزموا على منع الزكاة والعصيان.

قال: وانصرف زياد بن لبيد يومه ذلك مغموما إلى منزله، فلما كان بعد أيام نادى في أهل حضرموت فجمعهم ثم قال: أجمعوا صدقاتكم فإني أريد أن أوجه بها إلى أبي بكر الصديق لان الناس قد اجتمعوا عليه وقد أهلك الله أهل الردة وأمكن منهم المسلمين. قال: فجعل قوم يعطونه الزكاة وهم طائعون، وقوم يعطونه إياها كارهين، وزياد بن لبيد يجمع الصدقات ولا يريهم من نفسه إلا الصرامة، غير أنه أخذ يوما من الأيام ناقة من إبل الصدقة فوسمها وسرحها مع الإبل التي يريد أن يوجه بها إلى أبي بكر رضي الله عنه وكانت هذه الناقة لفتى من كندة يقال له زيد بن معاوية القشيري (٢) من بني قشير، فأقبل ذلك الفتى إلى رجل من سادات كندة يقال له حارثة بن سراقة فقال: يا ابن عم! إن زياد بن لبيد قد أخذ ناقة لي فوسمها وجعلها مع إبل الصدقة وأنا مشغوف بها فإن رأيت أن تكلمه فيها فلعله أن يطلقها ويأخذ غيرها من إبلي فإني لست أمتنع عليه! قال: فأقبل حارثة بن سراقة إلى زياد بن لبيد وقال له: إن رأيت أن ترد ناقة هذا الفتى عليه وتأخذ غيرها فعلت منعما! فقال له زياد بن لبيد: إنها قد دخلت في حق الله وقد وضع عليها ميسم الصدقة ولا أحب أن آخذ غيرها، فغضب حارثة بن سراقة من ذلك ثم قال: أطلقها وأنت كريم وإلا طلقتها وأنت لئيم (٣). قال: فغضب زياد من ذلك، ثم قال (٤): لا أطلقها حتى أنظر من يحول بيني وبينها أو يمنعها! قال: فتبسم حارثة بن سراقة ثم جعل يقول أبياتا من جملتها.

---

(١) كذا وليست الأبيات بالأصل.

(٢) في الطبري: ٣ / ٣٣٢ شيطان بن حجر، وقيل بل هي لأخيه العداء بن حجر. وهو من بني عمرو بن معاوية.

(٣) في معجم البلدان (حضرموت): أطلقها أيها الرجل طائعا قبل أن تطلقها وأنت كاره.

(٤) في المعجم: لا والله لا أطلقها ولا نعمة عين.

يمنعها شيخ بخد يه الشيب * يلمع كما يلمع الثوب.
قال: ثم أقبل حارثة بن سراقة إلى إبل الصدقة فأخرج الناقة بعينها ثم قال لصاحبها: خذ ناقتك إليك فان كلمك أحد فاحطم أنفه بالسيف! نحن إنما أطعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان حيا، ولو قام رجل من أهل بيته لاطعناه، وأما ابن أبي قحافة
فلا والله ما له في رقابنا طاعة ولا بيعة! ثم أنشأ حارثة بن سراقة يقول أبياتا من جملتها:
أطعنا رسول الله إذ كان بيننا * فيا عجبا ممن يطيع أبا بكر.
قال: فلما سمع زياد بن لبيد هذه الأبيات كأنه أتقى على ما جمع من إبل الصدقة أن تؤخذ (٢) فخرج ليلته يريد المسير إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومعه نفر من أصحابه، فلما سار على مسيرة يومين من القوم كتب إلى حارثة بن سراقة وأصحابه بهذه الأبيات من جملتها:
نقاتلهم في الله والله غالب * على أمره حتى تطيعوا أبا بكر.
قال: فلما وردت هذه الأبيات من زياد بن لبيد غضبت أحياء كندة لذلك غضبا شديدا فأتت الأشعث بن قيس، فقال: خبروني عنكم يا معشر كندة إذ كنتم بايعتم على منع الزكاة وحرب أبي بكر فهلا قتلتم زياد بن لبيد فكان يكون الامر في ذلك واحدا كائنا ما كان، ولكنكم أمسكتم عنه حتى أخذ زكاة أموالكم ثم رحل عنكم إلى صاحبه، وكتب إليكم يهددكم بالقتل، فقال له رجل من بني عمه: صدقت والله يا أشعث! ما كان الرأي إلا قتل زياد بن لبيد وارتجاع ما دفع إليه من إبل الصدقة، والله ما نحن إلا كعبيد لقريش! مرة يوجهون إلينا أمية (٣) فيأخذون من أموالنا ما يريدون ومرة يولون علينا مثل زياد بن لبيد فيأخذ من أموالنا ويهددنا بالقتل، والله لا طمعت قريش في أموالنا أبدا! ثم أنشأ يقول أبياتا من جملتها:

---

(١) في الطبري ٣ / ٣٣٢ ملمع.
(٢) في الطبري ذكر أنه بعد أن أطلقت الناقة: (فأمر به زياد شبابا من حضرموت والسكون، فمغثوه وتوطئوه وكتفوه وكتفوا أصحابه وارتهنوهم وأخذوا البكرة فعقلوها كما كانت وقال زياد في ذلك:
لم يمنع الشذرة أركوب * والشيخ قد يثنيه أرجوب
(٣) كذا، لعله يريد المهاجر بن أبي أمية.

إذا نحن أعطينا المصدق سؤله * فنحن له فيما يريد عبيد
قال: ثم تكلم مثل كلام الأول وحرض بني عمه على العصيان ومنع الزكاة.
قال: ثم تكلم الأشعث بن قيس فقال: يا معشر كندة! إن كنتم على ما أرى فلتكن كلمتكم واحدة وألزموا بلادكم وحوطوا حريمكم وامنعوا زكاة أموالكم، فإني أعلم أن العرب لا تقر بطاعة بني تميم بن مرة وتدع سادات البطحاء من بني هاشم إلى غيره، فإنها لنا أجود ونحن لها أجرى وأصلح من غيرنا لأنا ملوك من قبل أن يكون على وجه الأرض قريشي (١) ولا أبطحي.
قال: ثم إن زياد بن لبيد رأى من الرأي لا يعجل بالمسير إلى أبي بكر فوجه بما عنده من إبل الصدقة إلى المدينة مع ثقة وأمره أن لا يخبر أبا بكر بشئ من أمره وأمر القوم. قال: ثم إنه سار إلى حي من أحياء كندة يقال لهم بنو ذهل (٢) بن معاوية فخبرهم بما كان من... (٣) إليه ودعاهم إلى السمع والطاعة، فأقبل إليه رجل من سادات بني تميم يقال له الحارث بن معاوية فقال لزياد: إنك لتدعو إلى طاعة رجل لم يعهد إلينا ولا إليكم فيه عهد، فقال له زياد بن لبيد: يا هذا صدقت! فإنه لم يعهد إلينا ولا إليكم فيه عهد، ولكنا اخترناه لهذا الامر، فقال له الحارث: أخبرني لم نحيتم عنها أهل بيته وهم أحق الناس بها لان الله عز وجل يقول: (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتب الله) (٤)؟ فقال له زياد بن لبيد: إن المهاجرين والأنصار أنظر لأنفسهم منك، فقال له الحارث بن معاوية: لا والله! ما أزلتموها عن أهلها إلا حسدا منكم لهم وما يستقر في قلبي أن رسول الله (صلى الله عليه
وسلم وآله) خرج من الدنيا ولم ينصب للناس علما يتبعونه فارحل عنا أيها الرجل فإنك

---

(١) كذا بالأصل. قريشي: قال صاحب اللسان في مادة قرش: قريش غير مصروف إذا أردت القبيلة، والنسب إليه قرشي نادر، وقريشي على القياس. قال:
بكل قريشي عليه مهابة * سريع إلى داعي الندى والتكرم.
قال ابن بري بإثبات الياء في النسب إلى قريش.
وقال في التهذيب، إذا نسبوا إلى قريش قالوا: قرشي بحذف الزيادة، وللشاعر إذا اضطر أن يقول قريشي.
(٢) كذا بالأصل، ولم نجده في كتب النسب.
(٣) كذا بالأصل.
(٤) الأنفال: ٧٥.

تدعو إلى غير رضا، ثم أنشأ الحارث بن معاوية يقول:
كان الرسول هو المطاع فقد مضى * صلى عليه الله لم يستخلف.
قال: فوثب عرفجة بن عبد الله الذهلي فقال: صدق والله الحارث بن معاوية! أخرجوا هذا الرجل عنكم، فما صاحبه بأهل للخلافة ولا يستحقها بوجه من الوجوه، وما المهاجرون والأنصار بأنظر لهذه الأمة من نبيها محمد (صلى الله عليه وسلم وآله).
قال: ثم وثب رجل من كندة يقال له عدي بن عوف فقال: يا قوم! لا تسمعوا قول عرفجة بن عبد الله ولا تطيعوا أمره، فإنه يدعوكم إلى الكفر ويصدكم عن الحق، أقبلوا من زياد بن لبيد ما يدعوكم إليه وارضوا بما رضى به المهاجرون والأنصار، فإنهم أنظر لأنفسهم منكم، قال: ثم أنشأ يقول في ذلك أبياتا من جملتها:
يا قوم إني ناصح لا ترجعوا * في الكفر واتبعوا مقال الناصح.
قال: فوثب إليه نفر من بني عمه فضربوه حتى أدموه وشتموه أقبح الشتم، ثم وثبوا إلى زياد بن لبيد فأخرجوه من ديارهم وهموا بقتله.
قال: فجعل زياد لا يأتي قبيلة من قبائل كندة فيدعوهم إلى الطاعة إلا ردوا عليه ما يكره، فلما رأى ذلك سار إلى المدينة إلى أبي بكر رضي الله عنه فخبره بما كان من القوم وأعلمه أن قبائل كندة قد أزمعت على الارتداد والعصيان، فاغتم أبو بكر رضي الله عنه لذلك غما شديدا، فقال له بعض المسلمين: يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله)! هذا خالد بن الوليد مقيم بأرض اليمامة وقد تعلم أنه ... (١) فوجه به إليهم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن خالدا كما وصفتم ولكن أميرهم الذي أخرجوه عنها هو أحق بحربهم من غيره، ثم جمع أبو بكر جيشا ضمه إلى زياد بن لبيد وأمره بالمسير إلى القوم، فسار زياد من المدينة في أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار يريد حضرموت.
قال: واتصل الخبر بقبائل كندة فكأنهم ندموا على ما كان منهم، ثم وثب

---
(١) كذا، بالأصل مطموس.

رجل من أبناء ملوكهم (١) يقال له أبضعة بن مالك فقال: يا معشر كندة! إنا أضرمنا على أنفسنا نارا لا أظن أنها تطفأ أو تحرف منا بشرا كثيرا، والرأي عندي أن نتدارك ما فعلنا ونسكن هذه الثائرة التي هاجت علينا ونكتب إلى [أبي] (٢) بكر الصديق فنخبره بطاعتنا وأن نؤدي إليه زكاتنا طائعين غير مكرهين وأنا قد رضينا به خليفة وإماما، مع أني أقول هذه المقالة ولست بخارج من رأيكم غير أني أعلم إلى ما يؤول أمركم غدا!
ثم أنشأ يقول أبياتا من جملتها:

أرى أمرا لكم فيه سرور * وآخره لكم فيه ندامة.

قال: فلما سمعت قبائل كندة هذا الشعر كأنهم انكسروا لذلك وجعل بعضهم يوثب بعضا، فقال قوم: نرجع عما فعلنا ونؤدي الزكاة، وقال قوم: لا بل نمنع الزكاة ونقاتل من يأتينا من عند أبي بكر.

قال: فلما سمعت قبائل كندة الأبيات من حارثة بن سراقة وثبوا إليه من كل جانب وقالوا: والله! ما ألقانا فيما نحن فيه سواك وما زلت مشؤوما في كل حال! ثم وثب إليه الأشعث بن قيس فقال: والله يا ابن سراقة! لأسلمنك غدا برمتك إلى زياد بن لبيد يقضي فيك ما يقضى فإن ذلك خير لكندة من نصب الحرب لمثل أبي بكر في سبب ناقة لا أقل ولا أكثر. قال: فقال حارثة بن سراقة: يا أشعث! إن كلامك هذا يدل على أنك فاضح قومك غدا إذا وافاهم جيش أبي بكر. قال: فقال الأشعث: والله ما أبرأ إليك من ذلك يا حارثة! فكن مما قلته على يقين.

قال: واتصل الخبر بزياد بن لبيد، ومن معه من المسلمين بأن الأشعث بن قيس قد ندم على ما كان منه فجزوه خيرا، وكتب إليه بعض بني عمه ممن كان مع زياد بن لبيد أبياتا من جملتها يقول:

إن تمس كندة ناكثين عهودهم * فالله يعلم أننا لم ننكث

قال: ثم وثب رجل من كندة يقال له عفيف به معد يكرب (٣) وكان من رؤسائهم

---

(١) وكانوا أربعة ملوك وهم: مخوص ومشرح وجمد وأبضعة وأختهم العمردة بنو معدي كرب بن وليعة.
(٢) سقطت من الأصل.
(٣) ويقال عفيف بن قيس الكندي، ويقال عفيف بن قيس بن معدي كرب.
قال ابن منده: هو أخو الأشعث بن قيس لامه وابن عمه. (أسد الغابة).

وذي أنسابهم فقال: يا معشر بني كندة! إنكم قد علمتم الذي بينكم وبين مذحج من العداوة والشحناء وهذه خيل أبي بكر قد سارت إلى مقابلتكم فخبروني الآن أي الخيلين تدفعون عنكم: خيل أبي بكر أم خيل مذحج؟ أما والله ما أقول لكم إلا وأنا رجل منكم ولكن كان ملوككم وساداتكم قد أهلكتهم هذه الحروب التي تتوقد، وقد والله! وقعنا في أمر مالنا منه مخلص إلا السمع والطاعة - والسلام.

قال: وتقارب خيل المسلمين من بلاد حضرموت وديار كندة وحصونهم، فوثب رجل منهم يقال له ثور بن مالك وكان قديم العهد في الاسلام وذلك أنه أسلم في أيام معاذ بن جبل حين بعث به النبي (صلى الله عليه وسلم وآله) إلى أرض اليمن قال: وكان ثور بن مالك هذا ممن أسلم يومئذ فأقبل على قومه فقال: يا معشر كندة! أراكم مجمعين على حرب المسلمين وأرى فيكم نخوة ذلك وقد علمتم أن الذي تدعونه من الملك قد محقه الله تبارك وتعالى بمحمد (صلى الله عليه وسلم وآله)، وأن السيوف التي قتل الله بها أهل الردة هي السيوف التي تقاتلكم غدا! فتداركوا ليومكم فهذه خيل أبي بكر قد تقاربت منكم. قال: فوثبت كندة من كل ناحية فقالوا: يا ابن مالك ما أنت والكلام بين أيدي الملوك ولست هنالك! قم من ههنا فالتراب بفيك! قال: فوثب ثور بن مالك من بين يدي القوم وقد نزل به منهم ما نزل.

قال: وأشرفت خيل أبي بكر المسلمين (١) على ديار كندة وإذا أربعة إخوة من ملوك كندة أحدهم يقال له مخوص (٢) ومشرح وجمد وأبضعة فإذا هم على شراب لهم والمعازف بين أيديهم فلم يشعروا إلا وخيل المسلمين على رؤسهم فوضعوا فيهم السيوف فقتلوهم وقتلوا أختا لهم يقال لها العمردة (٣)، واحتووا على أموالهم وقليلهم وكثيرهم.

---

(١) كذا.

(٢) عن الطبري: ٣ / ٣٣٤ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣١ وبالأصل محضوض. وقد تقدمت الإشارة إليه.

(٣) في الطبري ٣ / ٣٣٤ فأكبوا على بني عمرو بن معاوية، وهم عدد القوم وشوكتهم، من خمسة أوجه في خمس فرق، فأصابوا مشرحا ومخوصا وجمدا وأبضعة وأختهم العمردة، وقتلوا فأكثروا. وفي معجم البلدان (حضرموت): وجاء عبد له (لزياد) فأخبره أن ملوكهم الأربعة.... قد ثملوا من الشراب، فكبسهم وأخذهم وذبحهم ذبحا. وقال زياد في ذلك:

نحن قتلنا الاملاك الأربعة * جمدا ومخوسا ومشرحا وأبضعة

قال: واتصل هذا الخبر بالسكاسك والسكون وهما قبيلتان من قبائل كندة فإنهم اتقوا على أنفسهم فركبوا في جوف الليل وصاروا إلى زياد بن لبيد فاستأمنوا إليه وعزموا على نصرته. قال: وصار زياد إلى حي من أحياء كندة يقال لهم بنو هند وكبسهم وقاتلم، ووقعت الهزيمة عليهم، فقتل منهم جماعة وولوا الأدبار، واحتوى المسلمون على نسائهم وذراريهم وأموالهم (١).

قال: ثم سار زياد بن لبيد إلى حي من أحياء كندة يقال لهم بنو العاقل (٢) فوافاهم غافلين، فلما أشرفت الخيل عليهم تضايجت النساء وخرج الرجال إلى الحرب فاقتتلوا ساعة ووقعت الهزيمة عليهم فانهزموا وأسلموا ديارهم ونساءهم وأموالهم، واحتوى المسلمون على جميع ذلك. قال: ثم سار زياد بن لبيد إلى حي من أحياء كندة يقال لهم بنو حجر وهم يومئذ جمرات كندة وفرسانهم فلم يشعروا إلا والخيل قد كبستهم في جوف الليل، فاقتتل القوم ساعة، وقتل من بني حجر مائتا رجل وأسر خمسون رجلا وولى الباقون الادبار، واحتوى المسلمون على قليلهم وكثيرهم.

قال: ثم سار زياد بن لبيد إلى حي من أحياء كندة يقال لهم بنو حمير (٣) وهم فرسان وأبطان، فالتقى للقتال فقتل من المسلمين عشرون رجلا وقتل من بني حمير (٣) قريب من ذلك. ووقعت الهزيمة عليهم فولوا الادبار وأسلموا الديار، واحتوى المسلمون على النساء والأولاد.

قال: وبلغ الأشعث بن قيس ما فعله زياد بن لبيد ببني هند وبني عاقل (٤) وبني حجر وبني حمير (٣) فغضب لذلك ثم قال: لا كرامة لزياد أن يقتل قومي وبني عمي ويسبي النساء والذراري ويحوي الأموال وأقعد عنه! قال: ثم نادى الأشعث في بني عمه من بني مرة وبني عدي وبني جبلة، وسار يريد زياد بن لبيد ومعه ألف رجل من فرسان قومه، وزياد بن لبيد يومئذ في أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار وخمسمائة رجل من السكاسك والسكون، فالتقى القوم قريبا من مدينة من مدن حضرموت يقال

---

(١) في الطبري: ٣ / ٣٣٦ قتل من بقرى بني هند إلى برهوت.
(٢) في مجموعة الوثائق عن كتاب الردة للواقدي: بنو العاتك.
(٣) في مجموعة الوثائق السياسية ص ٣٥٣: (بنو جمر).
(٤) بنو عاتك (كتاب الرادة للواقدي).

لها يريم (١) فاقتتلوا هنالك ساعة ووقعت الهزيمة على زياد ومن معه من المسلمين، فقتل منهم نيف على ثلاثمائة رجل وانهزموا هزيمة قبيحة حتى دخلوا تلك المدينة، واحتوى الأشعث على تلك الأموال والغنائم والذراري فردها على أهلها. قال: وأقبل الأشعث بن قيس وأصحابه حتى نزل على مدينة يريم (١) فحاصر زياد بن لبيد ومن معه من المسلمين حصارا شديدا.

قال: وكتب زياد بن لبيد إلى المهاجر بن [أبي] أمية المخزومي (٣)، فلما بلغه ما فيه زياد سار إليه فيمن معه وهم ألف فارس من ثغر لهم، وبلغ ذلك الأشعث فأمر أصحابه فتنحوا عن باب تريم، وأقبل المهاجر بن [أبي] (٤) أمية في ألف فارس حتى دخل المدينة إلى زياد بن لبيد فصار معه، ورجع الأشعث حتى جلس على الباب وأرسل إلى جميع قبائل كندة، [فأجابه] (٤) رجل يقال له الجبر بن قشعم في قومه من بني الأرقم، وأجابه أبو قرة الكندي في قومه من بني حجر. وأجابه أبو شمر الكندي في قومه من بني حمير (٥)، وأجابه الخنفشيش بن عمرو في قومه من بني هند، قال: فاجتمع الأشعث بن قيس في خلق كثير من قبائل كندة فنزل بهم على باب المدينة فحاصروا زياد بن لبيد والمهاجر بن [أبي] (٤) أمية ومن معهما من المسلمين حصارا شديدا وضيقوا عليهم.

قال: وكتب زياد بن لبيد إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه يخبره بذلك، وعلمت قبائل كندة أن زيادا كتب إلى أبي بكر كتابا فأنشأ رجل منهم يقول أبياتا من جملتها:

أبلغ زيادا أن كندة أجمعت * طرا عليك فكيف ذلك تصنع.

قال: فلما ورد كتاب زياد إلى أبي بكر رضي الله عنه بخبر كندة وما قد اجتمعت عليه من حرب المسلمين اغتم لذلك واغتم المسلمون أيضا، ولم يجد أبو بكر بدا من الكتاب إلى الأشعث بن قيس بالرضا.

---

(١) كذا بالأصل ومجموعة الوثائق السياسية. وفي معجم البلدان: تريم: اسم إحدى مدينتي حضرموت.
(٢) سقطت من الأصل.
(٣) كذا، ولم يرو نص الكتاب، وفي الطبري أن أبا بكر بعث المهاجر إلى اليمن وبعدما قضى مهمته بها أرسل إلى أبي بكر يعلمه، فأرسل إليه أبو بكر يأمره أن يسير إلى حضرموت (٣ / ٣٠٣ - ٣٣١).
(٤) سقطت من الأصل.
(٥) كذا، وفي مجموعة الوثائق: جمر.

ذكر كتاب أبي بكر إلى الأشعث بن قيس
ومن معه من قبائل كندة.
قال: فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه (١): (بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله بن عثمان خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم وعلى آله) إلى الأشعث بن قيس
ومن معه من قبائل كندة.
أما بعد فان الله تبارك وتعالى يقول في كتابه المنزل على نبيه عليه السلام:
(اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) (٢). وأنا آمركم بتقوى الله وحده، وأنهاكم أن لا (٣) تنقضوا عهده وأن لا (٣) ترجعوا عن دينه إلى غيره، فلا تتبعوا الهوى فيضلكم عن سبيل الله، وإن كان إنما حملكم على الرجوع عن دين الاسلام ومنع الزكاة ما فعله بكم عاملي زياد بن لبيد فإني أعزله عنكم، وأولي عليكم من تحبون، وقد أمرت حامل (٤) كتابي هذا إن أنتم قبلتم الحق أن يأمر زيادا بالانصراف عنكم. فراجعوا وتوبوا من قريب - وفقنا الله وإياكم لكل ما كان فيه رضا! والسلام).
قال: وكتب حسان بن ثابت الأنصاري إليهم في آخر الكتاب (٥).
قال: ثم طوى الكتاب وعنونه وختمه ودفعه إلى رجل من قيس عيلان يقال له مسلم بن عبد الله.
فلما وصل الكتاب إلى الأشعث وقرأه أقبل على الرسول فقال: إن صاحبك أبا بكر هذا يلزمنا الكفر بمخالفتنا له ولا يلزم صاحبه الكفر بقتله قومي وبني عمي! فقال له الرسول: نعم يا أشعث! يلزمك الكفر لان الله تبارك وتعالى قد أوجب عليك الكفر بمخالفتك لجماعة المسلمين، قال: فوثب إلى الرسول غلام من بني مرة ابن عم الأشعث بن قيس فضربه بسيفه ضربة فلق هامته، قال: فسقط الرسول ميتا، فقال له الأشعث: أحسنت لله أبوك! ولقد قصرت العتاب وأسرعت الجواب، قال: فوثب

---

(١) نسخة الكتاب في مجموعة الوثائق السياسية ص ٣٥٤ عن كتاب الردة للواقدي.
(٢) آل عمران: ١٠٢.
(٣) سقطت في الموضعين من مجموعة الوثائق.
(٤) في مجموعة الوثائق: صاحب.
(٥) كذا.

أبو قرة الكندي مغضبا فقال: يا أشعث لا والله ما يوافقك أحد منا على مثل هذا الامر أبدا! تقتل الرسول بلا ذنب كان منه ولا سبيل لك عليه، ثم أقبل أبو قرة على قومه من كندة فقال: انصرفوا ولا تقيموا فإن الصواب عندي الرحيل عن هذا الرجل وإلا فتوقعوا العقوبة. قال: ثم وثب أبو الشمر الكندي فقال: يا أشعث! لقد ركبت عظيما من الامر بقتلك من لا ذنب له، وذلك أنا نقاتل من يقاتلنا، فأما قتل الرسول فلا، لان الرسول لا يجب عليه القتل لأنه مأمور. فقال الأشعث: يا هؤلاء! لا تعجلوا فإنه قد شهد علي وعليكم بالكفر، وبعد فلم آمر بقتله ولا ساءني ذلك، قال: فوثب الجبر بن القشعم الكندي فقال: إنا رجونا أنك تعتذر إلينا بعذر نقبله منك فأجبتنا بما قد أنفرنا عنك، وأيم الله! لو كنت ذا أرب لغيرت هذا ولم تركب العدوان والظلم بقتلك رسولا لا جرم له، قال: ثم نادى الجبر بن القشعم في بني عمه الأرقم فقال: ارحلوا عن هذا الظالم حتى يعلم الله عز وجل أنكم لم ترضوا بما فعل.

قال: فتفرق عن الأشعث عامة أصحابه حتى بقي في قريب من ألفي رجل، وأقبل السكاسك والسكون على زياد بن لبيد والمهاجر بن [أبي] (١) أمية من مدينة تريم في نيف على خمسة آلاف رجل من المهاجرين والأنصار غيرهم من سائر القبائل، والتقى القوم بواد يقال له زرقان (٢) قريبا من مدينة تريم فاقتتلوا هنالك ساعة، ونظر الأشعث بن قيس إلى رجل من أصحاب زياد بن لبيد يقال له جفنة بن قتيرة السكوني وإنه يقاتل قتالا شديدا، فحمل عليه الأشعث فطعنه طعنة صرعه عن فرسه وهم أن ينزل إليه فحماه ابن عم له من الأشعث فأفلت وهو لما به، قال: ثم حمل الأشعث أيضا على رجل يقال له السمط بن الأسود السكوني فضربه ضربة أثخنه منها، قال: فولى السمط من بين يدي الأشعث هاربا، ووقف الأشعث في ميدان الحرب فجعل يلوح بسيفه، قال: ثم حمل الأشعث، قال: وحمل مهاجر بن أبي أمية على الأشعث وهو يقول: أنا المهاجر! وحمل عليه الأشعث والتقيا بضربتين فبادره الأشعث بضربة على بيضته وأسرع السيف إلى رأسه، فولى مدبرا، فناداه الأشعث: يا مهاجر! أتعير الناس بالفرار وتفر فرار الحمار، ثم حمل الأشعث بن

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) ما أثبتناه عن الطبري ٣ / ٣٣٥ وبالأصل (الرفان) وفي معجم البلدان محجر الزرقان بضم الزاي ناحية بأرض حضرموت أوقع فيه المهاجر بن أبي أمية بأهل الردة.

قيس وأصحابه على جميع المسلمين فهزموهم حتى أدخلوهم مدينة تريم وقد قتل منهم جماعة وجرح منهم بشر كثير.
ثم أقبل الأشعث بأصحابه حتى أحدقوا بالمدينة ونزلوا عليها وحاصروا زياد بن لبيد وأصحابه وضيقوا عليهم غاية التضييق (١).
وكتب زياد بن لبيد إلى أبي بكر رضي الله عنه يخبره بقتل الرسول ويعلمه أنه وأصحابه محاصرون في مدينة تريم أشد الحصار، ثم أثبت إليه في آخر كتابه أبياتا من جملتها:
من راكب نحو المدينة مخبرا * رهط الرسول وسادة الأنصار.
ذكر المشورة التي وقعت بالمدينة
في أمر الأشعث بن قيس وأصحابه.
قال: فلما ورد الكتاب إلى أبي بكر رضي الله عنه وقرأه نادى في المسلمين ثم قال: أشيروا علي ما الذي أصنع في أمر كندة. قال: فتكلم أبو أيوب الأنصاري فقال: اسمع ما أشير به عليك، قال أبو بكر: قل حتى أسمع، فقال: إن القوم كثر عددهم وفيهم نخوة الملك ومنعه، وإذا هموا بالجمع جمعوا خلقا كثيرا فلو صرفت عنهم الخيل في عامك هذا، وصفحت عن أموالهم لرجوت أن ينيبوا إلى الحق، وأن يحملوا الزكاة إليك بعد هذا العام طائعين غير مكرهين، فذاك أحب إلى من محاربتك إياهم، فقد علمت أنهم فرسان أبطال لا يقوم لهم إلا نظراؤهم من الرجال، قال: فتبسم أبو بكر رضي الله عنه من قول أبي أيوب، ثم قال: والله يا أبا أيوب! لو منعوني (٢) عقالا واحدا مما كان النبي (صلى الله عليه وسلم وآله) وظفه عليهم

---

(١) كذا بالأصل أن الأشعث انتصر على المسلمين في معركة الزرقان أما في الطبري ٣ / ٣٣٥: فالتقوا بمحجر الزرقان فاقتتلوا به فهزمت كندة، وقتلت وخرجوا هرابا، فالتجأت إلى النجير وقد رموه وحصنوه. وقال المهاجر في يوم محجر الزرقان.
كنا يرزقان إذ يشردكم * بحر يزجى في موجه الحطبا
نحن قتلناكم بمحجركم * حتى ركبتم من خوفنا السببا
إلى حصار يكون أهونه * سبي الذراري وسوقها خببا
(وانظر الكامل ٢ / ٤٩ ومعجم البلدان زرقان).
(٢) الأثر في غريب الحديث للهروي ٢ / ٣ والفائق ٢ / ١٧٤.
قال أبو عبيد ويروى: لو منعوني عناقا. قال الكسائي: العقال صدقة عام وقال الكسائي: بعث فلان على عقال بني فلان إذا بعث على صدقاتهم.

لقاتلتهم عليه أبدا أو ينيبوا إلى الحق صغرة وقمأة، قال: فسكت أبو أيوب.
قال: ثم انصرف أبو بكر إلى منزله وأرسل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فدعاه وقال: إني عزمت على أن أوجه إلى هؤلاء القوم علي بن أبي طالب فإنه عدل رضا عند أكثر الناس لفضله وشجاعته وقرابته وعلمه وفهمه ورفقه بما يحاول من الأمور، قال: فقال له عمر بن الخطاب: صدقت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم! إن
عليا كما ذكرت وفوق ما وصفت ولكني أخاف عليك خصلة منه واحدة، قال له أبو بكر: وما هذه الخصلة التي تخاف علي منها منه؟ فقال عمر: أخاف أن يأبى لقتال القوم فلا يقاتلهم، فإن أبى ذلك فلم تجد أحدا يسير إليهم إلا على المكروه منه، ولكن ذر عليا يكون عندك بالمدينة فإنك لا تستغني عنه وعن مشورته وأكتب إلى عكرمة بن أبي جهل فمره بالمسير إلى الأشعث وأصحابه، فإنه رجل حرب وأهل لما أهل له، فقال أبو بكر رضي الله عنه: هذا هو الرأي.

ذكر كتاب أبي بكر إلى عكرمة بن أبي جهل.

قال: ثم كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى عكرمة، وعكرمة يومئذ بمكة (١):
(أما بعد فقد بلغك ما كان من أمر الأشعث بن قيس وقبائل كندة، وقد أتاني كتاب ابن لبيد يذكر أن قبائل كندة قد اجتمعوا عليه وعلى أصحابه وحصروهم في مدينة تريم بحضرموت، فإذا قرأت كتابي هذا فسر إلى زياد بن لبيد في جميع أصحابك ومن أجابك من أهل مكة، واسمع له وأطع فإنه الأمير عليك، وانظر لا تمرن بحي من أحياء العرب إلا استنهضتهم وخرجت معهم إلى محاربة الأشعث بن قيس وأصحابه - إن شاء الله تعالى والسلام) (٢).

قال: فلما ورد كتاب أبي بكر رضي الله عنه على عكرمة وقرأه نادى في أصحابه ومن أجابه من أهل مكة، وخرج في ألفي فارس من قريش ومواليهم وأحلافهم.

---

(١) كذا وفي الطبري أن عكرمة سار من أبين يريد حضرموت.
(٢) نسخة الكتاب في مجموعة الوثائق السياسية ص ٣٥٥ عن كتاب الردة للواقدي.

ذكر مسير عكرمة بن أبي جهل
إلى الأشعث بن قيس.
قال: فسار عكرمة حتى صار إلى نجران وبها يومئذ جرير بن عبد الله البجلي في بني عمه من بجيلة، فدعاه عكرمة إلى حرب الأشعث بن قيس وأصحابه، فأبى عليه جرير ولم يجبه إلى ذلك، ثم سار إلى مأرب فنزلها، وبلغ ذلك أهل دبا (٢) فغضبوا عن مسير عكرمة بن أبي جهل إلى محاربة كندة، وجعل بعضهم يقول لبعض: تعالوا حتى نشغل عكرمة وأصحابه عن محاربة بني عمنا من كندة وغيرهم من قبائل اليمن، فعزموا على ذلك، ثم إنهم وثبوا على عامل لهم من قبل أبي بكر رضي الله عنه فطردوه عن بلدهم، فخرج عاملهم هاربا من بين أظهرهم حتى صار إلى عكرمة بن أبي جهل فلجأ إليه.
ذكر كتاب عامل أهل دبا إلى أبي بكر رضي الله عنه
وهو حذيفة بن محصن (٣).
قال: فكتب حذيفة بن محصن (٣) هذا إلى أبي بكر رضي الله عنه يخبره بأمر أهل دبا وارتدادهم عن دين الاسلام وطردهم إياه (٤) ثم خبره في كتابه أنه أتى إلى عكرمة بن أبي جهل فصار معه، فاغتاظ غيظا شديدا، ثم إنه كتب إلى عكرمة:
(أما بعد فإني كنت كتبت إليك وأمرتك بالمسير إلى حضرموت فإذا قرأت كتابي هذا فسر إلى أهل دبا على بركة الله عز وجل فأنزل بهم ما هم له أهل، ولا تقصرن فيما كتبت به إليك، فإذا فرغت من أمرهم فابعث بهم إلى أسراء، وسر إلى زياد بن لبيد فعسى الله عز وجل أن يفتح على يديك بلاد حضرموت إن شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).
قال: فلما ورد كتاب أبي بكر على عكرمة نادى في أصحابه وأمرهم بالمسير إلى

---

(١) مأرب: بلاد الأزد باليمن، وقيل قصر لهم. وهي بين حضرموت وصنعاء.
(٢) دبا: سوق من أسواق العرب بعمان.
(٣) من الطبري ٣ / ٣١٤ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٨ وفي تاريخ خليفة ص ١٢٣ حذيفة العلقماني، وعند الطبري: حذيفة بن محسن الغلقاني. وفي معجم البلدان: حذيفة بن محصن البارقي ثم الأزدي.
(٤) في معجم البلدان: لما مات رسول الله (ص) ارتدوا فدعاهم (حذيفة) إلى النزوع فأبوا وأسمعوه شتما لرسول الله (ص) وأبي بكر. (وانظر الطبري ٣ / ٣١٤).

أهل دبا. قال: ودنا القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا (١)، ورزق عليهم الظفر فهزمهم عكرمة حتى بلغ بهم إلى أدنى بلادهم، وقتل منهم زهاء مائة رجل، ثم سار إليهم عكرمة يريد قتالهم ثانية، ودخل القوم مدينتهم فتحصنوا بها، ونزل عليهم عكرمة في أصحابه فحاصرهم وضيق عليهم.

قال: فاشتد عليهم الحصار (٢) لأنهم لم يكونوا أعدوا لذلك، فأرسلوا إلى حذيفة بن محصن (٣) يسألونه الصلح على أنهم يؤدون الزكاة ويرجعون إلى محبته وينصرف عنهم عكرمة! فأرسل إليهم عاملهم أنه لا صلح بيننا وبينكم إلا على إقرار منكم بأنا على حق وأنتم على باطل، وأن قتيلنا في الجنة وقتيلكم في النار، وعلى أنا نحكم فيكم بما رأينا، فأجابوه إلى ذلك فأرسل إليهم أن أخرجوا الآن عن مدينتكم بلا سلاح، ففعلوا ذلك، ودخل المسلمون إلى حصنهم. قتلوا أشرافهم (٤) وسبوا نساءهم وأولادهم وأخذوا أموالهم، ونزل عكرمة مدينتهم، ووجه أيضا برجالهم إلى أبي بكر (٥) وهم ثلاثمائة من المقاتلة وأربعمائة من النساء والذرية.

قال: فهم أبو بكر رضي الله عنه بقتل المقاتلة وقسمة النساء والذرية، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم! إن القوم على دين

الاسلام وذلك أني أراهم يحلفون بالله مجتهدين: ما كنا رجعنا عن دين الاسلام، ولكن شحوا على أموالهم، وقد كان منهم ما كان فلا تعجل عليهم واحبسهم عندك إلى أن ترى فيهم رأيك، قال: فأمر بهم أبو بكر فحبسوا في دار رملة بنت الحارث، فلم يزالوا هنالك محبوسين إلى أن توفى أبو بكر رضي الله عنه وصار الامر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدعاهم ثم قال: إنكم قد علمتم ما كان رأى أبي بكر وما

---

(١) وكان رئيس أهل الردة لقيط بن مالك الأزدي (الطبري - معجم البلدان).
(٢) حاصرهم شهرا أو نحوه (معجم البلدان).
(٣) بالأصل: عمر تحريف.
(٤) في المعجم: قتل من أشرافهم مائة رجل.
(٥) في الطبري: بعثوا بالخمس إلى أبي بكر مع عرفجة البارقي.
وفي هزيمة لقيط يقول عباد الناجي:
لعمري لقد لاقى لقيط بن مالك * من الشر ما أخزى وجوه الثعالب
وبادى أبا بكر ومن هل فارتمى * خليجان من تياره المتراكب
ولم تنهه الأولى ولم ينكأ العدا * فألوت عليه خيله بالخبائب

كان من رأيي، وقد مضى أبو بكر لسبيله وقد أفضى الامر إلى فانطلقوا إلى أي بلد شئتم فأنتم أحرار لوجه الله تعالى فلا فدية عليكم، قال: فمضى القوم على وجوههم فمنهم من صار إلى بلده ومنهم من صار إلى البصرة بعد عمارتها، فيها خطط المهالبة (١) إلى يومنا هذا.

ثم رجعنا إلى خبر الأشعث بن قيس، قال: وسار عكرمة يريد زياد بن لبيد وبلغ ذلك الأشعث بن قيس فانحاز إلى حصن من حصون حضرموت يقال له النجير (٢)

فرمه وأصلحه ثم جمع نساء قومه وذريته فأدخلهم إلى ذلك الحصن (٣)، وكان للحصن باب عابر (٤) المكان يدخل إلى أهل الحصن كلما يحتاجون إليه من الطعام والشراب وغير ذلك.

قال: ونادى زياد بن لبيد في أصحابه فجمعهم ثم قال: أيها الناس! اعلموا أنكم تقاتلون أهل ردة وكفر فأظهروا أسلحتكم واشحذوا سيوفكم وركبوا أسنتكم فإني

ناهض إليهم غدا إن شاء الله تعالى، وهذا عكرمة ابن أبي جهل قد جاءكم مددا لكم في عسكر لجب فأبشروا بالنصر والظفر، قال: وجعل زياد بن لبيد يحرض من معه من المسلمين على حرب عدوهم.

قال: وبلغ ذلك الأشعث بن قيس بأن زياد بن لبيد قد شجع أصحابه على الحرب، فجعل الأشعث أيضا يحرض أصحابه ويشجعهم ويقول: يا معشر كندة! لا يهولنكم مدد أعدائكم لأصحابهم فان النصر مع الصبر والقوم مع الصبر لا يثبتون. فقاتلوهم محتسبين واشجروهم بالرماح شجرا (٥) وكافحوهم بالصفاح (٦) ولا تذلوا بعد

---

(١) وكان أبو المهلب غلاما لم يبلغ بين الاسرى، ثم خرج بعد إلى البصرة.

(٢) النجير: حصن باليمن قرب حضرموت (معجم البلدان).

(٣) في الطبري: فتحصنوا فيه (كندة) ومعهم من استغووا من السكاسك وشذاذ من السكوت وحضرموت ونجير.

(٤) وقد نزل زياد على سبيل (باب) والمهاجر على باب آخر، والباب الثالث لهم يؤتون منه ويذهبون. إلى أن جاء عكرمة فأنزله على ذلك الطريق (الباب الثالث). فقطع عليهم المواد، وردهم. (الطبري ٣ / ٣٣٦).

(٥) شجره بالرمح شجرا: طعنه. قال في اللسان: وفي حديث الشراة: فشجرناهم بالرماح: أي طعناهم بها حتى اشتبكت فيهم.

(٦) الصفاح: السيوف العريضة (اللسان).

العز ولا تضعفوا بعد القوة. قال: وجعل كل رئيس من رؤساء كندة يحرض بني عمه على الحرب ويأمرهم أن لا يقصروا.
قال: فأصبح زياد بن لبيد وقد عبى أصحابه فجعل على ميمنته المهاجر بن [أبي] (١) أمية المخزومي وعلى ميسرته وائل بن حجر الحضرمي وعلى الجناح [ابن] (١) قتيرة السكوني، وعبى الأشعث أصحابه فجعل على ميمنته الخنفشيش بن عمرو وعلى ميسرته عبد الرحمن بن محرز الحطحمي وعلى الجناح مرة بن امرئ القيس الذهلي، وصار الأشعث بن قيس في القلب مسربلا في سلاحه وعلى رأسه تاج لجده يزيد بن معد يكرب، وتقدم زياد بن لبيد حتى وقف أمام أصحابه في القلب على فرس له أدهم عليه ذرعان سابغان قد ظاهرهما بحرير أصفر وبينهما حريرة صفراء وسيفه على عاتقه، قال: وجالت الحرب بعضها على بعض وتقدم المهاجر بن [أبي] (٢) أمية المخزومي فجعل يجول في ميدان الحرب، قال: فحمل عليه الخنفشيش بن عمرو، وكان من فرسان أصحاب الأشعث بن قيس فاختلفا بضربتين سبقه المهاجر بن [أبي] (٢) أمية بالضربة فلم تصنع شيئا وقنعه الخنفشيش بضربة قد بها بيضته وأسرع إلى رأس المهاجر بن [أبي] (٢) أمية فكادت الضربة أن تبدى عن دماغه فاعتنق المهاجر عنق فرسه وولى بين يدي الخنفشيش هاربا، قال: فحمل الخنفشيش على رجل من أصحاب ابن لبيد يقال له وائل بن حجر فأرداه بطعنة عن فرسه فانقلب مجروحا وهو لما به وغار فرسه، وجال وائل بن حجر في ميدان الحرب.
قال: فاختلط القوم اختلاطا شديدا، ونظر الأشعث بن قيس إلى رجل من أصحاب زياد بن لبيد وهو يقاتل قتالا شديدا فلم يكذب أن حمل عليه ليضربه بسيفه وحمل ابن ذلك الرجل على الأشعث، فنظر إليه الأشعث فإذا هو غلام حدث فلم يقدم عليه لكنه وقف في ميدان الحرب وجعل يعرض لزياد بن لبيد فبدر إليه زياد بن لبيد، قال: فحمل عليه الأشعث والتقيا بضربتين، ضربة الأشعث [ضربة] التقاها زياد بحجفته فقد الأشعث حجفة زياد فرمى بها من يده، وولى زياد بن لبيد من بين يديه وأتبعه الأشعث فضربه ضربة على قذاله (٣) فقد المغفر إلى رأسه وضربه الأخرى

---

(١) سقطت من الأصل.
(٢) سقطت من الأصل.
(٣) القذال: جماع مؤخر الرأس من الانسان والفرس فوق فأس القفا والجمع أقذلة وقذل (اللسان).

على شماله وعلى زياد يومئذ ذرعان وحريران غير ثيابه، فقد الأشعث ذلك كله حتى وصل السيف إلى عضد زياد، وقال: خذها وأنا ابن قيس! وأفلت زياد من الأشعث وهو لما به، ثم حمل الأشعث على جميع المسلمين فجعل لا يمر بشئ إلا حطمه وهو في ذلك.

قال: فانهزم زياد وأصحابه حتى دخلوا مدينة حضرموت فتحصنوا فيها، وبلغ ذلك عكرمة بن أبي جهل فكتب إلى زياد يعلمه بالوقت الذي يوافيه فيه، وأنه قد رحل إليه، وأنه يوافيه في يوم كذا وكذا. قال: ففرح زياد وأصحابه بقدوم عكرمة عليهم.

فلما كان ذلك اليوم الذي وعده عكرمة أن يوافيه فيه نادى زياد في أصحابه فركبوا، ثم إنه خرج من مدينة تريم، وإنه ليشد بالأيدي حتى استوى على فرسه وهو لما به من الضربات التي أصابته من الأشعث.

قال: وارتفعت غبرات الخيل من ناحية باب المدينة، فعلم الأشعث أن زيادا قد خرج إليه على علته، فنادى في أصحابه فركبوا، ثم سار نحو زياد بن لبيد على غير تعبية، فلما تلاقت الخيلان جعل الأشعث يجول في ميدان الحرب، قال: فلم يجبه زياد إلى شئ، واختلط القوم فاقتتلوا ساعة، وهمت خيل زياد بالفرار غير مرة وكان زياد يمنيهم بقدوم عكرمة عليهم ويسألهم صبر ساعة. قال: فبينما المسلمون كذلك إذا خيل عكرمة قد أشرفت عليهم في تعبية حسنة وخيل عتاق وسلاح
شاك ورجال جلدين.

قال: ونظرت قبائل كندة إلى خيل عكرمة قد أشرفت عليهم، فصاحوا بالأشعث: ما ترى هذه خيل حامية قد أقبلت! ونحن قد تعبنا وخيلنا قد كلت وعامتنا جرحي، قال: فشجعهم الأشعث وأمرهم بالصبر ونهاهم عن العجز والفشل. قال: فاختلطت خيل عكرمة وخيل زياد فصاروا في موضع واحد (١)، ثم اجتمعوا وحملوا على الأشعث وأصحابه فلم يزل واحد منهم عن لكنهم أشهروا السلاح في وجوه القوم

---

(١) تقدم أن عكرمة وخيله لما وصلت إلى النجير، سد الباب العابر (الثالث) الذي كان الأشعث وكندة يؤتون منه ويمدون أنفسهم بالمواد.
وفي رواية في الطبري ٣ / ٣٣٧ أن عكرمة قدم بعد ما فرغ المسلمون من كندة وهزيمتها. وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٢.

فرجعوا عنهم، ثم جالت الخيل بعضها على بعض، وتقدم رجل من فرسان الأشعث وشجعانهم يقال له عرفجة بن عبد الله الذهلي، قال: ثم حمل عرفجة على خيل المسلمين فلم يزل يقاتل حتى ضج المسلمون من طعانه وضربه، قال: ورمى رجل من أهل مكة بسهم فوقع السهم في فؤاده فقتله، فصاح زياد بن لبيد: يا معشر المسلمين! أبشروا فقد أخمد الله عز وجل جمرة كندة بقتل عرفجة الذهلي.

قال: وتقدم الأشعث بن قيس حاسر الرأس حتى وقف بين الجمعين فبرز إليه عكرمة بن أبي جهل، قال: والتقيا بطعنتين فافترقا جريحين ولم يصنعا شيئا، فرمى كل واحد منهما برمحه من يده واعتمد على قائم سيفه، ثم التقيا بضربتين بدره الأشعث بضربة قد بها بيضة عكرمة، ثم إن رجلا يقال له النعمان بن الحارث حمل على الأشعث بن قيس فطعنه طعنة منكرة حتى كاد الأشعث أن يسقط عن فرسه، ثم جال النعمان في ميدان الحرب، قال: فخرج إليه رجل من أصحاب الأشعث يقال له مرة ابن امرئ القيس، ثم حمل على النعمان فطعنه طعنة جندله قتيلا، وجعل الأشعث يجول في ميدان الحرب وهو يقاتل فكلما حمل بفرسه على الناحية التي فيها زياد بن لبيد يمضي زياد عن ذلك الموقف إلى موقف آخر، وهبت الريح وثار العجاج (١) فلم يبصر الناس بعضهم بعضا، فطلب الأشعث فلم يقدر عليه فظنت قبائل كندة أنه قد قتل، وجعل الخنفشيش بن عمرو الكندي يرتجز... (٢)

قال: وانحلت العجاج عن القوم فنظروا فإذا الأشعث حاسر الرأس ينادى: الصبر الصبر يا معشر كندة! فإن القوم قد صبروا لكم. قال: فلم يزل القوم على ذلك من شأنهم إلى وقت المساء، ثم اجتمع المسلمون بأجمعهم في موضع واحد ورفعوا أصواتهم بالتكبير ثم حملوا على الأشعث وأصحابه كحملة رجل واحد فهزموهم بأجمعهم حتى ألجؤهم إلى حصنهم الأعظم.

قال: فدخل الأشعث وأصحابه إلى ذلك الحصن وغلقوا على أنفسهم الباب، وأقبل زياد بن لبيد وعكرمة بن أبي جهل والمهاجر بن [أبي] (٣) أمية وجميع المسلمين حتى نزلوا على الحصن وأحدقوا به من كل ناحية واشتد الحصار على من

---

(١) العجاج: الصياح. والعجاج: الغبار. وقيل: هو من الغبار ما تورثه الريح، واحدته عجاجة، وفعله التعجيج (اللسان).

(٢) كذا، ولم ترد الارجاز بالأصل.

(٣) سقطت من الأصل.

في الحصن من قبائل كندة، فقال لهم الأشعث بن قيس: يا بني عم! ما الرأي؟ فقالوا: والله الرأي أن نموت كراما، قال الأشعث: إن كنتم عزمتم على ذلك فافعلوا كما أفعل حتى أعلم أنكم صادقين، قال: ثم ضرب الأشعث بيده إلى ناصيته فجزها وربطها على رأس رمحه وجز القوم نواصيهم وربطوها في رؤوس رماحهم وتبايعوا على الموت (١)، فلما أصبح الأشعث أمر بباب الحصن ففتح، واستوى الأشعث على فرسه وخرج في أوائل القوم، قال: وخرج خلفه الخنفشيش بن عمرو وظفيرته معقودة في رأس رمحه، قال: ثم خرج من بعده سعيد بن معدى كرب، قال: فكان كلما خرج رجل من أشرافهم خرج معه قومه وعشيرته. قال: واختلط القوم فاقتتلوا على باب الحصن قتالا لم يقتتلوا مثله في يوم من الأيام حتى قتل من الفريقين بشر كثير، قال: وأثخن الأشعث بالجراحات فولى منهزما هو وأصحابه حتى دخلوا الحصن فحصرهم المسلمون حصارا شديدا.

قال: وسمعت بذلك قبائل كندة ممن كان تفرق عن الأشعث بن قيس لما قتل رسول أبي بكر رضي الله عنه فقال بعضهم لبعض: يا قومنا! إن بني عمنا قد حصروا في حصن النجير وهذا عار علينا أن نسلمهم فسيروا بنا إليهم، قال: فسارت قبائل كندة يريدون محاربة المسلمين وبين أيديهم الجبر بن القشعم الارقمي شاك في السلاح، واقبل أبو قرة الكندي في قومه من بني الحارث، وأقبل أبو الشمر الكندي في قومه من بني حمير. (٢)

قال: وبلغ زياد بن لبيد مسير هؤلاء القوم إنه فكأنه جزع لذلك ثم أقبل على عكرمة بن أبي جهل فقال له: ما ترى؟ فقال عكرمة: أن تقيم أنت على باب الحصن محاصرا لمن فيه حتى أمضى أنا فألتقي هؤلاء القوم، فقال زياد: نعم ما رأيت! ولكن انظر يا عكرمة! إن ظفر الله عز وجل بهم فلا ترفع السيف عنهم أو تبيدهم عن آخرهم، فقال عكرمة: لست آلو جهدا فيما أقدر عليه إن شاء الله تعالى ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قال: ثم جمع عكرمة أصحابه وسار حتى وافى القوم وقد تعبى تعبية الحرب فلم يكذب عكرمة أن حمل عليهم في جميع أصحابه

---

(١) في الطبري: ٣ / ٣٣٦ قالوا: الموت خير مما أنتم فيه، جزوا نواصيكم حتى كأنكم قوم قد وهبتم لله أنفسكم، فأنعم عليكم فبؤتم بنعمه، لعله أن ينصركم على هؤلاء الظلمة، فجزوا نواصيكم، وتعاقدوا وتواثقوا ألا يفر بعضهم عن بعض.

(٢) كذا، وفي كتاب الردة للواقدي: (جمر).

فاقتتلوا، ووقعت الهزيمة على أصحاب عكرمة، فقتل منهم نفر يسير وضرب عكرمة على رأسه ضربة منكرة، وجاء الليل فحجز بين الفريقين. فلما كان من الغد دنا بعضهم من بعض فاقتتلوا حتى أمسوا، والأشعث بن قيس في خلال ذلك لا يعلم بشئ من ذلك غير أنه طال عليه وعلى من معه الحصار واشتد بهم الجوع والعطش، فأرسل الأشعث إلى زياد أن يعطيه الأمان ولأهل بيته ولعشرة (١) من وجوه أصحابه، فأجابه زياد إلى ذلك وكتب بينهم الكتاب، فظن أهل الحصن أن الأشعث قد أخذ لهم الأمان بأجمعهم فسكتوا ولم يقولوا شيئا، واتصل الخبر بعكرمة بن أبي جهل فقال لهؤلاء الذين يقاتلونه: يا هؤلاء! على ماذا تقاتلون؟ فقالوا: نقاتلكم على صاحبنا الأشعث بن قيس، فقال عكرمة: فان صاحبكم قد طلب الأمان، وهذا كتاب زياد بن لبيد إلي يخبرني بذلك - ورمى الكتاب إليهم، فلما قرأوه قالوا: يا هذا! انصرف فلا حاجة لنا في قتالك بعد هذا اليوم. قال: ثم انصرف القوم عن محاربة عكرمة وهم في ذلك يسبون الأشعث بن قيس ويلعنونه.

قال: ثم أقبل عكرمة على أصحابه فقال: سيروا وأسرعوا السير إلى إخوانكم من المسلمين، فإن الأشعث بن قيس قد طلب الأمان، ولعله إن غنم زياد وأصحابه ما في الحصن لا يشركونكم في شئ من ذلك لأنهم قد سبقوكم إلى فتح الحصن إلا أن يرى زياد رأيه في ذلك، قال: فأنشأ رجل من أصحاب عكرمة أبياتا من جملتها:

إذا ما أتانا راكب برسالة * رحلنا وفي الليل الطويل سواد.

قال: ثم قدم عكرمة وأصحابه على زياد والأشعث بعد لم ينزل من الحصن وهو يستوثق لنفسه ولمن معه من بني عمه، فأقبل زياد على عكرمة فقال: ما صنعت مع قبائل كندة؟ فقال له: صنعت والله! إني لقيت قوما لهم أقدار وأخطار وصبر على الموت فلم أزل أحاربهم حتى علمت أن انتصافهم مني أكثر من انتصافي منهم، وأتاني كتابك يخبر أنه بعث الأشعث إليك كتابا يسألك الأمان فكففت عن حرب القوم

---

(١) في معجم البلدان (النجير): سأله أن يؤمن أهل النجير ويصالحهم فامتنع عليه وراده حتى أمن سبعين رجلا منهم ويكون حكمه في الباقي نافذا.
وعند الطبري ٣ / ٣٣٧ واستأمنه له على نفسه، ونفر معه تسعة، على أن يؤمنهم وأهليهم... فأجابه إلى ذلك.

وانصرفت إليك، فقال زياد: لا والله! ولكنك جبنت فضعفت وكعت (١) عن الحروب، ألم آمرك أن تضع سيفك فيهم ثم لا ترفعه عنهم وفيهم عين تطرف، فعصيتني وحببت العافية وانصرفت إلي بأصحابك خوفا من أن تفوتك الغنيمة، قبح الله من يزعم أنك شجاع القلب بعد هذا! فغضب عكرمة من ذلك ثم قال: أما والله يا زياد! لو لقيتهم وقد أزمعوا على حربك لرأيت أسودا تحمى أشبالا وتكافح أبطالا ذات أنياب حداد ومخاليب شداد، ولتمنيت أنهم ينصرفون عنك ويخلونك، وبعد فإنك أظلم وأغشم وأجبن قلبنا وأشح نفسا وأيبس، إذ قاتلت هؤلاء القوم وشئت هذه الحروب بينك وبينهم بسبب ناقة واحدة لا أقل ولا أكثر، ولو لم أغثك بجنودي هؤلاء لعلمت أنك تكون رهين سيوفهم وأسير جوامعهم. قال: ثم نادى عكرمة في أصحابه وهم بالرحيل، فاعتذر إليه زياد مما تكلم به، فقبل عكرمة عذره.

ونزل الأشعث بن قيس من الحصن في أهل بيته وعشيرته من رؤساء بني عمه مع أهاليهم وأموالهم وأولادهم، فقال زياد: يا أشعث! ألست إنما سألتني الأمان لعشرة مع أهاليهم وأولادهم وبهذا كتبت لك الكتاب؟ قال الأشعث: بلى قد كان ذلك، فقال زياد: الحمد لله! لم تسألني الأمان لنفسك، والله ما أرى لك في الكتاب اسما والله لأقتلنك! فقال الأشعث: يا أقل الخلق عقلا! أترى أنه بلغني من الجهل أن أطلب الأمان لغيري وأتركه لنفسي؟ أما إني لو كنت أخاف غدرك لبدأت بنفسي في أول الكتاب ولكني أنا كنت الطالب لقومي الأمان فلم أكن أثبت نفسي مع غيري (٢)، وأما قولك: إنك تقتلني، فوالله لئن قتلتني لتجلبن عليك وعلى صاحبك اليمن بأجمعها بخيلها ورجلها فينسيك ما قد مضى! فقال له زياد: إني والله لأرجو أن ينظرك أبو بكر الصديق يضرب عنقك فإنه أهل لذلك يا عدو الله! فقال له الأشعث: والله يا زياد! لئن يأكلني الأسد أحب إلي من [أن] يأكلني الكلب - يعني بالكلب هو -، ولكن كيف أنت من تلك الضربات يا زياد التي نالتك مني يوم بارزتني؟ قال: فسكت زياد ولم يقل شيئا وازداد عليه غيظا وحنقا، ثم استوثق منه

---

(١) كعت: الكع والكاع: الضعيف العاجز. قال أبو زيد: كعت وكعت وقال ابن المظفر: رجل كع وكاع: هو الذي لا يمضي في عزم ولا حزم، وهو الناكص على عقبيه (اللسان).

(٢) في الطبري: لما لم يبق إلا أن يكتب نفسه وثب عليه جحدم بشفرة، وقال: نفسك أو تكتبني! فكتبه وترك نفسه.

(٣) زيادة ليستقيم المعنى.

ومن أصحابه ودخل الحصن، فجعل يأخذ المقاتلة فيضرب أعناقهم صبرا (١)، فقال له القوم: أيها الرجل! إنما فتحنا باب الحصن لان الأشعث خبرنا أنك أعطيت الأمان فلم تقتلنا؟ فقال زياد: كذب الأشعث، ما أثبت أحدا منكم في الكتاب غيره وغير أهل بيته وعشرة من بني عمه، قال: فسكت القوم وعلموا أن الأشعث هو الذي أسلمهم للقتل (٢).

قال: فبينا زياد كذلك يضرب أعناقهم إذا كتاب أبي بكر رضي الله عنه قد ورد عليه مكتوب فيه (٣): أما بعد يا زياد! فقد بلغني أن الأشعث بن قيس قد سأل الأمان وقد نزل على حكمي، فإذا ورد عليك كتابي هذا فاحمله إلي مكرما ولا تقتلن أحدا من أشراف كندة لا صغيرا ولا كبيرا - والسلام.

قال: فلما قرأ زياد كتاب أبي بكر رضي الله عنه قال: أما إنه لو سبق هذا الكتاب قبل قتلي هؤلاء ما قتلت منهم أحدا، ولكن قد قضى فيه القضاء والقدر.

قال: فكان نهيك بن أوس الأنصاري يقول: لقد نظرت إلى قتلى كندة فلم أشبههم إلا بقتلى قريظة يوم قتلهم النبي (صلى الله عليه وسلم وآله).

قال: ثم جمع زياد بن لبيد من بقي من بقايا ملوك كندة - وهم ثمانون رجلا - فصفدهم في الحديد ووجه بهم إلى أبي بكر رضي الله عنه، قال: ثم إنه أتى بالأسارى (٤) حتى أدخلوا المدينة فأوقفوا بين يدي أبي بكر رضي الله عنه، فلما نظر أبو بكر إلى الأشعث بن قيس فقال (٥): الحمد لله الذي أمكن منك يا عدو نفسه!

فقال الأشعث بن قيس: لعمري لقد أمكنك الله مني! وبعد فان قومي أطاعوني مخالفا وعصوني محاربا وقد كان مني ما كان من غيري، وذلك ان صاحبك زيادا قتل قومي ظلما وعدوانا فكان مني ما قد علمت.

قال: فوثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا خليفة رسول الله! هذا الأشعث بن قيس قد كان مسلما آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقرأ القرآن وحج البيت الحرام،

---

(١) في معجم البلدان: سبعمئة رجل ضرب أعناقهم على دم واحد.

(٢) سماه نساء قومة (عرف النار) كلام يمان يسمون به الغدر.

(٣) مجموعة الوثائق السياسية ص ٣٥٨ وثيقة ٢٨٣ / ت.

(٤) بعث السبي والأسارى مع نهيك بن أوس بن خزيمة (معجم البلدان).

(٥) قارن مع الطبري ٣ / ٣٣٨ - ٣٣٩ وابن الأثير ٢ / ٤٩ ومعجم البلدان (النجير).

ثم إنه رجع عن دينه وغير وبدل ومنع الزكاة، وقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم وآله: من بدل دينه فاقتلوه، وقد وسع الله عليك فيه فاقتله فدمه حلال، فقال الأشعث بن قيس: يا خليفة رسول الله! إني ما غيرت ولا بدلت ولا شححت على مالي، ولكن عاملك زياد بن لبيد جار على قومي فقتل منهم من لا ذنب له فأنفت لذلك وانتصرت لقومي فقاتلته، وقد كان مني ما كان وإني أفدى نفسي وهؤلاء الملوك وأطلق كل أسير في بلاد اليمن وأكون عونا لك وناصرا ما أبقيت على أن تزوجني (١) أم فروة بنت أبي قحافة فإني لك نعم الصهر، فهذا خير مما يقوله عمر بن الخطاب. قال: فأطرق أبو بكر إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه وقال: إني قد فعلت. قال: ثم أطلقه أبو بكر رضي الله عنه من حديده، وأطلق من كان معه من ملوك كندة، ثم أمره فجلس وزوجه أبو بكر رضي الله عنه أخته أم فروة بنت أبي قحافة، وأحسن إليه غاية الإحسان، فكان الأشعث بن قيس عند أبي بكر رضي الله عنه بأفضل المنازل وأرفعها (٢).

ويقال: إن أم فروة بنت أبي قحافة ولدت من الأشعث بن قيس محمد بن الأشعث وإسحاق بن الأشعث وجعدة بنت الأشعث، فأما إسحاق فإنه قتل في أيام عبد الملك بن مروان في بعض الوقائع، وأما محمد بن الأشعث فلم يزل مع عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وشهد مقتل الحسين بن علي عليهما السلام، وقتل في أيام المختار بن أبي عبيد، وابنه عبد الرحمن بن محمد هو الذي خرج على الحجاج في أيام دير الجماجم.

قال: فكان الأشعث بن قيس إذا ذكر قتلى كندة يتمثل بهذه الأبيات، من جملتها: (٣)

لعمري وما عمري على بهين * لقد كنت بالقتلى أحق (٤) ضنين.

---

(١) في الطبري: ٣ / ٣٣٩ كان قد خطب أم فروة... مقدمه على رسول الله (ص) فزوجه وأخرها إلى أن يقدم الثانية، فمات رسول الله (ص) وفعل الأشعث ما فعل. فخشي ألا ترد عليه.

(٢) بقي بالمدينة مقيما حتى ندب عمر الناس لقتال الفرس فخرج فيهم، ومات بعد قتل علي (رض) بأربعين ليلة، وقيل مات سنة ٤٢. وله ثلاث وستون سنة.

(٣) الأبيات للأشعث بن مئناس السكوني قالها يبكي أهل النجير.

(٤) في الطبري: لحق. وبعده:

فلا غرو إلا يوم أقرع بينهم * وما الدهر عندي بعدهم بأمين

فليت جنوب الناس تحت جنوبهم * ولم تمش أنثى بعدهم لجنين

وكنت كذات البوريعت فأقبلت * على بوها إذ طربت بحنين

انقضت أخبار الردة عن آخرها بحمد الله ومنه وحسن تيسيره وبعونه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

ذكر فتوحات التي كانت بعد الردة
مع الفرس والروم وأصنافهم من الكفرة.
بسم الله الرحمن الرحيم
قال: فلما فرغ أبو بكر رضي الله عنه من حرب أهل الردة عزم على محاربة الأعاجم من الفرس والروم وأصناف الكفرة. فكان السبب في ذلك أن أول من ألف الحروب من العرب والعجم المثنى بن حارثة الشيباني (١)، وذلك أن ربيعة من بني شيبان وغيرهم سكنوا العراق من قحط أصابهم بالتهامة والحجاز، فارتحلت ربيعة إلى العراق من القحط الذي أصابهم فأتت الجزيرة وسكنت اليمامة، قال: فلما قدمت ربيعة إلى العراق بعث إليهم كسرى ملك الفرس فدعاهم ثم قال: يا معشر العرب! ما الذي أقدمكم إلى بلدي؟ فقالوا: أيها الملك! أصابنا في بلدنا قحط وجهد فرغبنا في مجاورة الملك وفزعنا إلى أرضه والكينونة في بلده وكنفه والاتصال بقربه، فإن أذن أقمنا وإلا ارتحلنا. فأذن لهم كسرى في المقام على أنهم لا يفسدون وأنهم يحسنون له الجوار، فضمنوا له ذلك (٢). قال: فنزل بنو شيبان وغيرهم من

---

(١) هو المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة الشيباني (جمهرة ابن حزم ص ٣٢٤).
(٢) جاءت من شيبان، فتلا الرسول عليهم: (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم...) ثم تلا: (إن الله يأمر بالعدل..) فقال المثنى قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك وأعجبني ما تكلمت به، ولكن علينا عهد من كسرى لا نحدث حدثا ولا نؤوي محدثا، ولعل هذا الامر الذي تدعونا إليه مما يكرهه الملوك فإذا أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلي بلاد العرب فعلنا. فقال النبي (ص): ما أسأتم إذا أفصحتم الصدق، إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه بجميع جوانبه. (الطريق إلى المدائن ص ٢٠٢).

ربيعة أرض العراق فكانوا لا يؤذون أحدا من الفرس، وكذلك الفرس لم يكونوا يؤذون من العرب أحدا، فقاموا على ذلك ما شاء الله عز وجل أن يقيموا، ثم إن الفرس جعلت تتعدى على العرب وتؤذيهم غاية الأذى لسبب الملك أنه فيهم، فلم يزالوا كذلك حتى وقعت بينهم الشقاوة والشحناء، فجعل المثنى بن حارثة الشيباني يغير على أساورة... (١) بناحية الكوفة وسوادها ويؤذيهم غاية الأذى وهو يومئذ متمسك بدين الاسلام.

قال: وبلغ أبا بكر رضى الله عنه فعاله... (٢) للمسلمين ويحكم!

من هذا الذي تأتينا أخباره ووقائعه قبل معرفة خبره؟ (٣) قال: فوثب قيس بن عاصم المنقري فقال: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم! هذا رجل غير خامل الذكر، ولا مجهول

الحسب ولا بقليل العدد والمدد، هذا المثنى بن حارثة الشيباني.

قال: فأرسل إليه أبو بكر رضي الله عنه فجعله رئيسا على قومه وبعث إليه بخلعة ولواء وأمره بقتال الفرس (٥). قال: فجعل المثنى بن حارثة يقاتل الفرس من ناحية الكوفة وما يليها ويغير على أطرافها، فلم يترك لهم سارحة ولا رائحة (٦) إلا استقاها، وأقام على ذلك حولا كاملا أو نحوا من ذلك، ثم إنه دعا بابن عم له يقال له سويد بن قطبة بن قتادة بن جرير بن بشار بن ثعلبة بن سدوس فضم إليه جيشا ووجهه إلى نحو البصرة، فجعل يحارب أهل ابلة (٧) وما يليهم من الفرس.

---

(١) مطموس بالأصل.

(٢) مطموس بالأصل، وفي فتوح الأزدي ص ٥٣ (خبره وصنيعه بالفرس).

(٣) في الإصابة: نسبه. (أسد الغابة).

(٤) في أسد الغابة: ٤ / ٢٩٩ النسب (انظر فتوح البلدان ص ٢٤٢).

(٥) في أسد الغابة والإصابة: ثم قدم على أبي بكر فقال: ابعثني على قومي أقاتل بهم أهل فارس وأكفيك أهل ناحيتي من العدو، ففعل أبو بكر.
(انظر فتوح البلدان ص ٢٤٢. وفتوح الأزدي ص ٥٣).

(٦) السارحة، السرح: المال السائم، والسارحة الإبل والغنم. قال الليث: السرح المال يسام في المرعى من الانعام. (اللسان).
والرائحة الإبل التي تأوي بعد غروب الشمس إلى مراحها الذي تبيت فيه. تقول: راحت الإبل تروح وتراح رائحة. (اللسان).

(٧) أبلة: بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في راوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة (معجم البلدان).

قال: فكان المثنى بن حارثة بناحية الكوفة وما يليها وسويد بن قطبة من ناحية البصرة وما يليها، هذا في جيش من بني عمه (١) جميعا يحاربان الفرس ولا يفتران من ذلك.

ذكر ابتداء مسير خالد بن الوليد رضي الله عنه
من أرض اليمامة إلى أرض العراق.

قال: وتكاثرت الفرس عليهم حتى كادوا أن يجلوهم عنها وبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه (٢)، فاغتم لذلك ولم يدر ما يصنع، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله! عندي رأى أشير به عليك، فقال: وماذا يا أبا حفص؟ فقال: هذا خالد بن الوليد قد فتح الله عز وجل على يديه اليمامة وهو مقيم بها مصاهرا... (٣) فاكتب إليه ومره بالمسير إلى العراق حتى يطأ لك الفرس بخيله ورجله... (٤) المثنى بن حارثة وأصحابه فلعل الله تبارك وتعالى يكفيك به أمر الفرس. قال: فقال له أبو بكر رضي الله عنه: هذا لعمري رأى.

ذكر كتاب أبي بكر
إلى خالد بن الوليد رضي الله عنهما.

قال: فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم
.... (٥) [(من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن الوليد
والذين معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان! سلام عليكم! فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد! فالحمد لله الذي أنجز وعده، ونصر

---

(١) مطموس بالأصل.
(٢) في فتوح الأزدي ص ٥٣: ثم إنه بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر - رضي الله عنه - فقدم عليه فقال: يا خليفة رسول الله (ص)، إني رسول أخي المثنى بن حارثة، وإنه يسألك أن تمده، فإنه لم يأته من قبلك مدد، ولو أتاه مدد فسمعت بذلك العرب تسارعوا إليه، ولأذل الله المشركين، مع أني أخبرك - أيها الصديق - إن الأعاجم قد خافتنا واتقتنا، وتتابعت كتبهم إلينا يسألوننا الصلح.
(٣) مطموس بالأصل.
(٤) مطموس بالأصل، وفي فتوح الأزدي ص ٥٤ (مع هذا الرجل يعني - المثنى...).
(٥) بالأصل سقطة طويلة استدركنا ترجمتها من النسخة الفارسية لهذا الكتاب وهي مأخوذة من المخطوطة (مكتبة سالار جنك رقم ١٤٤ و ١٤٥ تاريخ).

عبده (١)، وأعز وليه، وأذل عدوه، وغلب الأحزاب فردا، فإن الله الذي لا إله إلا هو. قال: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) (٢) - وكتب الآية كلها وقرأ الآية، وعدا منه لا خلف له، ومقالا لا ريب فيه، وفرض الجهاد على المؤمنين. فقال: (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) (٣) - حتى فرغ من الآيات، فاستتموا بوعد الله إياكم وأطيعوه فيما فرض عليكم وإن عظمت فيه المؤونة، واستبدت الرزية (٤)، وبعدت المشقة (٥)، وفجعتم في ذلك بالأموال والأنفس فإن ذلك يسير في عظيم ثواب الله (٦)! فاغزوا - رحمكم الله - في سبيل الله (خفافا وثقالا
وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) (٧) - كتب الآية. ألا! وقد أمرت خالد بن الوليد بالمسير إلى العراق، فلا يبرحها حتى يأتيه أمري، فسيروا معه ولا تثاقلوا عنه، فإنه سبيل يعظم الله فيه لمن حسنت فيه نيته، وعظمت في الخير رغبته. فإذا وقعتم (٨) العراق فكونوا بها حتى يأتيكم أمري، كفانا الله وإياكم مهمات الدنيا والآخرة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته!) - انتهى.

وفي النص الفارسي زيادة مؤداها:

(ومتى وصلك كتابي هذا أسرع بالتوجه نحو العراق واتفق مع المثنى بن حارثة وكن معه يدا واحدة وعلى رأي واحد، وعلى جميع المسلمين الطاعة والانتقال معك وسيجزيهم الله تعالى في الدارين خير الجزاء).

ثم استدعى أبا سعيد الخدري (٩) وسلمه الرسالة وقال له: اذهب إلى خالد.

---

(١) في فتوح الأزدي ص ٥٥: دينه.

(٢) النور آية: ٥٥.

(٣) سورة البقرة آية: ٢١٦.

(٤) عند الأزدي: واشتدت فيه الرزية.

(٥) الأزدي: وبعدت فيه الشقة.

(٦) بعدها في الأزدي: ولقد ذكر لنا الصادق المصدوق (ص) أن الله يبعث الشهداء يوم القيامة شاهرين سيوفهم، لا يتمنون على الله شيئا إلا أتاهموه حتى أعطوا أمانيهم، وما لم يخطر على قلوبهم فما شيء يتمناه الشهيد بعد دخوله الجنة إلا أتاه الله، إلا أن يردهم الله إلى الدنيا فيقرضون بالمقاريض في الله العظيم، ثواب الله.

(٧) سورة الصف، آية: ١١.

(٨) الأزدي: قدمتم.

(٩) هو سعد بن مالك بن سفيان بن عبيد بن ثعلبة الابجر، صحابي، مكثر الحديث، روى عن النبي (ص)، مات سنة ٦٥

ولا تفارقه حتى يتوجه (١) إلى العراق وقل له سرا: بأن يذهب مددا إلى المسلمين الذين يحاربون العجم فلعل الله يفتح عليك، وسوف استدعيك متى لزم الامر، وحيثما كنت فأنت أمير الجيش، وليس فوقك أمير سواي.

فذهب أبو سعيد إلى خالد وسلمه الرسالة فقال له: يا أبا سعيد، ما أرى هذا رأي الخليفة، بل هو من اجتهاد عمر، لأنه سمع بأني واصلت بني حنيفة (تزوجت فيهم) لذا فقد غضب (٢).

وعلى كل حال، فإن خالدا جمع الجنود وأخذ (٣) يذكر لهم فضائل الجهاد ثم قرأ عليهم أوامر الخليفة فأجابه الجميع: سمعنا وأطعنا.

ثم تحركوا في اليوم وكان الزبرقان بن بدر علي (ينقل) الجيش وكان الصديق قد كتب رسالة إلى المثنى بن حارثة (٤): بأني قد كتبت لخالد بن الوليد بأن يسرع لإعانتك فأحسن استقباله واعرف له حقه. وقوله تعالى: (أشداء على الكفار رحماء بينهم) (٥) تنطبق عليه. ومتى وصل خالد إلى العراق فهو الأمير وأنت الوزير، وإذا استدعيته ثانية فأنت الأمير.

وحين وصلت هذه الرسالة إلى المثنى بن حارثة جمع إليه رجاله وأعوانه وقال لهم: لقد كرمنا الصديق غاية التكريم كما بشرنا بمجيء خالد، فلنتوقف إذن لحين وصول خالد.

وكان خالد من جهته يغذ السير حتى وصل إلى حدود البصرة، فاستقبله هناك

---

(١) عند الأزدي ص ٦٥: لا تفارقه حتى تشخصه منها.

(٢) زيد عند الأزدي: فأشار على أبي بكر بأن يحولني من مكاني، لقد أغرى ابن الخطاب بخلافي (أي حبب إليه خلافه).

(٣) في فتوح الأزدي ص ٥٦: قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (ص) ثم قال: الحمد لله، والله أهله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد، فإن خليفة رسول الله (ص) كتب إلينا يحضنا على طاعة ربنا، وجهاد عدونا وعدو الله، وبالجهاد في سبيل الله أنجز الله دعوتنا، وجمع كلمتنا وأمنيتنا والحمد لله رب العالمين، ألا وأني خارج ومعسكر وسائر - إن شاء الله - ومعجل، فمن أراد ثواب العاجل والأجل فلينكمش.

(٤) الكتاب في فتوح الأزدي ص ٦٠ ومجموعة الوثائق السياسية ص ٣٧١ باختلاف.

(٥) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(سويدا) (١) كذا في الأصل مع لفيف من رجاله فأكرمه خالد ثم سأله: دلني على أكبر جمع للعدو في هذه الجهات وأكثرهم عدة وعددا وأشدهم بأسا في الحرب.
فقال سويدا: أيها الأمير، إن (الأبلة) مملوءة بالحشود، وفيهم شجاعة متهورة. فقال خالد: يحب أن أبدأ بهم، لكي يكون مصيرهم عبرة لغيرهم من العرب فلا يرفعون رؤوسهم فقال سويدا: هو كما تقول أيها الأمير.
وحينئذ أمر سويدا بأن يسوق إليهم الجنود ثم إني لاحق بكم وسأفعل ما أراه لازما.
فعبأ سويدا الجيش واتجه إلى الأبلة، وخرج إليه أهلها لقتاله وحين حمي القتال بين الطرفين، برز إليهم خالد من مكمنه (٢)، ومعه جيش المهاجرين والأنصار وهزموا أهل الأبلة الذين التجأوا إلى الحصن، وقد كانت السيوف من ورائهم والنهر أمامهم. فقتل منهم أربعة آلاف، كما غرق آخرون في الماء ووصلت منهم بقية إلى الحصن.
ثم انطلق خالد من هناك حتى وصل إلى (نباج) (٣). ونزل قرب بعض العرب من بني بكر، ثم لحق به المثنى بن حارثة ومعه جيشه وعدد من ذوي قرابته، فحياه خالد وأدنى منزلته وأكرمه غاية الاكرام، ثم ركب خالد وساق الجيش نحو أطراف الكوفة وسوادها، وقد دب الرعب في قلوب العجم، ففتحوا ا لطريق لخالد والمثنى حتى بلغوا الكوفة، فعسكروا حولها، ثم كتب للأعاجم رسالة مضمونها (٤):
بسم الله الرحمن الرحيم
سلام على من اتبع الهدى. الحمد لله الذي فرق جموعكم، واجتث أصول عزتكم وأوقع الخلاف بينكم وبدل شجاعتكم خوفا. اعلموا بأن كل من يترك طريق

---

(١) في فتوح الأزدي: سويد بن قطبة بن بكر بن وائل.
(٢) عند الأزدي ص ٥٧: قال خالد (لسويد): إني أمضي عنك حتى إذا ظنوا أني قد جزتك وذهبت عنك رجعت منصرفا إليك حتى أبيت بعسكرك... فلما أظلم الليل رجع خالد في جوف الليل.
(٣) نباج: منزل لحجاج البصرة، وقيل: النباج: بين مكة والبصرة. ونباج آخر بين البصرة واليمامة، بينه وبين اليمامة غباق لبكر بن وائل. (معجم البلدان).
(٤) قارن مع الطبري ٣ / ٣٤٦ باختلاف وزيادة. وفتوح الأزدي ص ٦٦ وانظر روايات مختلفة للكتاب في مجموعة الوثائق السياسية ص ٢٩٥.

الضلالة ويصلي إلى قبلتنا، ويطيع أوامر ربنا وأوامر رسوله، ويشهد بما نشهد به ويترك عداوتنا فهو منا ونحن منه، وإن دخل ذمتنا وأدى إلينا الجزية فهو آمن، وأما كل من يريد خصومتنا، فليبرز إلى الميدان، ونحن سنقابله بسيوفنا التي تقطر منها المنايا والسلام.

وحين وصلت هذه الرسالة إلى قادة العجم هاجوا وماجوا وعجزوا عن الجواب وأخذ خالد في ارسال السرايا إلى الأطراف يغيرون عليها حتى لم يبق فيها شيء من المواشي إلا وأحضروه لخالد. ثم ساق خالد الجيوش نحو الحيرة (١) فرأى ثمة حصونا منيعة، ورجالا ذوي خبرة بالحرب مع وفور السلاح لديهم فنزل هناك.

فاضطرمت نار الحرب بين الطرفين وحمي وطيسها، وبينما كان خالد منهمكا في الضرب والطعان قال له ضرار بن الأزور الأسدي (٢): أيها الأمير:

(إن هؤلاء قوم عقولهم ناقصة وهم أعداء أنفسهم فإن رأى الأمير أن يطلب منهم رجلا لمفاوضته وبذل النصيحة له فعسى أن تنجح المفاوضة وتكون النتيجة أفضل.

فأرسل إليهم خالد من قال لهم: أخرجوا إلينا رجلا معروفا لديكم بجودة الرأي والعلم لكي يسمع منا ويبلغكم رسالتنا.

فبعثوا إلى المسلمين رجلا يدعى عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقيلة النسائي (٣). وكان رجلا مهيب الطلعة وقورا وقد جاوز عمره المئتي سنة فوصل إلى خالد وأنشده شعرا في مدح آل غسان وصفة مملكتهم منذ أيام المنذر وآل النعمان وقال:

إن هاهنا مراع لم تصطد فيها الأسود، وقد شربت النمور دواء التقوى والقطعان تستطيع أن ترعى في هذه المروج آمنة مطمئنة، والطيور تستطيع الطيران

---

(١) الحيرة: بلد قرب الكوفة بالعراق.

(٢) كذا بالأصل، وقد ذكر أنه قتل باليمامة، وهذا ما ذهب إليه الواقدي قال: والمجتمع عليه عند أصحابنا أن ضرارا قتل باليمامة.

(٣) زيد في فتوح البلدان ص ٢٤٤ وهاني بن قبيصة بن مسعود الشيباني وإياس بن قبيصة الطائي، ويقال فروة بن إياس. (انظر فتوح الأزدي ص ٦٤ والطبري ٣ / ٣٤٥).

تحت سرير قصر الخورنق والآن: قد تعطلت الأمور. نعم إنه الدهر الدوار والدنيا لهذا سميت دنيا.
شعر ابن بقيلة من الطبري ج ٢ ص ٥٦٦ طبعة المكتبة التجارية بالقاهرة سنة ١٩٣٩.
أبعد المنذرين أرى سواما * تروح بالخورنق والسدير
وبعد فوارس النعمان أرعى * قلوصا بين مرة والحضير
فصرنا بعد هلك أبي قبيس * كجرب المعز في اليوم المطير
تقسمنا القبائل من معد * علانية كأيسار الجزور
وكنا لا يرام لنا حريم * فنحن كضرة الضرع الفخور
نؤدي الخرج بعد خراج كسرى * وخرج من قريظة والنضير
كذاك الدهر دولته سجال * فيوم من مساءة أو سرور
وحين فرغ عبد المسيح من كلامه قال خالد (١): من أنت؟ قال: أنا عبد ربي. فقال: من أين؟ قال: من الدنيا. فقال: من أين أتيت؟ قال: من صلب أبي. فقال: من أين وصلت؟ قال: من بطن أمي. فقال: في أي شيء أنت؟ قال: في ثيابي. فقال: على م أنت؟ قال: على الأرض. فقال خالد: لم تزدني إلا حيرة فأصدقني: هل لك عقل أم لا وهل تعقل ركبة البعير أم لا؟ فغالطه وحمل كلامه على وجه آخر وقال: إنني أعقل ركبة الجمل وأحكمها. فقال خالد: إنني أكلمك بكلام الناس. فقال الشيخ: وإني أجيبك بجواب الناس. فقال خالد: أنتم من تكونون؟ فقال: نحن أولاد آدم فقال خالد: للصلح جئت أم للحرب؟ فقال: للصلح. فقال خالد: هل أنتم عرب أو عجم؟ فقال: كنا عربا وصرنا عجما وعجما كنا وعربا صرنا فكبر خالد وقال: الآن فهمت كلامك. والآن قل لي: هذه الجدران لماذا رفعتموها؟ فقال: كي يستتر وراءها ناقصو العقول ولكي يستطيع العقلاء أن يسمعوا كلامنا، ويمنعوهم عن إيقاع الظلم بنا. فقال خالد: أرى شيئا في يدك فما هو؟ قال الشيخ: سم زعاف. فقال خالد: لماذا حملت السم في يدك؟ فقال: من باب الاحتياط فإن وصلت معك إلى اتفاق فكان بها وإلا شربت السم ومضيت في

---

(١) انظر مقابلة خالد وعبد المسيح في الطبري ٣ / ٣٤٥ وفتوح الأزدي ص ٦٤ - ٦٥ وفتوح البلدان ص ٢٤٤ باختلاف في الالفاظ والتعابير بينها وبين الأصل هنا.

سبيلي فإني قد وصلت إلى أرذل العمر فقال خالد: أعطني السم لكي أراه. فأعطاه له ثم تناوله خالد وشربه وقال: بسم الله وبالله رب الأرض والسماء الذي لا يضر معه (١) شيء في الأرض ولا في السماء وفي الحال: خرج منه عرق غزير أذهب أثر السم عنه.

وآنذاء قال خالد: أيها الشيخ: اتق الله وادخل في دين محمد فإن معي رجالا. يستهينون بالموت ولا يبالون ببذل الروح (٢).

فقال الشيخ: أمهلني حتى أراجع قومي وأخبرهم بما رأيت ثم أعود إليك.

فقال خالد: اذهب فلما ذهب والتقى بقومه وأخبرهم ما رأى من استهانة المسلمين بالموت حتى إن السم القاتل لا يؤثر بهم، وأنهم يحبون الموت كما تحبون الحياة، فوافقوا على اقتراح عبد المسيح ورضوا بدفع مبلغ مائة ألف درهم وطيلسان شيرويه بن كسرى وقيمته ثلاثون ألف درهم. فأرسل خالد تلك الأموال كلها إلى الصديق رضي الله عنه. وكان ذلك أول ما أرسل من أموال العجم للمدينة المنورة.

ثم كتب خالد كتاب الصلح (٣) وسلمه إليهم ثم رجع.

ونادى خالد جرير بن عبد الله البجلي وجعل تحت قيادته ألف رجل من المهاجرين والأنصار وعين له موضعا يقال له (بانقيا) (٤) وأمره بالذهاب إليه وكان في ذلك المكان (داذويه بن فرخان) وذكر في الطبري أنه (صلوبا بن نسطونا).

ولما وصل جيش جرير إلى شاطئ النهر وأرادوا أن يعبروه إذ جاءهم رجل من (بانقيا) يعرض الصلح على جرير بن عبد الله مقابل مائة ألف درهم (٥). فرضي

---

(١) في الطبري ٣ / ٣٦٣: مع اسمه داء.

(٢) في الطبري ٣ / ٣٤٤ قال له خالد ولأصحابه: أدعوكم إلى الله وإلى الاسلام. فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم.

(٣) نسخة كتاب الصلح في الطبري ٣ / ٣٦٤ وانظر الوثائق السياسية ص ٣٧٩ وفتوح البلدان ص ٢٤٥.

(٤) بانقيا ناحية من نواحي الكوفة على شاطئ الفرات (معجم البلدان).

(٥) في فتوح الأزدي: ألف درهم وطيلسان.
وفيه أن خالد كان قد بعث قبل جرير، بشير بن سعد في مائتي رجل فأغاروا عليها وقتلوا فرخزاد بن هرمز، وقد رمي بشير فجرح وعاد إلى خالد جريحا فأرسل خالد عندئذ جريرا إليهم.

جرير بذلك. وكتب له كتاب الصلح (١).
ثم هرب داذويه من هناك إلى يزدجرد وأخبره بالامر الواقع فتألم يزدجرد غاية الألم.
ثم انطلق خالد من ناحيته واستولى على مدينة عين التمر (٢) وسبى كثيرا من الأهالي وأخذ كثيرا من الأموال والمواشي. وكذلك فعل بعدد من الأماكن في العراق وأخرج الخمس من الغنائم وأرسله إلى الصديق ووزع الباقي على أفراد الجيش.
ذكر كيفية الاستيلاء على بلاد الشام
في خلافة الصديق رضي الله عنه.
لقد تواترت الاخبار من الشام بأن الروم قد شددوا قبضتهم على بلاد الشام وأعلنوا الفساد، وقد مال الصديق إلى إرسال الجيوش إلى تلك الجهات. لتخليص تلك البلاد من الشر والفساد. واحتفظ برأيه ذاك إلى يوم جمع فيه العشرة البشرة وعددا من وجهاء الصحابة وخاطبهم قائلا:
(والنص العربي من (حياة الصحابة) ج ١ مختصر بتصرف من تاريخ ابن عساكر ٤٢٢) (٣)
(إن الله عز وجل لا تحصى نعماؤه، ولا تبلغ جزاءها الاعمال فله الحمد، قد جمع الله كلمتكم، وأصلح ذات بينكم، وهداكم إلى الاسلام، ونفى عنكم الشيطان فليس يطمع أن تشركوا به، ولا تتخذوا إلها غيره، فالعرب اليوم بنو أم وأب. وقد رأيت أن أستنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين، ويجعل الله كلمته العليا، مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الأوفر، لأنه من هلك منهم هلك شهيدا، وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش عاش مدافعا عن الدين مستوجبا على

---

(١) في الطبري ٣ / ٣٦٧ كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه، ولعله توثيق وتصديق من خالد لما كتب جرير بن عبد الله لأهل بانقيا وانظر الوثائق السياسية ص ٣٨٢.
(٢) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة منها يجلب القسب والتمر إلى سائر البلاد، وهي على طرف البرية (معجم البلدان). وانظر تفاصيل عن فتحها في فتوح البلدان ص ٢٤٨. والطبري ٣ / ٣٧٦ وابن الأثير ٢ / ٥٧.
(٣) حياة الصحابة للكاندهلوي ج ١ / ٣٨٣.

الله ثواب المجاهدين وهذا رأيي الذي رأيته. فليشر امرؤ علي برأيه.
فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: الحمد لله الذي يخص بالخير من شاء من خلقه! والله! ما استبقنا إلى شيء من الخير قط إلا سبقتنا إليه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. قد، والله، أردت لقاءك بهذا الرأي الذي رأيت، فما قضي أن يكون حتى ذكرته، فقد أصبت - أصاب الله بك سبيل الرشاد - سرب (١) إليهم الخيل في إثر الخيل، وابعث الرجال بعد الرجال والجنود تتبعها الجنود، فإن الله ناصر دينه ومعز الاسلام وأهله.
ثم إن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قام فقال: يا خليفة رسول الله! إنها الروم وبنو الأصفر حد مديد (٢) وركن شديد، ما أرى أن نقتحم عليهم اقتحاما، ولكن نبعث الخيل فتغير في قواصي أرضهم ثم ترجع إليك، وإذا فعلوا ذلك بهم مرارا أضروا بهم، وغنموا من أداني أرضهم فقعدوا بذلك عن عدوهم، ثم تبعث إلى أراضي اليمن وأقاصي ربيعة ومضر ثم تجمعهم جميعا إليك، ثم إن شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك وإن شئت أغزيتهم، ثم سكت وسكت الناس.
ثم قال لهم أبو بكر: ما ترون؟
فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: إني أرى أنك ناصح لأهل هذا الدين، شفيق عليهم، فإذا رأيت رأيا تراه لعامتهم صلاحا فاعزم على إمضائه فإنك غير ظنين (٣).
وبعد ذلك تكلم كل من طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وسعيد بن زيد ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار (٤) كلاما بهذا المعنى (٤). وعلي رضي الله عنه ساكت فقال أبو بكر: ماذا ترى يا أبا الحسن؟ فقال: أرى أنك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نصرت عليهم إن شاء الله. فقال: بشرك الله بخير.
ومن أين علمت ذلك؟
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

---

(١) أي أرسل قطعة قطعة.
(٢) حياة الصحابة: حد حديد.
(٣) أي غير متهم. وفي الكنز: غير ضنين.
(٤ - ٤) في حياة الصحابة: صدق عثمان، ما رأيت من رأي فامضه، فإنا لا نخالفك ولا نتهمك، وذكروا هذا وأشباهه.

(لا يزال هذا الدين ظاهرا على كل من ناوأه، حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون).
فقال: سبحان الله! ما أحسن هذا الحديث! لقد سررتني به سرك الله.
ثم التفت الصديق إلى الصحابة وقال:
(أيها الناس. إن الله قد أنعم عليكم بالاسلام وأكرمكم بالجهاد، وفضلكم بهذا الدين على كل دين، فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام، فإني مؤمر عليكم أمراء، وعاقد لكم ألوية. فأطيعوا ربكم ولا تخالفوا أمراءكم لتحسن نيتكم وأشربتكم وأطعمتكم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون).
فأجابه خالد بن سعيد وهو أخ لعمرو بن العاص قائلا:
أنت أميرنا ونحن رعيتك، فمنك الامر ومنا الطاعة. فنحن مطيعون لامرك وحيثما توجهنا نتوجه. فقال الصديق: جزاك الله خيرا. تهيأ لقيادة هذا الجيش.
فقبل خالد ذلك وقال: إنني مع إخواني وأبناء عمومتي قد وطنا العزم على الجهاد في سبيل الله وسنبذل ما في وسعنا لجهاد الكفرة. عسى الله أن يحقق لنا أملنا أو يكون في ذلك انقضاء آجالنا. وإني أشهدك على ذلك وسائر من حضر. وإننا لا نرجو ثناء من أحد. فأثنى الصديق على موقفه.
(وكان خالد عاملا لرسول الله على اليمن) فرأى الفاروق أن حرب الشام تقتضي قائدا أكفأ منه فقال للصديق: يا خليفة رسول الله! إن خالدا الذي عينته قائدا لهذا الوجه هو أهل لذلك بلا شك، ولكن في المسلمين رجالا هم أجدر بذلك منه لان أمر بني الأصفر ليس سهلا، فلديك مثلا أبو عبيدة وهو رجل مجرب وكذلك معاذ بن جبل وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان فالأولى أن يتولى القيادة مثل هؤلاء حتى تأتي النتائج على أفضل وجه (١).
فوافق أبو بكر على اقتراح عمر واستدعى هؤلاء الرجال وقال لهم: يا أبا عبيدة ويا معاذ ويا شرحبيل ويا يزيد: أنتم من حماة هذا الدين وقد فوضت إليكم أمر هذه الجيوش فاجتهدوا في الامر واثبتوا وكونوا يدا واحدة في مواجهة عدوكم.

---

(١) في فتوح البلدان ص ١٢٨: كره عمر - لما عقد أبو بكر لخالد بن سعيد - ذلك فكلم أبا بكر في عزله،
وقال: إنه رجل فخور يحمل أمره على المغالبة والتعصب، فعزله أبو بكر. وانظر الطبري ٣ / ٣٨٧ وابن سعد ٤ / ٩٧ والكامل لابن الأثير ٢ / ٦٣. البداية والنهاية ٧ / ٥. اليعقوبي ٢ / ١٣٣.

ثم قال عمر: يا خليفة رسول الله. أرى أن عدد هذا الجيش أقل من أن يواجه الروم فاكتب إلى أهل اليمن ترغبهم في امدادهم. فوافق الصديق على ذلك وكتب إلى أهل اليمن يدعوهم إلى المشاركة في حرب الروم (١).

وحين وصلت الرسالة فأجابوا دعوته وأسرع أربعة آلاف فارس بقيادة قيس بن هبيرة المرادي نحو المدينة. فأثنى أبو بكر عليهم. ثم اتجه الجميع نحو مقصدهم وقد شيعهم أبو بكر راجلا مسافة خارج المدينة. فقال له يزيد: يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن نترجل. فقال أبو بكر: إنني ما سرت إلا ابتغاء مرضاة الله واستمر كذلك حتى ثنية الوداع ثم قال ليزيد: يا يزيد اجتهد ما استطعت، وإياك والجزع، واعلم بأنك ذاهب إلى أرض العدو فيها كثير، والنعم وافرة، فلا تغفلن عن ذكر الله بأي حال. ولتكن معه بقلبك. إياكم وقتل النساء والأطفال ولا تقلعوا نخلا ولا شجرة وحاذر من قتل الشيوخ والأطفال. ولا تقتل أحدا بدون علة. ولا تخربوا عامرا. كي ينصركم الله. الذي هو على كل شيء قدير (٢).

ثم رفع أبو بكر يديه بالدعاء وتوجه للقبلة وقال (٣): يا رب لقد خلقتنا من العدم وأبلغت إلينا رسالتك على لسان رسولك محمد صلى الله عليه وسلم حتى تفقهنا في هذا الدين،

وقد رغبنا بالجنة، وحذرنا من النار، وقد هدانا بعد الضلالة فصرنا مؤمنين بعدما كنا غارقين في الكفر. ففضلك علينا عظيم جدا، كنا مفترقين فاجتمعنا بلطفك، وقد أمرتنا بإظهار دينك وإعلاء كلمتك حتى يدخل الناس في هذا الدين، أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون. والآن ها نحن في سبيلك سائرون، ولرضاك طالبين، نجاهد من لا يعرفك، أو يشرك بك يا إلهي كن للمؤمنين بك عونا وسندا، وأهلك عدونا. واجعل أمة محمد جريئة عليهم وثبت أقدام المترددين منا، وزلزل الأرض تحت أقدام عدونا، وألق الرعب في قلوبهم، وارزقنا أرضهم وديارهم يا إلهي يا قادر ويا رحمن.

---

(١) نسخة الكتاب في فتوح الأزدي ص ٨ والوثائق السياسية وثيقة رقم ٣٠٢ / الف ص ٣٩٦. وأرسل الكتاب مع أنس بن مالك (الأزدي ص ٩).

(٢) انظر وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان فتوح الأزدي ص ١٢ وفتوح الشام للواقدي ١ / ٧ - ٨ والكامل
لابن الأثير ٢ / ٦٤ - ٦٥.

(٣) في فتوح الأزدي ص ١٣: كان أبو بكر - رحمة الله عليه - يدعو في كل يوم غدوة وعشية في دبر صلاة
الغداة وبعد العصر يقول: وفيه نسخة الدعاء باختلاف في الالفاظ والتعابير.

ثم أمر (القادة) بمراعاة أحوال الجنود وتقديم الاخلاص والاتحاد ثم استودعهم الله. وانطلقوا إلى وجهتهم لغزو الروم في بلاد الشام.
ثم وصل الخبر إلى هرقل ملك الروم وقد كان في فلسطين. فأقسم مع نسائه وأولاده على مقتضى دينه ومذهبه بأن يثبتوا في قتال المسلمين، وأنه ما دام يوجد منهم رجل واحد على قيد الحياة فلن يرجعوا ولن يعودوا حتى يفتحوا فلسطين.
ثم استدعى هرقل قادة جيشه وشرح لهم كيفية وصول جيش العرب وقال عنهم: إنهم يملكون فكرة هائلة، ويدعون أن نبيهم أخبرهم بالنصر على هذه البلاد، وهم بناء لذلك جاؤوا إلينا وليس لديهم شك في بشارة نبيهم] (١). ودينه هدى وفعاله تقى، فلما غيرتم وبدلتم لجمع فيكم قوم ما كنا نعتد بهم ولا نخاف أن نبتلى بهم، والآن فقد ساروا إليكم حفاة عراة جياعا نياعا قد أطرهم (٢) إلى بلادكم قحط المطر وجدوبة الأرض وسوء الحال، وقد جاؤكم وهم يزعمون أن نبيهم الذي كان لهم خبرهم بأنهم ظاهرون على بلادكم وأهلها وقد أتوكم بنسائهم وأولادهم، وهم لا يشكون في الذي قال لهم نبيهم أنه سيكون، فخذوا الآن أهبتكم وأعدوا لهم عدتكم وسيروا إليهم وقاتلوهم عن دينكم وبلادكم ونسائكم وأولادكم، ألا! وإني شاخص عنكم وأنا ممدكم بالخيل والرجال ومؤمر عليكم أمراء فاسمعوا لهم وأطيعوا، قال: ثم بعث هرقل بكتابه إلى دمشق وحمص وأنطاكية وحلب وجميع بلاد الشام فحذرهم مسير العرب إلى ما قبلهم، ثم جمعهم وحشر منهم خلقا كثيرا.
قال: وسار أبو عبيدة بن الجراح بالمسلمين من المدينة حتى صار إلى وادي القرى (٣) فنزل هنالك حتى اجتمع إليه الناس، ثم سار من وادي القرى فأخذ على الأقرع من بلاد الحجر، وهي بلاد صالح النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخذ على ذات المنار (٤)
على الأخضر، ثم الجنينة، ثم على تبوك ثم دخل أرض الشام (٥)، وبلغ ذلك

---

(١) إلى هنا ينتهي النص الذي أخذ عن الترجمة الفارسية.
(٢) كذا.
(٣) وادي القرى: واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى (معجم البلدان).
(٤) عن فتوح الأزدي ص ٢٩ وبالأصل (ذات المشتاة) وذات المنار: موضع في أول أرض الشام من جهة الحجاز (معجم البلدان وزيد فيه: نزله أبو عبيدة في مسيره إلى الشام).
(٥) في فتوح الأزدي:... وعلى ذلك المنار ثم على زيزا، ثم سار على مآب بعمان فخرج إليه الروم.... وصالحهم أهل مآب... ثم سار أبو عبيدة حتى إذا دنا من الجابية..
وكان صلح مآب (باب من البلقاء في الكامل لابن الأثير) (الصواب مؤاب) هو أول صلح في الشام.

هرقل ملك الروم، فسار ملك الروم من فلسطين في خيله ورجله حتى صار إلى أنطاكية فنزلها.
وبلغ ذلك أبا عبيدة بن الجراح فكتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه (١):
بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله أبي بكر، خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله من عامر بن الجراح [سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو،] أما بعد فإني أسأل الله عز وجل أن يعز الاسلام وأهله عزا كثيرا (٢)، وأن يفتح للمسلمين فتحا مبينا، (٣) وإني أخبر الخليفة أن هرقل ملك الروم قد تنحى من بين أيدينا ونزل مدينة يقال لها أنطاكية وقد بعث إلى أهل مملكته، فحشرهم إلى ما قبله وقد اجتمع إليه منهم خلق كثير على الصعب والذلول (٤) وهم يزيدون على ثمانين ألفا سوى ما في سائر المدائن بالشام من الخيل والجنود، وقد أحببت أن أعلمك لترى فيه رأيك - والسلام [عليك ورحمة الله وبركاته].
قال: فلما قرأ أبو بكر رضي الله عنه كتاب أبي عبيدة بن الجراح كتب إليه (٥):
بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله بن عثمان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
أبي عبيدة بن الجراح، أما بعد فقد أتاني كتابك فقرأته وفهمت ما ذكرت فيه من أمر هرقل ملك الروم ونزوله بأنطاكية، فأما نزوله بها فان ذلك هزيمة له ولأصحابه، وفتح من الله عز وجل عليك وعلى المسلمين إن شاء الله عز وجل، وأما حشره إليه الجنود من أهل مملكته وجمعه لهم ولكم الجموع فإن ذلك ما كنا نعلم وتعلمون أنه سيكون ذلك منهم، وقد علمت يا أبا عبيدة أنه ما كان قوم ليتركوا ملكهم وسلطانهم بغير قتال، ومعك بحمد الله رجال يحبون الموت كحب الحياة ويحتسبون في حبهم أبكار نسائهم وعقائل أموالهم، والقهم بهم ولا تستوحش لقلة من معك من

---

(١) فتوح الأزدي ص ٣٠ الوثائق السياسية ص ٤٠٠ باختلاف بعض الالفاظ وفيه زيادة. وما أثبت بين معكوفتين زيادة عن الأزدي.
(٢) عند الأزدي: متينا.
(٣) الأزدي: يسيرا.
(٤) الذلول: المراد الخيل بأنواعها، وما يصعب قياده منها وما سهل.
(٥) الأزدي ص ٣٠ - ٣١ الوثائق السياسية ص ٤٠٠ - ٤٠١. باختلاف.

أصحابك، فقد علمت أن رجلا واحدا من المسلمين أكثر من ألف رجل من المشركين، فباشرهم بنفسك، والقهم بجندك فان الله عز وجل معك فثق به فإنه منجز وعده وناصر عبده، وأنا مع ذلك ممدك بالخيل بعد الخيل والجنود بعد الجنود حتى تكتفى إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والسلام (١).

فلما أراد أبو بكر رضي الله عنه أن يوجه بالكتاب إلى أبي عبيدة بن الجراح أقبل إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إني قد كتبت إلى أبي عبيدة بهذا الكتاب وعلمت أن معاذ بن جبل وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان هؤلاء الثلاثة هم أمراؤك فاكتب إليهم بما كتبت إلى أبي عبيدة وشجعهم على اللقاء لعدوهم كي لا يجدون في أنفسهم، فكتب إليهم أبو بكر رضي الله عنه نسخة واحدة (٢): أما بعد فقد بلغني جمع الروم بأنطاكية وكثرتهم واحتشادهم بها، وما قد أزمعوا عليه من أمورهم وقد علمتم أنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان الله تبارك وتعالى ينصرنا

ويمدنا بالملائكة الكرام الأبرار، وإن ذلك الدين الذي ندعوا إليه الناس ونقاتلهم عليه هو هذا الدين، فوربكم لا يجعل الله المسلمين كالمجرمين، ولمن (٣) شهد بشهادة الحق كمن يعبد الصلبان ويكفر بالرحمن، وقد كتبت إلى أبي عبيدة بن الجراح بنظير هذا الكتاب، فانظروا إن قضى الله عز وجل لكم مع الروم حروبا فالقوهم بقلوب شديدة وآراء عتيدة فإن الله عز وجل معكم، ولن يخذلكم وقد خبركم في كتابه إن الفئة القليلة من أوليائه تغلب الفئة الكثيرة من أعدائه، فثقوا بالله وارضوا به، وأنا مع ذلك ممدكم بخيل ورجال حتى تكتفوا ولا قوة إلا بالله. (٤)

قال: ثم وجه أبو بكر رضي الله عنه بهذه الكتب الثلاثة إلى أمراء الأجناد شرحبيل بن حسنة ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان.

قال: ثم دعا أبو بكر بهاشم بن عتبة بن أبي وقاص وهو ابن أخي سعيد بن أبي

---

(١) في فتوح الأزدي ص ٣١ بعث بهذا الكتاب مع دارم العبسي.

(٢) في فتوح الأزدي أن هذا الكتاب بعثه أبو بكر إلى يزيد بن أبي سفيان جوابا على كتاب يزيد إليه (نسخته في الفتوح للازدي ص ٣١ والوثائق السياسية ص ٤٠١). ونسخة كتاب أبي بكر هذه في فتوح الأزدي ٣١ - ٣٢ والوثائق السياسية ص ٤٠٢ باختلاف وزيادة.

(٣) عند الأزدي: ولا من يشهد أن لا إله إلا الله كمن يعبد معه آلهة آخرين. ويدين بعبادة آلهة شتى.

(٤) بعثه مع عبد الله بن قرط الثمالي (الأزدي).

وقاص فقال: يا هاشم! إن من سعادة جدك، ووفاء حظك أنك أصبحت ممن تستعين به الأمة على جهاد عدوها، وممن يثق الوالي بوفائه وصدقه ونصحه وبأسه وشجاعته، وقد بعث أبو عبيدة بن الجراح والمسلمون يخبروننني باجتماع الكفار عليهم، فأخرج فعسكر حتى أندب إليك الناس إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال هاشم بن عتبة: أفعل ذلك إن شاء الله ولا أعصى لك أمرا.

قال: فعندها قام أبو بكر رضي الله عنه في الناس خطيبا فحمد الله عز وجل وأثنى عليه، ثم قال (١):

أيها الناس! إن إخوانكم من المسلمين الذين أغزيناهم إلى الشام إلى جهاد عدوهم معافون، مدفوع عنهم، مصنوع لهم، قد ألقى الله الرعب في قلوب أعدائهم وقد جاءني كتاب أبي عبيدة يخبرني بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم، ونزوله مدينة أنطاكية، وقد اجتمع عليه خلق كثير من النصرانية، وقد رأيت أن أمد إخوانكم بجند منكم فيشد الله عز وجل بكم ظهورهم، ويكبت بكم أعدائهم، ويلقى الرعب في قلوبهم، فانتدبوا، رحمكم الله، مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، واحتسبوا في ذلك الاجر العظيم، فإنكم إن قاتلتم ونصرتم فهو الفلح (٢) والغنيمة وإن هلكتم فهو الشهادة والسعادة.

قال: فانتدب لأبي بكر خلق كثير من همدان وأسلم وغفار ومزينة ومراد والأزد وجميع القبائل (٣)، وفيمن انتدب إليه يومئذ رجل من الأزد يقال له الهلقام بن الحارث بن معمر بن النضر بن خليد التكي (٤) وكان يعد بألف فارس، وله قصة عجيبة من قبل إسلامه، ذكر أنه كان بدء أمر الهلقام بن الحارث أن العرب في الزمن الأول كانت يغير بعضها على بعض ويقتل بعضها بعضا.

ذكر الهلقام بن الحارث وما كان من أمره
قبل إسلامه رواه بعض العلماء عن آخر.

قال: ولم يكن في ذلك العصر في قيس غيلان خاصة أفرس من هؤلاء الثلاثة

---

(١) خطبته في فتوح الأزدي ص ٣٤. قارن هناك.
(٢) عند الأزدي: الفتح.
(٣) كانت عدتهم ألف رجل (فتوح الأزدي).
(٤) كذا.

عامر بن الطفيل العامري، وعنترة بن شداد العبسي، والعباس بن مرداس السلمي، وكانوا مولعين بالغارة على أحياء العرب. قال: فاجتمعوا على ذلك ثم إنهم خرجوا وخرج معهم ألف رجل من أخيار
قيس وشجعانهم فلم يزالوا يسيرون، فلم يأتوا على حي من أحياء العرب إلا أبادوهم، وأوجعوهم بالأسر والقتل يذلون العرب ما يفلت منهم أحد إلا مأسورا أو مقتولا أو مفلولا أو مغلوبا. قال: فجمعوا من الغنائم ما لم يجمعه أحد في عمره، ثم إنهم أتوا أجمعين يريدون بلادهم فجعلوا يفتخرون بما صنعوا بالناس، ويقولون في ذلك الأشعار ويذكرون جلادتهم، وصبرهم في الحرب، وقتلهم الأبطال، وأخذهم الأموال. قال: فأول من تكلم منهم وفخر بقومه عامر بن الطفيل العامري، قال: ثم تكلم العباس بن مرداس السلمي، قال: ثم تكلم عنترة بن شداد وفخر بقومه.
قال: فلم يزالوا سائرين بالغنائم والأموال حتى نزلوا واديا قريبا من أرض اليمن يقال له ((السلي)) (١) فلما استقر بهم الموضع نظروا فإذا هم بخيمة قد لاحت لهم قريبة منهم، فأرسلوا ثلاثة نفر من أصحابهم لينظروا ما هي ومن فيها، فأقبل ثلاثة نفر إلى الخيمة فإذا هم بعجوز قاعدة فكلموها فلم تكلمهم، فقال أحد الثلاثة لصاحبه: أنزل عن فرسك فانظر من في هذه الخيمة، فنزل ومشى نحو باب الخيمة، فصاحت به العجوز: وراءك! فلم يفعل حتى صار إذا قريبا من باب الخيمة فوثبت إليه العجوز فضربت بيدها إلى جنبه ثم رفعته فضربت به الأرض فإذا هو ميت، فنزل الثاني ومضى إلى صاحبه فنظر إليه ميتا فلم يرجع لكنه مشى نحو الخيمة، فصاحت به العجوز: وراءك قليلا لا ألحقك بصاحبك، فلم يفعل ودنا من باب الخيمة فرفعت العجوز يدها ووكزت في صدره وكزة فإذا هو قد خر ميتا، فلما رأى الثالث انصرف إلى أصحابه فخبرهم بذلك.
قال: فركب عامر بن الطفيل والعباس بن مرداس وعنترة بن شداد في قريب من مائة فارس من أبطال قومهم وخلفوا الباقين من أصحابهم عند الغنائم والأمتعة، فلما نظرت العجوز إلى هؤلاء المائة قد أقبلوا صاحت وقالت في صيحتها: يا هلقام!

---

(١) السلي: بتشديد اللام والياء موضع في بلاد عامر. والسلي: بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد يائه بين اليمامة وهجر.

الحزم، الحزم، قال: فاقشعر القوم من صيحة العجوز وإذا بجارية قد أطلعت رأسها من الخيمة كأنها القمر في ليلة البدر حسنا وجمالا فقالت: يا هؤلاء! انصرفوا من حيث جئتم من قبل أن يأتيكم الليث الهصور، قال: فضحك عامر من تهديدها إياهم ثم أقبل على العباس بن مرداس فقال: ويحك يا عباس! ما أظن العرب والعجم ولدت مثل هذه الجارية فانزل إلى هذه الجارية فإما تقتل وإما نعينك، فقال العباس: وإن قلت هذا وافتخرت فأنت قد قلت وهذا عنترة أيضا قد قال، وهذا وقت يختبر فيه الأبطال فانزل يا عامر ويا عنترة وأنا معكما.

قال: فبينما هم كذلك في المحاورة وإذا هم بغلام أمرد قد طلع عليهم من شعب في ذلك الوادي كأنه الشمس الطالعة بهاء وجمالا وحسنا على فرس له أدهم أغر محجل وفي يده رمح يجره من طوله وفي رأس الرمح سنان كأنه شعلة نار، وللغلام ذؤابة قد سقطت على عجز الفرس وعليه قميص وإزار ومعه ثلاثة عبيد له سود يمشون بين يديه، فلما نظر إلى الخيل قد أحدقت بباب الخيمة جعل يزئر كالليث المغضب عند فريسته وهو في ذلك.

قال: ثم دنا من القوم فقال: ما بغيتكم؟ فلا واللات والعزى ما عندي إلا شويهات يسيرة وعشرة من الإبل وثلاثة أفراس وسلاحي وعبيدي هؤلاء وأمي وأختي وأهلي هي بنت عمي! فانصرفوا عني ولا تهيجوني، فإن كنتم قد حدثتكم أنفسكم وظننتم أنكم تأخذون مني شيئا فبئس ما ظننتم، فقال عامر بن الطفيل: من أنت يا غلام؟ قال الغلام: أنا الهلقام بن الحارث بن معمر بن النضر بن خليد الأزدي أحد بني العتيك بن الأزد وابن عمي سبرة بن قرة فارس العنقاء الذي أغار على أحياء العرب فأسر ثم أطلقهم بعد ذلك عن مقدرة، فقال عامر بن الطفيل: فكيف اخترت هذا الوادي فنزلته منقطعا عن الناس؟ فقال: إني جنيت في قومي جناية، قتلت منهم فرحلت عنهم بأختي وأمي وأهلي ومالي حتى نزلت هذا الوادي فقلت: أكون فيه مقيما إلى أن ترضى بنو عمي فيصفحون عن دم قتيلهم ثم أعود إليهم، ولكن خبروني من أنتم؟ فقال له: أنا عامر بن الطفيل العامري، وهذا عنترة بن شداد العبسي، وهذا العباس بن مرداس السلمي ومع كل واحد منا وجوه قومه وأشراف عشيرته.

قال: فتبسم الغلام ضاحكا ثم قال: والله! ما كنت بالذي أبالي بكم ولو كان معكم ابن عمي عمرو بن معدي كرب الزبيدي فإنه أشد منكم جأشا، وأجرأ منكم جنانا، وأشجع منكم قلبا، ولقد أقررتم له بذلك عند النعمان بن المنذر وخضعتم له

صاغرين، فقال له عامر بن الطفيل: وما علمك أنا أقررنا له؟ فقال: علمني شعرك حين فضلته على نفسك، قال: ثم أقبل الغلام على العباس بن مرداس السلمي فقال له: يا عباس! ألست القائل يوم فضلت عمرا على نفسك، قال: ثم أقبل الغلام على عنترة بن شداد وقال له: وأما أنت يا عنترة فإنك لم تشهد ذلك المشهد والكذب عار على الأحرار، قال: فقال له عامر بن الطفيل: حسبك يا غلام من كثرة القول، أما ما ذكرت من تفضيلنا عمرا على أنفسنا فلعمري لقد كان ذلك في وقت من الأوقات ولم نجد بدا من تفضيله ولكن ما أنت وعمرو ولست كعمرو ولا دون عمرو وإنما أنت صبي من الصبيان فخل عن أختك وأهلك وانج بنفسك وخدمك وأمك وسائر أموالك، فقال الغلام: أيجوز هذا يا عامر أن أخلى عن أختي وأهلي وقد أوصاني... (١) بحفظ الجار، وطلب الثأر، ونفى العار، ومنع الدمار، لسنا واللات والعزى كأولاد قيس غيلان، إنما نحن ولد قحطان، أصحاب الضراب والطعان، ملوك الشرق والغرب، وأحلاس (٢) الوخز والضرب، ما أنتم عندي إلا كما قال سيدكم عمرو بن معدي كرب حيث يقول - شعر:

والله ما لبني غيلان مكرمة * فرع قديم ولا أس بتأسيس.

قال: فغضب عامر بن الطفيل من قوله غضبا شديدا وهم أن يحمل عليه ثم خشي أن يغلبه الغلام فتكون فضيحة ومسبة عليه، فأقبل على أصحابه وقال لرجل يقال له (ضمضم): يا ضمضم! أخرج إلى هذا الغلام فاكفنا أمره، فخرج ضمضم نحو الهلقام وهو يرتجز، فبدر إليه الهلقام بن الحارث وهو يرتجز، فالتقيا بطعنتين طعنه الهلقام طعنة أرداه عن فرسه قتيلا.

قال: فاغتم القوم بقتل ضمضم بن عاصم العامري غما شديدا، فأقبل عنترة بن شداد على رجل من بني عبس يقال له (عمرو بن دعامة) فقال: ويحك يا عمرو! أخرج إلى هذا الكلب فاكفنا أمره، فخرج عمرو بن دعامة نحو الهلقام وهو يرتجز، قال: فبدر إليه الهلقام بن الحارث، قال: والتقيا بطعنتين طعنه الهلقام طعنة فقتله، ثم جال جولة ووقف.

---

(١) كذا. بياض بالأصل.

(٢) أحلاس: جمع حلس، هو الملازم لا يبرح القتال. يقال: فلان من أحلاس الخيل أي هو في الفروسية ولزوم ظهر الخيل كالحلس اللازم لظهر الفرس. (اللسان).

قال: فلما نظر العباس بن مرداس السلمي إلى هذا الغلام وقد قتل رجلا من بني عامر، ورجلا من بني عبس أقبل على رجل من فرسان بني سليم يقال له (حرشل بن زياد) فقال له: ويحك يا حرشل! واللات والعزى إني لأعلم أنه ما يقوم لهذا الغلام أحد سواك فإن رأيت أن تشفى صدور بني عمك منه فعلت منعما!

قال: فخرج حرشل بن زياد السلمي نحو الهلقام بن الحارث وفي يده حربة له كالشهاب فجعل يلعب بها ويقلبها وتحته فرس له أشقر وهو يرتجز، قال: فبدر إليه الهلقام بن الحارث وهو يرتجز، قال: والتقيا بطعنتين طعنه الهلقام [طعنة] قتله، ثم وقف في ميدان الحرب ثم دعاهم إلى البراز، فلم يزل يخرج إليه رجلا بعد رجل حتى قتل منهم بضعة عشر رجلا.

قال: وامتلأ القوم غيظا وغضبا وندموا على مجيئهم إليه وخشوا العار أن ينصرفوا عنه وهم فرسان وسادات من سادات العرب، ثم انهم هموا بالحملة عليه، قال: وأحس الغلام بذلك فقال: يا معشر العرب! أما تستحون من هذا الذي أزمعتم عليه؟ إن كنتم تريدون ذلك فارقبوا علي قليلا حتى أفرغ على سلاحي، فقال له عامر بن الطفيل: قد فعلنا ذلك فأته إلى ما تريد، قال: فقنع الغلام فرسه ومضى موليا نحو باب الخيمة فصاح وقال: يا أمه! هلمى سلاحي، ثم نزل عن فرسه والقوم قد أمهلوه وينظرون إليه فخرجت إليه بالدرع فأفرغته عليه وناولته ابنة عمه السيف وأعطته أخته عمامته فاعتجر بها، ثم تناول رمحه واستوى على فرسه كالبرق الخاطف، ثم أقبل نحو القوم، قال: ثم إنه حمل عليهم ففرق جمعهم وجعل يكر عليهم ويكرون عليه حتى أثخنوه بالجراحات، ثم حمل عليه عامر بن الطفيل والتقيا بطعنتين طعنه الهلقام طعنة نكسه عن فرسه وحمل عليه عنترة بن شداد ليطعنه فكبا بعنترة فرسه فإذا هو في الأرض، فانهزم الباقون من بين يديه وفيهم العباس بن مرداس السلمي.

قال: وصاح الهلقام بغلمانه فأقبلوا إليه يحصرون فقال: دونكم هذين الكلبين فاكتفوهما، قال: فكتف عامر بن الطفيل وعنترة بن شداد.

قال: ومر الهلقام في طلب القوم فإذا هم يسوقون الغنائم سوقا عنيفا، فلما نظروا إليه قد وافاهم رجعوا عنها، فجاولوه وفجاولهم وطاعنوه وطاعنهم وجرحوه وجرحهم، ثم قال: واللات والعزى وحق أنصار اليمن لا رجعت عنكم دون أن أقتل أو أبيدكم أو تدفعون إلى العباس بن مرداس أسيرا! وإذا فعلتم ذلك رجعت عنكم

وإلا فهذا دأبي ودأبكم أبدا فكونوا من ذلك على يقين. قال: فبادر القوم إلى العباس بن مرداس فأحاطوا به من كل جانب حتى نكسوه عن فرسه ثم كتفوه ودفعوه إليه ومضى القوم على وجوههم.

وأقبل الهلقام بالعباس إلى موضع الوقعة وغلمانه وقوف على عامر بن الطفيل وعنترة بن شداد، فقال لغلمانه: اجمعوا علي ما قدرتم عليه من غنائم هؤلاء القوم، فجمع غلمانه شيئا مما تخلف عن القوم، فجعل الهلقام يسوق الغنائم بين يديه وهؤلاء الثلاثة يساقون مع الغنائم نحو باب الخيمة والهلقام من ورائهم وقد رفع صوته ثم نزل عن فرسه على باب الخيمة، فخرجت إليه بنت عمه فجعلت تمسح وجهه بردائها، وخرجت إليه أخته فأخذت عنه سلاحه، وتقدمت إليه أمه فقبلت بين عينيه، ثم إنها حطت عن الفرس السرج واللجام وأقامتها على مذودها (١).

قال: وقعد الهلقام ثم دعا بالطعام فأكل، فلما فرغ من طعامه أمر فقرب إلى هؤلاء الثلاثة المائدة بعد أن أطلقهم من كتافهم فأكلوا، فلما فرغوا من طعامهم أمر بهم فأعيدوا في كتافهم، ثم رفع صوته.

قال: فمكث هؤلاء القوم في يده شهرا كاملا ونحو ذلك لا يكلمهم ولا يسألهم عن شئ غير أنه يجري عليهم من الطعام ما يقوتهم والقوم يمنعهم الحياء أن يسألوه التخلية عنهم بما كانوا ارتكبوا منه وتعرضوا لحرمته وبغوا عليه.

فلما كان بعد شهر اتصل الخبر ببني عمه فسرهم ما كان منه، ثم انهم صفحوا عنه وعن دم قتيلهم، وسألوه أن يصير إليهم، فتهيأ لذلك وهيأ الرواحل لامه وأخته وامرأته وغلمانه، ثم أمر أن تهيأ ثلاثة رواحل لهؤلاء الثلاثة ليحملهم إلى قومه، فشق ذلك عليهم وجعل عامر بن الطفيل يقول لعنترة وللعباس بن مرداس: ويحكما إنه متى حملنا هذا الغلام إلى قومه فذاك هو العار الذي لا يغسل عنا أبدا ولكن ذروني أتكلم بما أريد فأسأله الصفح فلعله أن يفعل، فقالا له: شأنك يا عامر، فخرج إليه عامر بن الطفيل والفتى قاعد على باب الخيمة فحياه بتحية الجاهلية ثم قال له: يا سيد الفتيان كلها قاطبة غير مدافع أتأذن لأسيرك في الكلام؟ فقال له الهلقام: تكلم ما أحببت، فأنشأ عامر بن الطفيل يقول أبياتا من جملتها:

---

(١) مذود الدابة معلفها ومذود الثور: قرنه (اللسان).

فامنن عليه يا بن نضر الخير * بالعفو والرضا والتيسير
خل سبيل الحامد الشكور
قال الهلقام: إني قد فعلت يا غلام! خل سبيله واردد عليه فرسه وسلاحه،
قال: فأنشأ عنترة بن شداد يقول أبياتا، من جملتها:
جاء على أجرد اعوجي * مثل هزبر غالب خيسى
قد طال حبس الجائر الشقي * خل سبيل الشاكر الوفي
فقال الهلقام: قد فعلت يا غلام! حل كتافه واردد عليه فرسه وسلاحه، قال:
فأطلق الغلام سبيله ورد عليه فرسه وسلاحه، قال: ثم أنشأ العباس بن مرداس أبياتا من جملتها:
والضرب عند الحرب بالصمصام * قد طال حبس... (١) المجرام
فامنن علي واغتفر اجرامي
فقال الهلقام: قد فعلت، يا غلام فحل عنه كتافه واردد عليه فرسه وسلاحه.
قال: فأطلق سبيلهم ورد عليهم أسلحتهم وأفراسهم، ثم دعاهم وأجلسهم بين يديه، ثم قال: اعلموا أني لست كأنتم من الناس، ولا أقاس بأمثالكم في الشدة والنجدة والشجاعة والبأس، ولكني إنما نصرت عليكم لأنكم وافيتموني في الشهر الحرام فتعرضتم لحرمتي، وأردتم هتكي وفضيحتي فنصرت عليكم للذي كان من بغيكم في الشهر الحرام، ولعمري بي لفعلتم غير أني لم أحب للذي أن تتحدث العرب بذلك ويقول بعضها لبعض: إن الهلقام لئيم الظفر، وهذه غنائمكم خذوها إليكم وانصرفوا إلى قومكم ولا تحدثوا أحدا بالذي كان منكم لأني لا أحدث أحدا مع أني أعلم أنه حديث لا ينكتم.
فانصرف القوم إلى بلادهم وانصرف الهلقام إلى بلاده وقومه وبني عمه من الأزد وشاع خبره وخبر هؤلاء القوم في قبائل العرب فتحدثوا به ودار في أفواه أهل الأدب.
فأما عنترة بن شداد العبسي مات ولم يدرك الاسلام، وأما العباس بن مرداس فإنه

---

(١) بياض بالأصل.

رزق الاسلام (١) وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم وغزا معه في عشرين غزوة وقاتل في يوم حنين
قتالا شديدا إلى أن مضى لسبيله، وأما عامر بن الطفيل فإنه أدرك الإسلام ولم يسلم (٢)، وأما هذا الفتى الهلقام فإنه لم يزل في ديار قومه ثم أسلم وبطئ عن القدوم على رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله) حتى مضى لسبيله، ثم كانت الردة فلم يشهد شيئا منها، ثم قدم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه في وفد اليمن، فلما ندب أبو بكر الناس إلى حرب الروم كان هذا هلقام ممن انتدب مع سبعين رجلا من قومه وبني عمه فصار في جيش هاشم بن عتبة بن أبي وقاص.
ثم رجعنا إلى الخبر الأول، فلما نظر أبو بكر رضي الله عنه إلى كثرة من أجابه من المسلمين قال: الحمد لله على صنعه لهذه الأمة فإنه ما زال يرتاح لهم مدد من أنفسهم يشد الله به ظهورهم ويقصم به عدوهم.
قال: وجعل الناس يجتمعون إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص حتى صار في قريب من ثلاثة (٣) آلاف، فلما هم بالمسير أقبل عليه عمه سعد بن أبي وقاص فقال له: يا ابن أخي! إنك خارج في هذا الجيش ومعك سادات العرب فإياك والاستطالة على أحد منهم فلست أفضل من غيرك إلا بالتقى. وانظر إذا لقيت عدوك فلا تضربن ضربة ولا تطعنن طعنة ولا ترمين بسهم إلا وأنت تريد بذلك وجه الله عز وجل فإنك خارج من الدنيا وشكا (٤) وراجع إلى دار الآخرة ولدار الآخرة خير للمتقين، فلم يصحبك من هذه الدنيا إلا قدم صدق قدمته، يا بن أخي، وعمل صالح قدمته (٥) والسلام. قال هاشم بن عتبة: يا عم! إن تعديت وصيتك فإني إذا لمن الخاسرين، أتراني يا عم ارتحالي إلى عدوي ورواحي وبكوري وسعيي (٦) وجلادي وضربي بسيفي وطعني برمحي رياء للناس! كلا يا عم! لا تظن بي هذا.
قال: فودعه عمه وأقبل إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ليودعه فأوصاه وعهد

---

(١) أسلم قبل فتح مكة بيسير، وهو من المؤلفة قلوبهم. (أسد الغابة ٣ / ١١٢).
(٢) أسد الغابة ٣ / ٨٤.
(٣) في فتوح الأزدي ص ٣٤: (ألف).
(٤) عند الأزدي: رشيدا.
(٥) الأزدي: أسلفته.
(٦) الأزدي: وسيفي.

إليه ثم قال (١): يا هاشم! إنا كنا فيما مضى ننتفع من الشيخ الكبير بمشورته ورأيه وحسن تدبيره وننتفع من الشاب الحدث ببأسه وصبره وبنجدته، وقد جمع الله لك هذه الخصال كلها، فأنت بحمد الله حدث السن شجاع القلب مستقبل الخير، فإذا لقيت عدوك غدا فاصبر وصابر، واعلم بأنك لم تخط خطوة ولم تنفق نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا تقطع واديا ولا يصيبك مخمصة في سبيل الله إلا كتب لك بها عمل صالح! إن الله لا يضيع أجر المحسنين.

فقال هاشم: إن يرد الله بي خيرا يجعلني كذلك، وبعد يا خليفة رسول الله! فإني (٢) أرجو أن أقبل، فقال أبو بكر: وفقك الله للخير، يا هاشم! إنك سائر إلى أبي عبيدة بن الجراح وقد صحبك رجل من المعدودين في الجاهلية بالشجاعة والنجدة يقال له هلقام بن الحارث الأزدي، وأنا أوصيك به خيرا فإنه رجل يعد بألف فارس غير مدافع فلا تشكه في نفسك وألن له جانبك واخفض له جناحك، وقد صحبك أيضا رجل عظيم الشرف ذو بأس ونجدة وشدة وشجاعة وهو قيس بن هبيرة (٣)

فأحسن صحبته في طريقك ما استطعت، وإذا قدمت إلى أبي عبيدة فأقرئه مني السلام ومره أن يدنيه ويلطف به ويستعين برأيه فإنه رجل لا يملأ قلبه شئ، فقال هاشم بن عتبة: أفعل ذلك إن شاء الله عز وجل ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال: ثم أقبل أبو بكر رضي الله عنه على قيس بن هبيرة فقال له: يا قيس!

إنك خارج مع هاشم بن عتبة وقد أوصيته بك وقد أمرته أن يأمر أبا عبيدة بالوصاة بك وإلا بمشورتك فإذا قدمت إن شاء الله فلا تعصين له أمرا فإنه لا يأمرك إلا بخير، وهو الأمير الذي إن ظلم له يظلم وإن أسئ إليه غفر وإن قطع وصل، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، وقد بلغني عنك أنك فارس مجرب وقد كان ذلك عنك في زمن الجاهلية، وليس في ذلك إلا الإثم والقطيعة للرحم، فاجعل بأسك اليوم في الاسلام (٤) على من كفر بالله وعبد غيره، وقد جعل الله عز وجل في الجهاد الاجر العظيم.

---

(١) فتوح الشام للازدي ص ٣٤.

(٢) في فتوح الأزدي: وأنا أرجو إن أنا لم أقتل أن أقتل، ثم اقتل إن شاء الله.

(٣) في فتوح الأزدي أن قيس بن هبيرة صحب أبا عبيدة، وقد أوصى أبو بكر أبا عبيدة به، انظر مقالته فيه ص ٢٦.

(٤) في الأزدي: على المشركين، وعلى من كفر...

قال: ثم أقبل أيضا على الهلقام بن الحارث ليوصيه فقال: يا خليفة رسول الله! لا توصني بشئ فقد سمعت وصيتك فإن (١) بقيت وأخر الله عز وجل في الأجل فسيبلغك من حيطتي على الاسلام والمسلمين وجهادي في المشركين ما يسرك الله عز وجل به ويرضيك عني إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.

قال: ثم سار هاشم بن عتبة في ثلاثة آلاف مجهز حتى قدم على أبي عبيدة بن الجراح، قال: فسر أبو عبيدة وجميع المسلمين بقدوم هاشم بن عتبة ومن معه سرورا شديدا.

وأقبل إلى أبي بكر رضي الله عنه رجل من خيار المسلمين يقال له سعيد بن عامر بن خذيم (٢) فقال (٣): يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم! إنه بلغني أنك أردت أن

تبعثني في هذا الوجه، ثم إني رأيتك وقد أمسكت عن ذلك فلا أدري لأي شئ كان ذلك منك! فإن كنت تريد أن تبعث أحدا فأذن لي أن الحق بجماعة المسلمين فإني راغب في الجهاد، قال فقال له أبو بكر: يا أبا عمرو! إني لأرجو أن يرحمك الله فإني (٤) ما علمت إلا أنك من المتواضعين المحبين الذاكرين الله عز وجل كثيرا (٥) فأخرج رحمك الله يا أبا عمرو واضرب عسكرك خارج المدينة فأنت أمير على كل من تبعك.

قال: فخرج سعيد بن عامر حتى عسكر خارج المدينة في سبعمائة رجل، فلما أراد الرحيل إلى الشام أقبل بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر رضي الله عنه

فقال (٦): يا خليفة رسول الله! يا ولي نعمتي! إنك إنما أعتقتني لأقيم معك وأؤذن

---

(١) نسب الأزدي هذا القول إلى قيس بن هبيرة يرد على ما أوصاه به أبو بكر الصديق.

(٢) كذا بالأصل، وفي فتوح الأزدي ص ٣٥ (حذيم).

(٣) وكان قد بلغه أن أبا بكر يريد أن يبعثه فلما أبطأ عليه، ومكث أياما لا يذكر له أبو بكر شيئا قال (عن فتوح الشام للازدي ص ٣٥).

(٤) في فتوح الأزدي ص ٣٦ فإنك ما علمت من المتواضعين، المتواصلين، المجتنبين، المجتهدين بالأسماء الذاكرين الله كثيرا.

(٥) زيد في فتوح الأزدي: فقال سعيد: رحمك الله، إن نعم الله علي أفضل مما عسيت أن تذكره، فله المن والطول والفضل علينا، وأنت، والله ما علمت، صدوع بالحق، قوام بالقسط، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، تحكم بالعدل، والحق، لا تستأثر في القسم.

(٦) انظر مقالته في وفيات الأعيان وفتوح الأزدي.

في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أذنت وأقمت، والآن فقد مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسبيله وأنا لا أحب أن أؤذن لاحد من بعده، وأريد منك أن تأذن لي حتى أخرج فيما ينفعني، وتخلي سبيلي حتى أجاهد في سبيل الله فإن الجهاد أحب إلي من المقام، قال: فقال له أبو بكر رضي الله عنه: ويحك يا بلال! إنما أعتقتك لوجه الله تعالى، ولم أرد بذلك جزاء ولا شكورا، وهذه الأرض ذات الطول والعرض بين يديك فاسلك أي فجاجها أحببت، قال فقال بلال: يا خليفة رسول الله! لعلك وجدت علي في مقالتي، فقال أبو بكر: لا والله يا بلال! ما وجدت عليك ولا أحب أن تترك هواك لهوائي لأني قد علمت أن هواك يدعو إلى الله وإلى طاعته، وإنما أحببت أن تقيم معي في المدينة للاذان، واعلم أني سأجد لفراقك وحشة شديدة ولا بد من الفراق (١)، فاعمل صالحا يا بلال يكن زادك من الدنيا، ويذكرك الله عز وجل ما حييت، ويحسن لك الثواب إذا قدمت عليه، فقال بلال: جزاك الله من ولي نعمة، وأخ في الاسلام خيرا! فوالله ما علمتك إلا تأمر بالصبر والمداومة (٢) على طاعة الله وما كنت أؤذن لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: ثم خرج بلال مع سعيد بن عامر في هذا الجيش (٣). وأقبل سعيد بن عامر إلى أبي بكر ليودعه، وأبو بكر رضي الله عنه في ذلك الوقت في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله)، فودعه أبو بكر رضي الله عنه ثم قال: يا معشر المسلمين! ارفعوا أيديكم إلى الله عز وجل وسلوه أن يصحب أخاكم هذا وأن يسلمه في طريقه، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: ما من عدة من المسلمين رفعوا أيديهم إلى الله عز وجل يسألونه شيئا إلا استجابه الله لهم ما لم تكن معصية أو قطيعة رحم، قال: فعندها رفع المسلمون أيديهم في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله) - وهم أكثر من خمسين رجلا، فقالوا: اللهم احفظ إخواننا من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وارزقهم السلامة إنك على كل شئ قدير! قال: فقال سعيد: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم! ما كنت أحب أن يدعى لي

---

(١) في الأزدي: فرقة لا لقاء بعدها أبدا حتى يوم البعث.
(٢) عند الأزدي: والمداومة على الحق والعمل الصالح.
(٣) خرج بلال بعد النبي (ص) مجاهدا إلى أن مات بالشام. قال البخاري: مات بالشام في زمن عمر، وقال ابن بكير: مات في طاعون عمواس. وقال عمرو بن علي: مات سنة عشرين. وقال ابن منده في المعرفة أنه دفن بحلب (عن الإصابة).

بالسلامة فإني خائف أن يرزقني الله عز وجل السلامة ولا أستشهد، وإني لحريص على الشهادة، قال: فدعا المسلمون له بالشهادة (١).

وسار سعيد بن عامر من المدينة في ألفي رجل من المسلمين يريد بلاد الشام، قال: ومضى المسلمون حتى لحقوا بأبي عبيدة بن الجراح.

قال: وجعل أبو بكر رضي الله عنه كلما قدم عليه وفد من العرب يوجه بهم إلى الشام الأول فالأول. قال: ونظرت الروم إلى جيوش العرب وقد أقبلت من كل أوب ففزعوا لذلك أشد الفزع ثم انهم كتبوا إلى هرقل ملك الروم يخبرونه بذلك ويسألونه المدد، فكتب إليهم هرقل فقال: إني قد عجبت منكم يا معاشر بني الأصفر ومن كتبكم إلي تخبروني بكثرة من أقبل إليكم من العرب (٢)، وإني لاعلم أن مدينة واحدة من مدنكم فيها أكثر ممن جاءكم منهم بأضعاف متضاعفة، فإذا ورد عليكم كتبي هذا فالقوهم بالحد والحديد وقاتلوهم بالخيل والجنود، ولا تحسبوا أني كتبت هذا الكتاب وأنا لا أريد [أن] أمدكم بخيل ولا رجل، فوحق المسيح روح القدس لأبعثن إليكم من الجنود ما تضيق به الأرض العريضة الطويلة سعتها!

قال: ثم جعل هرقل يكاتب ملوك الروم ويسألهم المدد إلى حرب المسلمين، واتصل الخبر بأبي عبيدة بن الجراح، فكتب به إلى أبي بكر رضي الله عنه (٤).

فلما ورد الكتاب إلى أبي بكر نادى في الناس فجمعهم ثم أرسل إلى وجوه

---

(١) مات سنة ١٩ بقيسارية. وقيل مات سنة ٢١ ه. وقال ابن سعد: مات سنة ٢٠ وهو وال على بعض الشام (الإصابة).

(٢) زيد في فتوح الأزدي: وأنا أعلم بهم وبمن جاء منهم.

(٣) عند الأزدي: ولا تظنوا.

(٤) نسخة كتاب أبي عبيدة بن أبي بكر (عن فتوح الأزدي ص ٤٤): بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فالحمد لله الذي أعزنا بالاسلام، وأكرمنا بالايمان، وهدانا لما اختلف المختلفون فيه بإذنه، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وإن عيوني من أنباط الشام أخبروني أن أوائل امداد ملك الروم قد وقعوا عليه، وأن أهل مدائن الشام بعثوا رسلهم إليه يستمدونه، وأنه كتب إليهم، أن أهل مدينة من مدائنكم أكثر مما قدم عليكم من العرب، فانهضوا إليهم فقاتلوهم، فإن مددي يأتيكم من ورائكم، فهذا ما بلغني عنهم، وأنفس المسلمين لينة بقتالهم، وقد أخبرونا أنهم قد تهيأوا لقتالنا، فأنزل الله على المؤمنين نصره، وعلى المشركين رجزه، إنه بما يعملون عليم. والسلام (انظر الوثائق السياسية ص ٤٠٣).

قريش من أهل مكة فدعاهم ثم استشارهم في أمر الروم، قال: فذهب أهل مكة ليتكلموا، فصاح بهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه صيحة أسكتهم ثم أقبل على أبي بكر فقال: يا سبحان الله! أتجمع من أسلم يوم فتح مكة من فرق السيف مع السابقين من المهاجرين والأنصار! فقال له أبو بكر: يا أبا حفص! إنما دعوتهم للمشورة لهذا الامر الذي نحن فيه ولهذا الخبر الذي ورد علينا من أبي عبيدة بن الجراح، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فالمهاجرون والأنصار أولى بالمشورة والانتصاح لهذه الأمة من أهل مكة، لان هؤلاء إنما قاتلناهم لتكون كلمة الله هي العليا، وقاتلونا ليطفئوا نور الله بأفواههم جاهدين على قتلنا، فلما أعز الله عز وجل دعوتنا وصدق أحدوثتنا ونصرنا عليهم تريد أن تقدمهم في الامر وتستنصحهم في المشورة وتدنيهم بين يدي من هو خير منهم (١)، والله لا تفعل ذلك! قال فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أبا حفص! إنه قد حسن إسلامهم وإنما أردت أن أدنيهم وأقربهم وأنزلهم منازلهم التي كانت منا إليهم، فأما إذ قلت ما قلت فإن رأيي لرأيك تبع.

قال: فشق ذلك على أهل مكة فوثب الحارث بن هشام المخزومي وهو أخو أبي جهل بن هشام وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو فقالوا: إياك نريد بكلامنا يا عمر! ولك نخاطب وعليك نعتب، فأما خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو برئ

عندنا من الغيظ والحقد والقطيعة، فقال عمر: تكلموا بما أحببتم، فقال سهيل بن عمرو: يا عمر بن الخطاب! ألسنا إخوانكم في الاسلام وبني أبيكم في النسب؟ فقال عمر: بلى لعمري إنا لكذلك! فقال سهيل: فلم تؤخرونا وقد قدمنا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال (٢)..... في السابقة..... سهيل (٣): يا عمر بن الخطاب..... (٣) منه أشهدكم يا معشر المسلمين..... (٤)

---

(١) زيد في فتوح الأزدي ص ٤٥ فما نصحنا إذن بصلحائنا الذين كانوا يقاتلونهم في الله حين تقدمهم دونهم
فلا نراهم، اذن وضعهم عندنا جهادهم إيانا، وجهدهم علينا.

(٢) كذا بالأصل بياض وفي فتوح الأزدي ص ٤٧: فقال لهم عمر: إني والله ما قلت ما بلغكم إلا نصيحة لمن سبقكم بالاسلام، وتحريا للعدل فيما بينكم وبين من هو أفضل منكم من المسلمين.

(٣) كذا، وعند الأزدي: فقال سهيل بن عمرو: فإن كنتم إنما فضلتمونا بالجهاد في سبيل الله فوالله لتستكثرن منه.

(٤) بياض بالأصل، وفي الأزدي: أني حبيس في سبيل الله والله لانفقكن.

بدل كل نفقة أنفقتها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم [نفقتين] (١) في سبيل الله،
ولاقفن مكان كل موقف وقفته على رسول الله صلى الله عليه وسلم موقفين على أعداء الله.
قال: ثم وثب الحارث بن هشام [وقال مثل (٢) -] ذلك القول، ووثب عكرمة بن أبي جهل ورجال أهل مكة... (٣) فقال أبو بكر: اللهم بلغهم أفضل ما يؤملون واتجرهم... (٤) قال وسر عمر بن الخطاب وغيره من المسلمين بما كان من أهل مكة... (٥) شديدا.
قال: ثم دعا أبو بكر رضي الله عنه عمرو بن العاص فقال له... (٦)
أتحب أن تخرج في هذا الوجه إلى جهاد الروم؟ فقال عمرو: أحب ذلك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم! قال له أبو بكر: هؤلاء أشراف قومك من أهل مكة يريدون
الخروج (٧)، فإن كانت نية صادقة فأخرج فعسكر خارج المدينة حتى أندب إليك الناس، قال عمرو: أخرج على أن أكون أميرا على جميع الناس، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أمير على كل من أبعثه معك، قال عمرو: لا بل كل من أقدم [عليه] (٨) من المسلمين بالشام. قال أبو بكر: لا ولكن أحد الامراء، فان جمعكم الله عز وجل على حرب واحد في موضع واحد فأميركم أبو عبيدة بن الجراح المقيم بأرض الشام. قال: فسكت عمرو بن العاص ساعة ثم قال: إني أفعل ما تأمر به يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ثم انصرف عمرو إلى منزله، فلما كان الليل سار إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسلم عليه ثم قال: يا أبا حفص إنك قد عرفت بصري بالحرب (٩) وقد رأيت منزلتي عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله) وقد علمت أن أبا بكر لا يعصيك في

---

(١) بياض بالأصل، وما أثبتناه عن الأزدي.
(٢) سقطت من الأصل.
(٣) عند الأزدي: فقال عكرمة بن أبي جهل: أنا أشهدكم أني حبيس في سبيل الله.
(٤) عند الأزدي: وأجزهم بما كانوا يعملون، قد أصبتم فيما صنعتم، فأرشدكم الله.
(٥) غير واضح بالأصل.
(٦) غير واضح بالأصل.
(٧) عند الأزدي ص ٤٨: يخرجون مجاهدين.
(٨) مطموس بالأصل. وما أثبتناه عن الأزدي.
(٩) عند الأزدي: وتيمن نقيبتي في الغزو.

شئ فلو جعلته أن يجعلني أميرا على جميع الأجناد الذين بالشام لرجوت أن يفتح الله عز وجل على يدي، ويرى المسلمون مني ما يسرون به إن شاء الله عز وجل، قال: فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا هذا.... (١) عليه وسلم وآله في أن يوليك..... (٢) إن أبا بكر ليس ينقص أبا عبيدة.... [شيئا من فضله أن ألي عليه] (٣) فقال عمر: ويحك يا عمرو.... [انك] (١) لتحب الامارة.... [والله ما تطلب] (٣)
بهذه الرئاسة إلا شرف الدنيا فاتق الله تعالى... [يا عمرو ولا] (٣) تطلب بسعيك من هذه
الدنيا إلا وجه الله سبحانه وتعالى و... (٤) وأخرج في هذا الوجه فإنك إن لم تكن اليوم أميرا [فما أسرع أن تكون] (٣) إن شاء الله أميرا. [ليس فوقك أحد] (٥) قال: فعندها أيس عمرو بن العاص من.... (٤) الشام ثم إنه خرج فعسكر
بإزاء المدينة واجتمع.... (٦) أول من خرج إليه سهيل بن عمرو،
والحارث بن هشام، وابن أخيه عكرمة بن أبي جهل هؤلاء الثلاثة في ثلاثة آلاف فارس من قومهم ومواليهم. وخرج إليه أبو الأعور السلمي، ومعن بن زيد ابن عمه في ألف وسبعمائة فارس، وخرج إليه الضحاك بن قيس الفهري في ثلاثمائة فارس.
وعمير بن حرام المرادي في مائتي فارس.
قال: فالتأم الناس إلى عمرو بن العاص فصار في قريب من ستة آلاف فارس
فخرج من المدينة في يوم الأربعاء راحلا نحو الشام وخرج معه أبو بكر الصديق رضي الله عنه في نفر من المسلمين يشيعه فجعل يوصيه ويقول له: يا عمرو إنك لذو رأي وتجربة للأمور وبصر بالحروب وقد خرجت في أشراف قومك و [رجال من] (٥) صلحاء المسلمين وأنت قادم على إخوانك بالشام فثبت العالم وعلم الجاهل وعاتب السفيه وانصح المسلمين وابذل لهم نصحك ومشورتك، ولا تدخرن عنهم صالحا

---

(١) غير واضح بالأصل، وعند الأزدي: لا أكذبك، وما كنت لاكلمه في ذلك أبدا، وما يوافق يبعثك على أبي عبيدة، وأبو عبيدة أفضل منزلة عندنا منك. (انظر فتوح الشام للواقدي ص ١٥).
(٢) غير واضح بالأصل. وانظر الحاشية السابقة.
(٣) غير واضح بالأصل، وما أثبتناه عن فتوح الأزدي.
(٤) غير واضح بالأصل.
(٥) زيادة عن فتوح الأزدي.
(٦) غير واضح بالأصل، وعبارة الأزدي: واجتمع إليه ناس كثير، وكان معه أشراف قريش أولئك.

من الرأي، فرب رأى لك محمود (١) فاعمل لله كأنك تراه، واعدد نفسك في الموتى وفكر في عواقب الأمور، واعلم بأنا عن قليل ميتون ومبعوثون ومحاسبون ومسؤولون، جعلنا الله وإياك منه على مدرجة اليقين، وحشرنا وإياك في زمرة المتقين، وجعلنا وإياك لأنعمه من الشاكرين، قال: ثم انصرف عنه أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين إلى المدينة، ومضى عمرو ومن معه يريدون الشام.

وكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى أبي عبيدة بن الجراح (٢): أما بعد! فقد أتاني كتابك وما ذكرك فيه من مسير العدو واجتماعهم، وما كتب إليهم ملكهم من عدته إياهم انه يمدهم من الجنود ما تضيق عليه الأرض بسعتها، ولعمرى لقد أصبحت الأرض ضيقة عليهم جدا لمكانكم، ووالله ما أنا بآيس من أن تزيلوا هرقل عن مكانه الذي هو فيه عاجلا إن شاء الله عز وجل، فإذا ورد عليك كتابي هذا فثبت خيلك (٣) واحزم أمرك وضيق عليهم بقطع الميرة عنهم، واعلم أنه ليس يأتيهم مدد إلا مددتك بمثله وأضعافه إن شاء الله ولا قوة إلا بالله، وليس بكم - والحمد لله - ذلة ولا قلة، فبث خيلك في القرى وفي السواد، ولا تحاصرن مدينة من مدنهم حتى يأتيك أمري، ولكن انظر إن ناهضوك فانهض إليهم واستعن بالله عليهم، [واعلم بأنكم تقاتلون لله ويقاتلون للشيطان،] (٤) وإن الله عز وجل فاتح عليكم ومظهركم على عدوكم ومعزكم بالنصر وملتمس منكم الصبر (٥) لينظر كيف تعملون، وقد وجهت إليك عمرو بن العاص في جيش لجب، وعمرو قد علمت أنه من ذوي الرأي والتجربة والصبر والاقدام والجد والحذر وقد أوصيته أن لا يضيع لك حقا، فاستعن برأيه واستوص به خيرا - والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال: فلما ورد الكتاب على أبي عبيدة بن الجراح في مثل ذلك اليوم وقدم عمرو بن العاص في أصحابه على المسلمين في غد فسر به أبو عبيدة والمسلمون سرورا شديدا ثم أقبل إليه أبو عبيدة بن الجراح فقال: يا أبا عبد الله! رب يوم شهدته

---

(١) زيد في فتوح الأزدي: في الحرب مبارك في عواقب الأمور.

(٢) نسخة الكتاب في فتوح الشام للازدي ص ٥٠ والوثائق السياسية ص ٤٠٤.

(٣) عند الأزدي: فبث خيلك في القرى والسواد.

(٤) مكانها عن الأزدي: فلا أعرفن ما جبنتم عنهم، ولا ما خفتم منهم.

(٥) عند الأزدي: الشكر.

فبورك للمسلمين فيه برأيك ومحضرك، وأنا أريد منك أن تحضرني برأيك في كل وقت فإني وإن كنت الوالي عليك فلست بقاطع أمرا دونك ولا دون المسلمين، فاحضرني أنت خاصة ما ترى من رأيك فليس لي عنك غنى، فقال عمرو بن العاص: أفعل ذلك إن شاء الله تعالى [والله يوفقك لما يصلح المسلمين] (١).

قال: وبلغ أبا عبيدة بن الجراح أن جبلة بن الأيهم الغساني بالغوطة من أرض دمشق في أربعين ألفا من العرب المتنصرة بالخيل والعدد والسلاح والزينة.

ذكر جبلة بن الأيهم ومخاطبته مع المسلمين
من قبل هرقل ملك الروم.

قال: فدعا بهشام بن العاص، وهو أخو عمرو بن العاص فضم إليه جماعة من المسلمين من أهل الدين والحسب فأرسله إلى هرقل ملك الروم.

قال: فخرج إليه هشام بن العاص في من معه من المسلمين
حتى صاروا إلى الغوطة من أرض دمشق، ثم صاروا إلى باب جبلة فاستأذنوا عليه فأذن لهم، فدخلوا عليه في مجلس له مزخرف فإذا هو على فرش له مرتفعة وعلى يمينه كراسي الذهب والفضة عليها ملوك اليمن عليهم الديباج المنسوج وعلى رؤسهم العمائم وقد اعتجروا بها على زي العرب، والمجلس مفروش بالديباج الأسود، وعلى جبلة يومئذ ثياب سود وتاجه على رأسه، فلما نظر المسلمين أومأ إليهم أن اجلسوا، فجلس المسلمون بعيدا منه وإذا رسول جبلة قد أقبل إليهم فقال لهم: يقول لكم جبلة: ما حاجتكم؟ فقال هشام للرسول: ارجع إليه فقل له: إن أردت كلامنا فانزل عن فرشك وكلمنا، فانطلق إليه الرسول فخبره بذلك، فنزل جبلة عن فرشه تلك المرتفعة التي كان عليها إلى فرش دونها، ثم جلس عليها وأومأ إلى المسلمين تقدموا، فتقدموا وجلسوا قريبا من فرشه، ثم كلمه هشام بن العاص ودعاه إلى الاسلام ورغبه فيه وقرأ عليه كتاب الله عز وجل وخبره بأمر الجنة والنار. قال: فأبى جبلة ذلك ونفر من الاسلام نفرا شديدا، فقال له هشام: إذ قد أبيت ما دعوناك إليه فإني مسائلك، فقال: سل عما بدا لك، فقال هشام بن العاص: ما هذه الثياب السود التي أراها عليك؟ فقال جبلة: إذا

---

(١) زيادة عن الأزدي.

أخبرك أني لبستها نذرا على أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام، فتبسم هشام ثم قال: يا جبلة! إنك والله لن تقدر أن تمنع مجلسك هذا منا! والله لنأخذنه ولنأخذن ملك الملك الأعظم! وبذلك خبرنا نبينا الصادق عليه السلام، فقال جبلة: فأنتم إذا السمراء، قال هشام: وما السمراء؟ قال جبلة: السمراء قوم نجدهم في الإنجيل أنهم يصومون النهار ويقومون الليل ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويفتحون من المشرق إلى المغرب، قال هشام: فنحن والله أولئك الموصوفون في الإنجيل! فلا تشك في ذلك يا جبلة! فاسود وجه جبلة حتى صار كالليل المظلم ثم قال: إلي بعثتم أم إلى الملك الأعظم؟ فقال: بعثنا إليك وإليه، قال: فسيروا إذا إليه فإن أجابكم إلى ما تريدون أجبتكم ولم أتاب عليكم.

قال: فخرج هشام ومن معه من عند جبلة وساروا حتى صاروا إلى أنطاكية.

ذكر مسير المسلمين إلى أنطاكية ودخولهم على الملك.

قال: فدخل المسلمون مدينة أنطاكية على رواحلهم من باب المدينة وهرقل ينظر إليهم من منظرة، والقوم من الروم ينظرون إليهم من وسط المدينة إلى أن أناخوا رواحلهم على باب الملك حذاء المنظرة ثم رفعوا أصواتهم فقالوا: لا إله إلا الله والله أكبر! قال: فانتفضت المنظرة حتى سمع الناس صوت نفيضها، فأرسل إليهم هرقل أنه ليس لكم أن تجهروا بدينكم على بابي، فان كنتم رسلا فأدخلوا.

قال: فدخل إليه المسلمون وهو على سرير من ذهب مفروش بالديباج الأحمر، وجميع ما في مجلسه مفروش بالحمرة، وعليه ثياب منسوجة وعلى رأسه تاج من ذهب يلمع من الجوهر، وإذا هو يكسر بالعربية ليس بالفصيح، قال: فوقف المسلمون بين يديه ولم يسلموا عليه، فتبسم ثم قال: ما منعكم أن تحيونى بما تحيون به ملوككم؟ فقال له هشام بن العاص: أيها الرجل! إن تحيتنا إنما تجوز بيننا ولن يجوز لنا أن نحييك بها، قال هرقل: وما تحيتكم؟ فقال هشام: تحيتنا السلام، فقال هرقل: وبذلك تحيون ملوككم؟ فقال هشام: نعم، بذلك نحيي ملوكنا وبذلك يحيوننا كما نحييهم. فقال هرقل: فكيف يرث الميت منكم؟ فقال هشام: يرث أقرب الناس إليه، فقال هرقل: كيف صومكم وصلاتكم؟ فوصف له هشام بن العاص ذلك، فقال هرقل: فما أعظم كلامكم؟ فقال هشام: أعظم كلامنا لا إله إلا الله والله أكبر. قال: فانتفضت القبة من سقفها حتى فزع هرقل من ذلك،

ثم رفع رأسه فنظر إلى السقف وقال: خبروني عن هذه الكلمة كلما قلتموها في بلادكم انتفضت سقوفكم؟ قال هشام: لا، وما رأينا هذا إلا عندك وما نظن هذا إلا لشئ وعظت به لتعتبر، فقال هرقل: ما أحسن الصدق وأزين الحق، ولكن خبروني عن هذه الكلمة أتقولونها إذا أردتم أن تفتحوا المدن والحصون؟ فقال هشام: نقولها ولا نعتمد إلا عليها.

قال: فأطرق هرقل ساعة ثم إنه راطن بعض غلمانه بالرومية وأقبل على هشام بن العاص وأصحابه فقال: إني قد أمرت لكم بمنزل فصيروا إليه يومكم هذا.

قال: فصار هشام والمسلمون إلى ذلك المنزل وأمر لهم بطعام وعلوفة وما يصلحهم.

فلما كان من غد بعث إليهم فدخلوا عليه وليس في مجلسه أحد، فأمرهم بالجلوس فجلسوا ثم دعا بشئ على مثل الصندوق الصغير إلى الطول ما هو وفيه بيوت صغار عليها أبواب، ففتح منها بابا ثم أدخل يده وأخرج خرقة حرير سوداء فيها صورة رجل طوال أبيض الجسم كبير العينين والأذنين أقنى (١) الانف كأنه القمر في صورته مع عظم جسده فقال هرقل: أتدرون من هذا؟ فقال المسلمون: لا نعرفه، فقال: هذا أبوكم آدم عليه السلام، ثم طوى الحريرة وردها إلى موضعها، وفتح بابا آخر وأدخل يده فأخرج حريرة سوداء ثم نشرها فإذا فيها صورة رجل مدور الهامة معتدل القامة صلت (٢) الجبين أحور العينين لطيف الفم قد وخطه الشيب، فقال: أتدرون من هذا؟ فقال المسلمون: لا، ما نعرفه، فقال: هذا أبوكم إبراهيم عليه السلام، ثم طوى الحريرة وردها إلى موضعها وفتح بابا آخر فأخرج حريرة بيضاء ثم نشرها فإذا فيها صورة رجل آدم طوال جعد الشعر حديد النظر كث اللحية، فقال: أتعرفون من هذا؟ فقال هشام: لا، ما نعرفه، فقال هرقل: فلا يجب عليكم أن تعرفوه بصفته، هذا موسى بن عمران الذي كلمه الله عز وجل على الطور، فلم يزل هرقل يفتح بابا بابا ويعرض الصور على هشام وأصحابه حتى عرض عليهم النبيين بصفاتهم ونعوتهم، ثم فتح آخر الأبواب وأخرج حريرة سوداء مذهبة الجوانب ثم نشرها فجعل ينظر إلى الصورة التي فيها ويتأملها ثم أقبل على هشام بن العاص وأصحابه ثم قال: أتعرفون هذه الصفة؟ فلما نظر المسلمون إلى الصورة

---

(١) أقنى الانف يعني فيه طول ودقة أرنبته وحدب في وسطه.

(٢) صلت الجبين: أي المستوي الذي لا يفوت بعض لحم بعضه بعضا.

بكوا بكاء شديدا حتى علا بكاؤهم ونحيبهم، فقال لهم هرقل: ما يبكيكم؟ فقال هشام: هذه الصورة صورة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم وآله) كأنا نراه بين أيدينا بنعته وصفته، فقال هرقل: بدينكم إنها صورة نبيكم عليه السلام؟ فقال المسلمون: هذه صورة نبينا كأنا نراه حيا بين أظهرنا، ولكن من أين هذه الصورة أيها الرجل؟ فقال هرقل: إذا أخبركم أن آدم عليه السلام سأل ربه تبارك وتعالى أن يمن عليه بصفة أولاده من النبيين المرسلين خاصة، فأعطاه الله تبارك وتعالى ذلك وبعث إليه بصفاتهم في نمط من ديباج أخضر، فلم يزل ذلك النمط في تابوت آدم عليه السلام يعرضه على أولاده كل جمعة مرة، فلما توفي آدم عليه السلام صار التابوت إلى شيث ومن شيث إلى أنوش، ثم توارثه قوم بعد قوم حتى انتهى ذلك إلى ذي القرنين فاستخرج هذه الصورة من خزانة آدم عليه السلام، وتوارثها آباؤنا حتى صارت هذه الصورة إلينا، والله! لقد وددت أن نفسي تطيب بترك هذا الملك حتى أخرج معكم وأكون عبدا لأميركم إذ كنتم رأيتم هذا النبي وشاهدتموه، ولكن نفسي لا تطيب بترك ما أنا فيه من هذا الملك. والله! لقد خبرنا المسيح عيسى بن مريم في الإنجيل وأمرنا أن نؤمن بالنبي الأمي صاحب الجمل والمدرعة والهراوة والنعلين والعمامة الأنجل (١) العينين المقرون الحاجبين الصلت الجبين الواضح الخدين، ولكن يأبى لي النعمة والسرور إلا التمادي في الغرور.

قال: ثم أمر لهشام بن العاص وأصحابه بجوائز سنية، فأبوا أن يقبلوها منه، ثم خرجوا من عنده واستووا على رواحلهم وساروا حتى صاروا إلى أبي عبيدة بن الجراح فخبروه بما كان من أمر جبلة بن الأيهم وأمره وأمر هرقل ملك الروم، فقال أبو عبيدة: (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) (٢).

قال: ثم جعل هرقل يضم أطرافه ويقوي أصحابه ولا يألو في ذلك جهدا.

قال: وسار أبو عبيدة بالمسلمين حتى نزل بموضع يقال له: الجابية (٣) من أرض دمشق في ثلاثين ألفا، وسارت إليه الروم في ثمانين ألف حتى نزلوا قريبا منه، وبلغ

---

(١) انجل العينين، العين النجلاء: الواسعة. والنجل بالتحريك: سعة شقة العين مع حسن (اللسان).

(٢) سورة البقرة: ٧.

(٣) الجابية: قرية من أعمال دمشق، قرب مرج الصفر في شمالي حوران.

ذلك أبا بكر الصديق رضي الله عنه ففزع لذلك واشتد عليه أمر الروم وضاق به ذرعا، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله! إني رأيت رأيا، فقال: وما ذاك؟ فقال: رأيت أن تكتب إلى خالد بن الوليد فإنه مقيم بالعراق أن يشخص إلى الشام بخيله ورجله فيكون عونا للمسلمين، فقال أبو بكر: ما الرأي غير هذا، ثم كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد.

ذكر كتاب أبي بكر الصديق
إلى خالد بن الوليد رضي الله عنهما.

بسم الله الرحمن الرحيم (١)، من عبد الله بن عثمان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى خالد بن الوليد. أما بعد فقد ورد علي من خبر الشام ما قد أقلقني وأرقنى وضقت به ذرعا، فإذا ورد عليك كتابي هذا وأنت قائم فلا تقعد، وإن كنت راكبا فلا تنزل، وذر العراق وخلف عليها من تثق به من أهلها (٢) الذين قدمت عليهم وامض مخففا في أهل القوة من أصحابك الذين قدموا معك من اليمامة والحجاز حتى تأتي الشام فتلقى أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين، فإن العدو قد جمع لهم جمعا عظيما وقد احتاجوا إلى معونتك، فإذا أنت أتيت المسلمين بالشام فأنت أمير الجماعة – والسلام.

قال: ثم دفع أبو بكر رضي الله عنه كتابه إلى عبد الرحمن بن حنبل الجمحي (٣) وأمره أن يسرع المسير إلى خالد بن الوليد، فلما ورد الكتاب على خالد بن الوليد أخذه في يده ولم يقرأه ثم قال للرسول: ما وراءك؟ فقال: ورائي كل خير غير أنك تسير إلى الشام، قال: فغضب خالد بن الوليد ثم قال: هذا عمل عمر بن الخطاب وقد نفس علي أن يفتح العراق على يدي (٤)، قال: ثم فتح الكتاب

---

(١) قارن مع نسخ للكتاب في فتوح الشام للازدي ص ٦٨ وفتوح الشام للواقدي ص ٢٤ والوثائق السياسية ص ٣٩٩.
قال الواقدي في فتوح الشام: إن أبا بكر لما سمع ما حشد الروم من قوى علم أن أبا عبيدة لين العريكة ولا يصلح لقتال الروم، وعول أن يكتب إلى خالد. وفي الطبري ٣ / ٣٩٣ قال: خالد لها.
(٢) في الكامل لابن الأثير ٢ / ٦٧ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٣ أمره أن يستخلف المثنى بن حارثة.
(٣) في فتوح الواقدي: نجم بن مقدم الكناني.
(٤) زيد في فتوح الأزدي ص ٦٨: وكانت الفرس قد هابوه هيبة شديدة وخافوه، وكان خالد، رحمه الله، إذا نزل بقوم من المشركين كان عذابا من عذاب الله عليهم، وليثا من الليوث، وكان خالد قد رجا أن يفتح الله على يده العراق.

وقرأه، فلما رأى أنه ولاه على أبي عبيدة بن الجراح وعلى جميع أجناد الشام من المسلمين فرح لذلك وطابت نفسه، ثم قال: إذ قد ولاني الشام فالشام عوض من العراق، قال: فتكلم بشر بن ثور العجلي - وكان من أشراف بني عجل وفرسان بني بكر بن وائل [ومن رؤوس أصحاب المثنى بن حارثة] (٢) - فقال: لا والله أصلح الله الأمير! ليس الشام عوضا من العراق ساعة قط، لان العراق أكثر من الشام حنطة وشعيرا وديباجا وحريرا وفضة وذهبا ووقرا ونسبا، وما الشام كلها إلا كجانب من جوانب العراق (٣)، فقال له خالد: صدقت يا بشر (٤)! إن العراق لعلى ما تقول، ولكن هذا كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ورد علي وإنما أنا معين المسلمين على
أعدائهم وراجع إليكم إن شاء الله ولا قوة إلا بالله، فكونوا أنتم ههنا على حالتكم التي أنتم عليها، فإن كفى الله مؤنة الروم عجلنا إليكم الكرة إن شاء الله تعالى، وإن أبطأت عنكم رجوت أنكم لم تعجزوا ولم تهنوا عن محاربة الفرس، ومع هذا فإني أرجو أن الخليفة لا يدعكم أن يمدكم بالخيل والرجال حتى يفتح الله عز وجل عليكم هذه البلاد، فلا تجزعوا ولا تهلعوا عن محاربة الفرس فإني أرجو لكم النصر من الله العزيز الحكيم.
قال: ثم دعا خالد بن الوليد بالمثنى بن حارثة الشيباني واستخلفه على العراق ثم جمع أصحابه الذين قدم بهم من الحجاز واليمامة فكانوا سبعة آلاف فارس، فخرج بهم خالد من الحيرة متوجها نحو الشام.
قال: وسار خالد حتى صار إلى الأنبار (٥) ثم رحل من الأنبار فأخذ على قرية

---

(١) كذا، وفي فتوح الأزدي: بشير، وفي الإصابة (نسير) قال له إدراك وشهد الفتوح في عهد عمر منها القادسية وهو القائل فيها:
لقد علمت بالقادسية إنني * صبور على اللأواء عف المكاسب
(٢) زيادة عن فتوح الأزدي.
(٣) قال الأزدي: فكره المثنى بن حارثة مشورته عليه، وكان يحب أن يخرج خالد عنه، ويخليه وإياها.
(٤) كذا، انظر الحاشية السابقة. (رقم ١).
(٥) الأنبار: إحدى مدن العراق، تقع على الفرات.

يقال لها: صندوداء (١) - وصندوداء اليوم من الأمصار - قام بها خالد يومه حتى استراح المسلمون، ثم رحل من صندوداء (١) فأغار في طريقه على قوم من بني ثعلب (٢) فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم سار حتى أشرف على قوم من النمر، وذلك في جوف الليل فإذا هم قعود على شراب لهم قدموه في جفنة لهم عظيمة ورجل منهم يقال له: حرقوص النمري (٣) قد رفع صوته وهو يقول أبياتا من جملتها:

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر * لعل منايانا قريب وما ندري (٤)

قال: فلم يشعر القوم إلا والخيل كبستهم، وشد رجل من المسلمين على صاحب هذا الشعر فضربه بسيفه ضربة فإذا رأسه في الجفنة قد اختلط دمه مع الشراب الذي كان فيها، قال: وغنم المسلمون وخالد أموالهم وقليلهم وكثيرهم.

ثم سار خالد من هنالك على قرى السماوة حتى صار إلى موضع يقال له قراقر (٥) على طريق مفازة الشام.

قال: ونزل المسلمون هنالك ولم يعرف خالد الطريق، فأقبل إليه رافع بن عميرة الطائي وهو ابن مكلم الذئب باذن الله وقال: يا هذا! ما لي ولك؟ عمدت إلى رزق رزقني ربي انتزعته مني! قال: فصاح عميرة وقال: يا عباد الله! هلموا فاسمعوا ذئب يتكلم! فقال الذئب: يا هذا! إن أعجب مني ومن كلامي نبي مرسل يدعوكم إلى عبادة الرحمن وتأبون إلا عبادة الأوثان، قال: ثم ترك الذئب ومضى، فأقبل عميرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بما سمع من الذئب وأسلم وحسن إسلامه.

---

(١) بالأصل: (صندود) وفي الكامل لابن الأثير: (حدوداء) وما أثبتناه يوافق الطبري ومعجم البلدان: وبها قوم من كندة وإياد العجم فظفر بهم وخلف بها سعد بن عمرو بن حرام الأنصاري. وفي فتوح الأزدي: مندوا - (جنوبي الأنبار) وهي التي خلف بها سعد.
وانظر فتوح البلدان للبلاذري ص ١١٨.

(٢) كذا، وفي الكامل ٢ / ٦٧ بني تغلب وكانوا بالمصيخ. قال الطبري ٣ / ٤٠٧: وعليهم ربيعة بن بجير التغلبي.

(٣) هو حرقوص بن النعمان البهراني (الطبري).

(٤) البيت في فتوح البلدان ص ١١٨ والكامل ٢ / ٦٨ والطبري ٣ / ٤١٦ وفيهما أبيات أخرى، ومعجم البلدان.

(٥) قراقر: أصله من الدهناء، وقيل ماء لكلب، وقراقر واد لكلب بالسماوة من ناحية العراق، نزله خالد عند قصده الشام (معجم البلدان).

قال: فأقبل رافع ابن هذا مكلم الذئب إلى خالد بن الوليد فقال: أيها الأمير! أنا أعرف هذه المفازة (١) ولا يخفى علي موضع فيها إن شاء الله، قال فقال له خالد بن
الوليد: كم تكون هذه المفازة؟ قال: مسيرة خمسة أيام، وما فيها ما، إلا في موضع وأنا أعرف به، قال خالد: فإني قد جعلتك دليلا فإذا سلم الله عز وجل من هذه المفازة فلك عندي عشرة آلاف درهم وما لك عند الله عز وجل من الثواب أكثر، فقال رافع بن عميرة: أيها الأمير! فإني قد رضيت بذلك ولكن أبغني (١) خمسة وعشرين جملا، فقال: ألقوا إليها العلف اليابس وامنعوها من الماء. ثم أمر بها فألقى إليها العلف فجعلت الإبل تعتلف وقد منعت من الماء، ثم أوردها بعد ذلك فشربت حتى امتلأت أجوافها من الماء ثم أمر بها فكمعت لكيلا تحبر (٣)، وأمر الناس أن يستوفروا من الماء، ثم أمر الناس بالرحيل.

قال: فكان كلما سار يوما أمر بخمس (٤) من تلك الجمال فنحرت ثم شق أجوافها ثم أمر بالجفان فأحضرت وجعلوا يعصرون ما في كروش الجمال من الماء في الجفان ويمزجونه بالقليل من الماء العذب ويسقى الخيل والبغال والحمير، وأما ما كان معهم من الإبل فإنها لم تذق الماء خمسة أيام، فلم تزل القوم على ذلك، كلما نزلوا ذبحوا خمسة من الإبل فسقوا ما في أجوافها، فلما كان اليوم السادس سار القوم وهم لا يشكون أنهم قاربوا العمران (٥). قال: ورمدت عين الدليل فلم يبصر سهلا ولا جبلا وأيس الناس من أنفسهم فأضربهم العطش وخافوا على أنفسهم الهلاك وحميت عليهم الشمس، فقال خالد بن الوليد للدليل: ويحك يا رافع! أين الطريق وأين الماء؟ فقال: لا والله أعز الله الأمير! لا أدري، ولكن أنظروا ميمنة وميسرة، فإن رأيتم شجرة عوسج (٦) فقد نجوتم والماء تحت الشجرة وإلا فقد هلكت وهلكتم.

---

(١) وكان خالد يريد أن يسير من قراقر إلى سوى (وقيل شوا، وقيل شوى) وهو ماء لبني بهراء، حتى يظهر من وراء جموع الروم لأنه إن استقبلها حبسته عن غياث المسلمين.

(٢) في فتوح الأزدي: عشرين جزورا عظاما سمانا مسان.

(٣) في فتوح الأزدي: ثم كمعهن - أي شد أفواهن - لئلا تجتر.

وعند الطبري: ثم صروا آذان الإبل وكعموها. وفي الكامل: وشدوا مشافرها لئلا تجتر.

(٤) الطبري: (عشرا من تلك الإبل) فعلى رواية الطبري يصبح العدد خمسين جملا. (وانظر الكامل لابن الأثير).

(٥) في الطبري وابن الأثير: (علمين).

(٦) العوسج: ضرب من الشجر كثير الشوك، وله ثمر أحمر مدور كأنه العقيق.

فقال خالد: إنا لله وإنا إليه راجعون.
قال: وقفت الدواب ولم يتهيأ لها أن تسير ونزل الناس وجعلوا يمشون ويقودونها وقد أيسوا من الحياة وينظرون يمنة ويسرة فإذا هم بشجرة قد لاحت لهم، فكبروا وقصدوها وإذا تحتها عين من الماء غزيرة، فكبر القوم ونزلوا فشربوا وسقوا ما معهم وحمدوا الله عز وجل على ذلك، فقال خالد: ويحك يا رافع! لقد كدنا أن نهلك وتهلك معنا، فقال: أعز الله الأمير! ما سلكت هذه المفازة إلا مرة واحدة مع أبي وأنا غلام حدث السن، ولكن رجوت أن يسلم الله عز وجل المسلمين (١).
قال: ثم سار خالد بن الوليد واتصلت له المياه حتى انحط على موضع يقال له الكواتل (٢) من ديار بني ثعلب وهم قوم نصارى على دين هرقل ملك الروم، وهو الذي
أقطعهم البلد فيما مضى، فلم يشعر القوم إلا وخالد قد وافاهم فوضع فيهم السيف فقتل منهم مقتلة عظيمة وسبي نساءهم وأولادهم وأموالهم وفض جموعهم فضا لم يجمعوها بعدها في ذلك الموضع.
ذكر كتاب خالد بن الوليد إلى أبي عبيدة
وأصحابه رضي الله عنهم (٣).
بسم الله الرحمن الرحيم، من خالد بن الوليد إلى أبي عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين والمؤمنين، سلام عليكم! أما بعد فإني أسأل الله عز وجل الذي أعزنا بنصره وشرفنا بدينه وأكرمنا بنبيه صلى الله عليه وسلم [وفضلنا بالايمان، رحمة من ربنا لنا
واسعة، ونعمة منه علينا سابغة] (٤) أن يتم علينا وعليكم نعمه وأن يصرف عنا وعنكم

---

(١) فقال شاعر من المسلمين:
لله عينا رافع أني اهتدي * فوز من قراقر إلى سوى
خمسا إذا ما سارها الجيش بكى * ما سارها قبلك إنسي يرى
(الطبري ٣ / ٤١٦ الكامل ٢ / ٦٨ فتوح الأزدي ص ٧٥ وفيه: إلى شوا).
(٢) وفي معجم البلدان: الكواثل موضع من أطراف الشام مر به خالد لما قصد الشام من العراق.
وفي فتوح الأزدي بعد وصوله إلى سوى: ثم على اللوى، ثم قصم... ثم على أركة... ومر بتدمير
(وانظر فتوح البلدان ص ١١٩ والكامل ٢ / ٦٨).
(٣) نسخته في فتوح الأزدي ص ٧١ وفيه اختلاف.
(٤) زيادة عن فتوح الأزدي.

نقمه وأن يزيدنا عزا ونصرا وتأييدا، إنه ولى قدير، وبعد فإني أخبركم أن كتاب أبي بكر الصديق خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله) ورد علي بالعراق يأمرني فيه بالمسير إلى ما قبلكم لمعونتكم على أعدائكم فشمرت وانكمشت وبادرت وأسرعت وما أقربني منكم وكأني (١) قد أشرفت عليكم بخيلي ورجلي أميرا عليكم وعلى جماعتكم، فأبشروا بانجاز وعد الله عز وجل وحسن ثوابه، عصمنا الله وإياكم بالتقوى وجنبنا وإياكم البلوى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة (٢): من خالد بن الوليد، [سلام عليك. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو] (٣) أما بعد فإني أسأل الله لنا ولكم الأمن يوم الخوف والعصمة من كل سوء في دار الدنيا، فإن كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد علي يأمرني بالمسير إلى الشام والقيام بحربها (٤) والتولي

لأمرها، ووالله ما ظننت ذلك قط ولا أدريه ولا كتبت فيه، وإذ قد وليته فأنت على حالتك لا نعصيك ولا نخالفك ولا نقطع أمرا دون أمرك فإنك سيد في المسلمين لا ينكر فضلك ولا يستغنى عن رأيك، تمم الله عز وجل بنا وبك من إحسانه ورحمنا وإياك من صلى النيران، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال ثم دفع خالد هذين الكتابين إلى رجل من الأزد يقال له عمرو بن الطفيل بن ذي النون (٥) وأمره بالمسير إلى أبي عبيدة بن الجراح وأصحابه.

فلما ورد عمرو بن الطفيل على المسلمين (٦) دفع إليهم الكتاب ودفع إلى أبي عبيدة بن الجراح كتابه، فأما المسلمون لما قرؤوا كتابهم شق ذلك على قوم أن يؤمر خالد على أبي عبيدة، وأما أبو عبيدة فإنه لما قرأ كتابه لم يتبين في وجهه ولا في منطقه شئ من الكراهة لامرة خالد عليه ولكنه قال: بارك الله لخليفة رسول الله فيما

---

(١) عند الأزدي: وكأن خيلي قد أطلت عليكم في رجال.

(٢) نسخته في فتوح الأزدي ص ٧١ - ٧٢. باختلاف.

(٣) زيادة عن الأزدي.

(٤) عند الأزدي: وبالمقام على جندها.

(٥) كذا بالأصل، وفي أسد الغابة عمرو بن الطفيل بن عمرو. وهو ابن من طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم... بن دوس الأزدي الدوسي يلقب ذا النون. قتل عمرو باليرموك وكانت قد قطعت يده يوم اليمامة. (أسد الغابة ٢ / ٥٤ و ٣ / ١١٥).

(٦) وهم بالجابية (فتوح الأزدي).

رأى وحيا الله خالدا وقربه.
قال: وسار خالد في جيشه ذلك فلما تقارب من أرض الشام نظر إلى المدينة من مدن الروم يقال لها: تدمر (١) وفيها خلق كثير من الروم، فأقبل حتى أحاط بهم من كل جانب. قال: وخرجت الروم وأقبلوا إلى خالد بن الوليد كالسباع الضاربة واقتتل القوم قتالا شديدا، فقتل من المسلمين أربعة نفر إخوة سعيد وقيس والحجاج وسائب بنو الحارث السدوسي وخامسهم عبد الله بن عبد شمس أخو جرير بن عبد الله البجلي.
قال: ثم نادى خالد بصوت له جهوري وقال: يا أهل الاسلام! الشدة الشدة! فإنكم إن قاتلتموهم وأنتم تريدون ما عند الله رجوت أن لا تقوم لهم قائمة إن شاء الله، قال: ثم حمل خالد وحمل الناس معه على جميع أهل تدمر ولحق خالدا بطريق من بطارقتهم فنفحه بالسيف نفحة أطال قحف رأسه، فانهزم القوم حتى دخلوا مدينة تدمر وأغلقوا على أنفسهم الباب، وأقبل خالد بن الوليد حتى نزل عليهم يومه.
فلما كان من غد ركب في جماعة من أصحابه فدار حول المدينة فلم يقدر لهم خالد على حيلة لوثاقة سورها، ثم إنه عزم على الرحيل عنهم فنادى في أصحابه أن يرحلوا وأقبل حتى وقف حذاءهم ثم قال: والله يا أهل تدمر! لو كنتم في السحاب لاستنزلناكم بإذن الله عز وجل وظهرنا عليكم غير أني أريد المسير إلى أصحابي المقيمين بالشام لأني قد كتبت إليهم وأعلمتهم بقدومي وهم ينتظرونني ولابد لي من السرعة إليهم، ووالله إن أنتم لم تصالحوني هذه المرة لأرجعن إليكم إذا انصرفت من وجهي هذا ثم (٢) لأدخلن عليكم مدينتكم ولأقتلن مقاتلتكم ولأسبين نساءكم وذريتكم، وقد أعذرت إليكم وأنذرتكم، وأنا خالد بن الوليد ولعلكم قد سمعتم باسمي.
ثم رحل من عندهم فصاحوا به أن ارجع فإنا نصالحك على ما تريد. قال: فرجع إليهم خالد بن الوليد فصالحهم على مال أخذه منهم وفرقه في أصحابه.

---

(١) تدمر: مدينة قديمة في برية الشام على الطريق إلى حلب.
(٢) في فتوح الأزدي: ثم لا أرتحل عنكم حتى أقتل مقاتكتكم، وأسبي ذراريكم. (انظر الطبري ٣ / ٤٠٧ فتوح البلدان ص ١١٩ الكامل ٢ / ٦٨).

ثم سار خالد من تدمر حتى صار إلى ثنية العقاب (١) لان راية خالد كانت سوداء وكان يقال لها العقاب (٢)، قال: فلما أشرف خالد من الثنية نظر المسلمون إلى رايتهم وهم نزول في مرج دمشق فقالوا: والله! هذه العقاب راية خالد بن الوليد، فاستقبلوه، ثم إنهم دخلوا مدينة دمشق فحصنوا فيها، وأقبل خالد حتى نزل الدير الذي يقال له دير خالد وبه يعرف إلى يومنا هذا، ويقال إنه على ميل من دمشق مما يلي الباب الشرقي.

قال: ثم دعا خالد بن الوليد بيزيد بن أبي سفيان فضم إليه خمسة آلاف رجل ووجه به إلى البلقاء (٣) فقال: اذهب وانزل بإزاء العدو وحارب من قدرت، وإن خفت من العدو أمرا من الأمور فاكتب إلي بذلك حتى أمدك بخيل ورجال إن شاء الله، ثم دعا بعمرو بن العاص فضم إليه خمسة آلاف رجل ووجهه إلى فلسطين ثم أوصاه بما أوصى به يزيد بن أبي سفيان، ثم دعا بشرحبيل بن حسنة فضم إليه ثلاثة آلاف فارس ووجه به إلى بصري، ودعا معاذ بن جبل فضم إليه ألفي فارس ووجه به إلى بعلبك، ودعا خالد بن سعيد بن العاص فضم إليه أربعة آلاف فارس ووجه به إلى حمص، ودعا سعيد بن عامر بن جديم (٤) فضم إليه ثلاثة آلاف فارس ووجه به إلى حوران (٥)

قال: ففرق خالد بن الوليد خيله بأرض الشام في اثني وعشرين ألفا وبقي هو وأبو عبيدة بن الجراح بغوطة دمشق في خمسة عشر ألفا من المسلمين، ثم رتب الجواسيس في أرض الشام ليتجسس عن أخبار الروم، قال: فبينما هو كذلك إذا بجاسوس قد أقبل فقال: أيها الأمير! الحذر الحذر! ضم إليك أطرافك، واكتب إلى أمرائك في النواحي أن يحذروا الروم فإنهم قد اجتمعوا بموضع يقال له أجنادين (٦)

---

(١) ثنية العقاب: ثنية مشرفة على غوطة دمشق (معجم البلدان) وانظر في الطبري ٣ / ٤٠٧ والأزدي والبلاذري وابن الأثير خطة سير خالد بعد تدمر... حتى وصل إلى ثنية العقاب.

(٢) كذا بالأصل وابن الأثير، وفي فتوح الأزدي: ومعه راية بيضاء قال: فلما جاوز تلك الثنية سميت ثنية العقاب إلى اليوم.

(٣) البلقاء: من أعمال دمشق، بين الشام ووادي القرى (معجم البلدان).

(٤) كذا، وقد تقدم (حذيم) وقيل (خذيم).

(٥) حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة (معجم البلدان).

(٦) أجنادين: بلد بأرض الشام. وهي بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين.

في نيف على أربعين ألفا أو يزيدون فإن أهل البلاد من نصارى العرب قد وعدوهم وقد ضمنوا لهم المعونة عليكم. قال: فأقبل خالد على أبي عبيدة فقال: ما الرأي عندك في هذا الخبر؟ قال أبو عبيدة: الرأي عندي في ذلك أن تبعث إلى أمرائك الذين فرقتهم في البلاد فتشخصهم إليك ثم تسير بهم حتى تلقى العدو فعسى الله تبارك وتعالى أن يفض جمعهم ويفل جدهم ويهزم عسكرهم، فقال خالد: هذا هو الرأي ولكن أحببت أن أستشيرك في ذلك، ثم كتب خالد إلى جميع أمرائه الذين وجه بهم إلى البلاد بنسخة واحدة: أما بعد فإنه قد نزل بأجنادين جمع الروم غير ذي قوة ولا عدد وقد بلغني أنهم في أربعين ألفا (١) وليسوا هم عندنا بشئ إن شاء الله، والله فأصمهم وقاطع ظهورهم وجاعل دائرة السوء عليهم، وقد شخصت إليهم يوم كتبت كتابي هذا إليكم فإذا ورد الكتاب عليكم فانهضوا - يرحمكم الله - إلى عدوكم

فأحسن (٢) نجدتكم وأحسن ثباتكم وأفضل بصائركم ضاعف الله أجوركم وحط عنكم أوزاركم وأظهركم على أعدائكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. قال: ثم وجه خالد بهذه الكتب إلى أمراء الأجناد مع أنباط الشام الذين كانوا عند المسلمين. قال: وكان هؤلاء الأنباط قوم نصارى غير أنهم كانوا إلى المسلمين لبرهم أميل بهم وصلتهم إياهم فكانوا فيوجا (٣) للمسلمين وجواسيس وكانت الروم لا يتهمونهم في شئ من ذلك.

قال: فمضت الفيوج بالكتب إلى الامراء، ونادى خالد في المسلمين ورحل من الغوطة في خمسة عشر ألفا يريد إلى أجنادين، فقال له أبو عبيدة: أمثلك يقول هذا؟ والله لألقينهم بما معي! فلو أنهم كثروا فالنصر من عند الله العزيز الحكيم.

قال: فالتفت أبو عبيدة فإذا أهل دمشق قد خرجوا في آثار المسلمين فقال أبو عبيدة: أيها الأمير! هذا ما كنا فيه، قال خالد: فلا عليك أبا عبيدة! فكل جهاد. قال: ثم صاح خالد بأصحابه: ارجعوا إلى أعداء الله. قال: فحمل خالد بن الوليد وأبو عبيدة وحمل المسلمون معهما على أهل دمشق (٤) فلم يزالوا يقاتلونهم حتى أدخلوهم مدينة دمشق، وقد قتل منهم بشر كثير. قال: ثم سار خالد في

---

(١) في فتوح الواقدي: تسعين ألفا.
(٢) في فتوح الأزدي ص ٨٧: في أحسن عدتكم، وأصح نيتكم.
(٣) الفيوج: جمع فيج وهو الحارس أو العداء سريع الجري.
(٤) انظر تفاصيل أوردها الواقدي في معركة دمشق ص ٤٩ - ٥٠.

المسلمين حتى وافى الروم بأجنادين في يوم الجمعة فنزل قبالتهم وذلك في وقت العشاء، فلما أمسى خالد ومضى من الليل بعضه وإذا جيوش المسلمين قد وافته من جميع المواضع.

ذكر وقعة أجنادين وهي أول وقعة لخالد بن الوليد مع الروم.

قال: فأصبح خالد يوم السبت يعبي أصحابه فجعل على ميمنته معاذ بن جبل، وعلى ميسرته سعيد بن عامر بن جديم (١)، وعلى جناح الميمنة يزيد بن أبي سفيان، وشر حبيل بن حسنة على جناح الميسرة، وخالد بن سعيد بن العاص على الكمين، ثم جعل خالد بن الوليد نساء المسلمين من وراء الصفوف وأمرهن فاحتزمن (٢)

وتشمرن وأخذن في أيديهن الحجازة وجعلن يدعون الله ويستنصرنه على أعداء المسلمين.

قال: وجعل خالد بن الوليد لا يقر بمكان واحد ولكنه يقف على كثيبة كثيبة من المسلمين (٣) ويقول: اتقوا الله عباد الله! وقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ولا تنكصوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين، ولا تهنوا ولا تجبنوا عن عدوكم، ولكن إقداما كاقدام الأسد الضاربة فإنكم أحرار كرام، وارفضوا عنكم هذه الدنيا واطلبوا ثواب الآخرة، وأنتم الأعلون والله معكم (٤)، وبعد فإنكم (٥) إن هزمتم هؤلاء القوم كانت لكم هذه البلاد دارا للاسلام ما بقيتم أبدا مع رضوان الله والجنة.

قال: ودنت الروم من المسلمين بخيلها ورجلها في الآلة والسلاح الشاك وقد تعبوا ميمنة وميسرة وقلبا وجناحا وبين أيديهم يومئذ بطريق من بطارقة الروم يقال له قلفط (٦)، عليه ديباجة منسوجة وعلى رأسه تاج من ذهب وتحته فرس أدهم مغرق

---

(١) مرت الإشارة إليه.

(٢) عند الأزدي: (فاحترمن) أي حرمن على الرجال ما كان مباحا لهم معهن.

(٣) كذا بالأصل، لعله كتيبة. وعند الأزدي: وأقبل خالد يقف على كل قبيلة وكل جماعة.

(٤) في فتوح الأزدي: ولا يهولنكم ما ترون من كثرتهم، فإن الله منزل عليهم رجزه وعقابه.

(٥) نسب هذا القول إلى معاذ بن جبل.

(٦) كذا بالأصل. وعند ابن الأثير: تذارق أخو هرقل. وفي الطبري وتاريخ خليفة: رجل من الروم يقال له القبقلار.

السرج واللجام بالذهب.
قال: فقال أبو عبيدة بن الجراح: كبروا أيها المسلمون تكبيرة واحدة فإن الله عز وجل مهلكهم ومبدد شملهم، قال: فكبر المسلمون وألقى الله الرعب في قلوب الكفار. قال: وهم المسلمون بالحملة عليهم، فقال خالد: لا تعجلوا حتى أحمل أنا، فإذا رأيتموني قد حملت فاحملوا. قال: فوقف المسلمون وجعلت سهام الروم تقع على عسكر المسلمين كالمطر، فصاح رجل (١) من المسلمين بخالد بن الوليد: أيها الأمير! لماذا قد نصبتنا لهؤلاء الاعلاج هدفا يرموننا بنشابهم حتى قد جرحوا منا جماعة؟ فقال له خالد: ويحك! إنما أنتظر الوقت الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يحارب
فيه، فإنه وقت مبارك (٢). قال: فوقف المسلمون لا يزول واحد منهم من موضعه والسهام تعمل في ذلك عملها، فقتل يومئذ بالسهام أبان بن سعيد بن العاص رحمة الله عليه، وقتل أيضا هشام بن العاص وسلمة (٣) بن هشام المخزومي، ونعيم بن صخر العدوي، وهبار بن سفيان الأزدي، وعبد الله بن عمر الدوسي (٤)، فعندها ضج المسلمون إلى خالد وأمروه بالحملة، فعندها قال خالد: احملوا ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم كبر وحمل وحمل المسلمون معه، وانكشفت الروم من بين أيديهم وأخذتهم السيوف، فقتل منهم في المعركة ألف (٥) وسبعمائة رجل، وقتل صاحبهم قلفط (٦)، واتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم ومر القوم منهزمين على وجوههم

---

(١) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل - ابن عم عمر بن الخطاب (عن فتوح الأزدي).
(٢) في الأزدي ص ٩٠ - ٩١ (كان من رأي خالد مدافعتهم، وأن يؤخروا القتال إلى صلاة الظهر عند مهب الأرواح، وتلك الساعة التي كان رسول الله (ص) يستحب القتال فيها) وعن رواية أبي داود والترمذي: أنه (ص) كان يبدأ الجهاد عند شروق الشمس إلى قبيل وقت الظهر، ثم يستأنفه بعد الزوال عند هبوب الريح، وكان يقول: تهب نسائم النصر في هذه الأوقات.
(٣) عند الأزدي: مسلمة.
(٤) كذا بالأصل وهو خطأ، وهو عبد الله بن عمرو بن الطفيل ذي النور الأزدي، ثم الدوسي. (فتوح الأزدي ص ٩٢) وفي فتوح البلدان ص ١٢١ عمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسي. وانظر الكامل لابن الأثير ٢ / ٧٤. وفيه: عبد الله بن الطفيل الدوسي، وهو الملقب بذي النور. انظر تاريخ خليفة ص ١٢٠. وانظر في هذه المصادر بقية أسماء من استشهد في معركة أجنادين.
(٥) عند الأزدي: ثلاثة آلاف. وفي فتوح الشام للواقدي ص ٦٦ قتل خمسون ألفا وتفرق من بقي منهم، وكانوا تسعين ألفا.
(٦) انظر ما سبق.

حتى تفرقوا في الحصون. واحتوى المسلمون على غنائم الروم فجمعوها، وقدم خالد من أسر منهم وهم يزيدون على ثمانمائة رجل، فضرب أعناقهم صبرا وما أبقى على واحد منهم.

ذكر كتاب خالد بن الوليد إلى أبي بكر رضي الله عنه
بخبر وقعة أجنادين (١)

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله بن عثمان خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله)، من خالد بن الوليد سيف الله المصبوب على أعداء الله المشركين، سلام عليك! أما بعد فإني أخبرك أيها الصديق! إنا لقينا المشركين بموضع من أرض الشام يقال له أجنادين وقد جمعوا لنا جموعهم ورفعوا صلبانهم ونشروا أناجيلهم (٢) وتقاسموا بأيمانهم أنهم لا يفرون ولا يبرحون ولا ينصرفون حتى يقتلونا ويبيدونا (٣) ويخرجونا من بلادهم، فلقيناهم ونحن بالله واثقون وبحبله معتصمون وعليه متكلون، فطاعناهم بالرماح وكافحناهم بالصفاح وأرميناهم بالسهام وأذقناهم حر الحمام، فلم نزل كذلك حتى أعز الله عز وجل نصرة الاسلام وأظهر أمره وأنجز وعده وأفلح جنده وهزم الكافرين وحده، فقتلنا في كل واد وحجر وتحت كل شجر ومدر، فأحمد الله عز وجل يا خليفة رسول الله على إعزاز دينه وأوليائه وإذلال أعدائه وحسن صنعه بالمسلمين، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. (٤)

قال: فلما قرأ أبو بكر الكتاب الذي لخالد بن الوليد تهلل لذلك وجهه فرحا وفرح فرحا شديدا وسر سرورا ظاهرا، ثم رمى بالكتاب إلى عمر بن الخطاب، فلما قرأ الكتاب قطب حاجبه وعبس وجهه ثم قال: قبح الله صلف خالد وتيهه وعجبه بنفسه! يكتب إليك (من خالد بن الوليد سيف الله المصبوب على أعدائه) إن سيف الله هو الذي وضعه بذلك الموضع. قال: فسكت أبو بكر هنيهة ثم قال: أبا حفص! الحمد لله على نصر المسلمين فقرت بذلك عيوننا، فقال عمر: نعم

---

(١) قارن مع نسختين للكتاب في فتوح الشام للازدي ص ٩٣ وفتوح الشام للواقدي ص ٦٧.
(٢) عند الأزدي: وكتبهم.
(٣) عند الأزدي: لا يفرون حتى يفنونا وعند الواقدي: أن لا يفورا حتى ينهزموا.
(٤) كذا بالأصل والأزدي، وزيد عند الواقدي: وجملة من أحصيناهم ممن قتل من المشركين خمسون ألفا، وقتل من المسلمين في الأول والثاني أربعمئة وخمسون رجلا ختم الله لهم بالمسلمين.

فالحمد لله على ذلك ولكن لا يجب أن يتسمى بسيف الله.
قال: ثم كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد كتابا لطيفا يشكره على فعله بالمشركين ويبشره بثواب الله عز وجل ويبشر من معه من المسلمين ويقوي عزمهم ويأمرهم بالشكر لله عز وجل وذكره كثيرا (١).
قال: ثم أقبل خالد بن الوليد بالمسلمين حتى نزل موضعه الذي كان فيه من أرض دمشق (٢) مما يلي الباب الشرقي، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية، ونزل يزيد بن أبي سفيان على باب توماء (٢)، فأحاط المسلمون بمدينة دمشق وحاصروا أهلها حصارا شديدا وضيقوا عليهم غاية الضيق. (٤) قال: وجعل أهل دمشق يرمون المسلمين بالحجارة والسهام من كل جانب، فلم يقدر أحد يدنو من سور المدينة إلا رمي.
قال: فبينا المسلمون كذلك إذ أقبل بعض الجواسيس إلى خالد بن الوليد، فقال: أيها الأمير! كن على حذر، فهذا جيش قد أقبل من عند هرقل ملك الروم معونة لأهل دمشق.

---

(١) نسخة كتاب أبي بكر عن فتوح الشام للواقدي ص ٦٨:
بسم الله الرحمن الرحيم. من أبي بكر خليفة رسول الله إلى خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين.
أما بعد، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي على نبيه محمد (ص)، وأوصيكم وآمركم بتقوى الله في السر والعلانية وقد فرحت بما أفاء الله على المسلمين من النصر وهلاك الكافرين وأخبرك أن تنزل إلى دمشق إلى أن يأذن الله بفتحها على يدك، فإذا تم لك ذلك فسر إلى حمص وأنطاكية والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته. وقد تقدم إليك أبطال اليمن وأبطال مكة ويكفيك ابن معدي كرب الزبيدي ومالك بن الأشتر وأنزل على المدينة العظمى أنطاكية، فإن بها الملك هرقل فإن صالحك فصالحه وإن حاربك فحاربه ولا تدخل الدروب، وأقول هذا وأن الاجل قد قرب.
(٢) نزل بدير خالد، وهو على ميل من دمشق.
(٣) بالأصل: ثوما. وما أثبتناه عن معجم البلدان وتوماه اسم قرية بغوطة دمشق، وإليها ينسب باب توماه من أبواب دمشق.
(٤) زيد في فتوح الشام للواقدي: وعمرو بن العاص إلى باب الفراديس، وقيس بن هبيرة إلى باب الفرج، وضرار بن الأزور وضم إليه ألفي فارس، وقال له: تطوف حول المدينة بعسكرك (تقدم أن ضرار مات باليمامة؟) (فتوح الشام ١ / ٧٠).

ذكر وقعة مرج الصفر (١) آخر وقعة أجنادين.
قال: فنادى خالد بن الوليد في المسلمين وركبوا وركب معهم خالد بن الوليد وسار في المسلمين نحو ذلك الجيش الذي وصفه الجاسوس، فإذا هو بصليبين للروم، تحت كل صليب عشرة آلاف فارس بموضع يقال له: مرج الصفر (١).
قال: ثم حمل خالد وحمل المسلمون معه على جميع الكفار، فقتل منهم خلق كثير، ولم يقتل من المسلمين رجل واحد ولا جرح منهم فارس ولا راجل. (٢)
قال: فأسر منهم خالد مائة وعشرين رجلا وفيهم بطريق عظيم الشأن يقال له: قسطا، فأتي به إلى خالد بن الوليد حتى أوقف بين يديه، فقال له خالد: أسلم وإلا ضربت عنقك، فتكلم البطريق بالرومية وقال: إني غير داخل في دينك فاصنع ما بدا لك، قال خالد: ما يقول هذا الكلب؟ فقال بعض الجواسيس: إنه يقول أيها الأمير كذا وكذا، قال: فقدمه خالد فضرب عنقه وأعناق الاسرى جميعهم فما أبقى على واحد منهم، ورجع إلى باب دمشق كما كان.
قال: وجعل المسلمون يغيرون على أطراف دمشق فكلما أصابوا نفلا أتوا به في المقسم (٣)، فلم يستحل أحد أن يغل (٤) شيئا حتى إن الرجل من المسلمين كان ربما أتى بكبة (٥) [من] غزل وبكبة من الصوف والشعر والابرة والمسلة وما فوق ذلك
فيسلمه إلى صاحب المقسم. قال: وبلغ ذلك بطريق دمشق الذي هو مقيم بها وكان اسمه القنفلان فجعل يعجب من المسلمين ومن أمانتهم وعدلهم وحسن سيرتهم، ثم أقبل على من كان عنده من البطارقة بدمشق فقال: ألا ترون إلى أمنة هؤلاء القوم وعفافهم، ليس فيهم أحد يستحل أن يأخذ من غنائمنا شيئا دون الاخر، فقال له

---

(١) بالأصل: الصفرا. ومرج الصفر واحد من مروج غوطة دمشق. والمرج الموضع الذي ترعى فيه الدواب. والصفر: بضم أوله وفتح الفاء المشددة.
(٢) كذا بالأصل. وفي فتوح البلدان ص ١٢٥ جرح من المسلمين زهاء أربعة آلاف. وفي فتوح الأزدي ص ٩٦ أن قتلاهم كانوا خمسمئة في المعركة، وقد قتلوا وأسروا نحوا من خمسمئة أخرى.
وانظر في تاريخ خليفة ص ١٢٠ وفتوح البلدان ص ١٢٥ أسماء بعض من قتل من المسلمين.
(٣) في فتوح الأزدي: في القبض.
(٤) غل: من الغلول يعني الخيانة في الغنيمة. والسرقة من الغنيمة. قال ابن الأثير: وكل من خان في شيء خفية فقد غل (اللسان).
(٥) كذا بالأصل، وصوابه الجبة، وهي الثوب.

بعض بطارقته: نعم أيها الملك وإنهم لرهبان بالليل صوام بالنهار، لو سرق بينهم ملكهم شيئا لقطعوه، ولو زنى أحد منهم لرجموه، قال القنفلان: إنه قد بلغني عنهم ذلك، ووالله إن بطن الأرض خير لي من ظهرها لأني قد علمت أنه ليس لي بهم طاقة، ولا لي في قتالهم خيرة، ولولا أني أخاف غضب الملك الأكبر إذا لسألتهم الصلح فلعلي أنجو منهم وأدخل في دينهم (١).

قال: فبينا المسلمون على باب دمشق وقد طمعوا في فتحها عنوة لشدة حصارهم إياهم إذ بلغهم أن أبا بكر الصديق عليل، فاغتموا لذلك غما شديدا وكتموا ذلك على أهل دمشق.

---

(١) زيد في فتوح الشام للازدي ص ٩٨: فراوض المسلمين على الصلح، فأخذ لا يعطيهم ما يرضيهم، ولا يتابعونه على ما يسأل، وهو في ذلك لا يمنعه من الصلح والفراغ إلا أنه بلغه أن قيصر يجمع الجموع للمسلمين، وأنه يريد غزوهم، فكان ذلك مما يمنعه من تعجيل الصلح.

ذكر وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
قبل فتح دمشق.
قال: واشتد المرض بأبي بكر رضي الله عنه جدا والمسلمون نزول على باب دمشق، ودعا أبو بكر بدواة وبياض فكتب خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم دفع الرقعة إلى رجل من المسلمين فقال: اخرج بهذه الرقعة إلى الناس فخبرهم بما هو فيها.
قال: فخرج الرجل بالرقعة حتى دخل مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله) والناس مجتمعون، فقال: أيها الناس! أتسمعون لخليفة نبيكم؟ فقال الناس: نعم، هات ما عندك، فقال: هذه الرقعة فيها عهد منه وقد استخلف عليكم عمر بن الخطاب. قال: فسكت قوم فلم ينطقوا بشئ، وتكلم قوم فقالوا: سمعنا وأطعنا.
وأقبل طلحة حتى دخل على أبي بكر رضي الله عنه فقال: يا خليفة رسول الله! تستخلف على الناس عمر بن الخطاب؟ فقال: ولم لا أستخلفه يا طلحة؟ قال: لأنك قد رأيت الناس من صرامته وغلظته وأنت حي فكيف إذا مضيت أنت وصار الامر إليه؟ وبعد فإنك قادم على ربك فإنه سائلك عن رعيتك.
قال: فسكت أبو بكر ساعة ثم رفع رأسه إلى طلحة فقال: أبالموت تفزعني أم بربي تخوفني؟ نعم إذا أقدم على ربي وسألني عن رعيتي أقول: يا رب! استخلفت عليهم خير أهلك.
قال: ثم دعا أبو بكر رضي الله عنه عثمان بن عفان فأقعده بين يديه، ثم دعا بدواة وبياض فقال له: اكتب يا عثمان! قال: وما أكتب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قال: اكتب هذا ما أوصى به أبو بكر عبد الله بن عثمان عند آخر عهده بالدنيا فهو خارج منها وأول عهده بالآخرة وهو داخل فيها أنه استخلف على الأمة عمر بن الخطاب، فان قصد الحق فذاك ظني به ورجائي فيه، وإن بدل وغير فلكل امرئ ما اكتسب (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) (١).

قال: ثم دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما جاء وقعد بين يديه فقال له أبو بكر: يا عمر! إ نه قد أبغضك مبغض وأحبك محب وقديما كان الشر يحب والخير يبغض، فدونك هذا العهد فخذه إليك، فأنت خليفتي من بعدي على الأمة. فقال عمر: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم! إنه لا حاجة لي فيها، فقال أبو بكر: فإن لم يكن

لك فيها حاجة فإن بها إليك حاجة، وبعد فإني ما حبوتك بالخلافة ولكني حبوت الخلافة بك، ومع ذلك فإني أحذرك نفسك فإن النفس لامارة بالسوء، وأحذرك بعد نفسك الناس فإنه قد شخصت أبصارهم وانتفخت أجوافهم وتمنى كل واحد منهم أمنية (٢)، واعلم يا عمر! فإنهم منك خائفون ما خفت الله تعالى وانزه عن هواك، واعلم يا عمر! إن الله تعالى حقا بالنهار لا يقبله بالليل وحقا بالليل لا يقبله بالنهار، واعلم أنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة، وقد علمت يا عمر أن الله تبارك وتعالى ذكر أهل الجنة بحسن أعمالهم وذكر أهل النار بسوء أفعالهم وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباع الحق، [وإنما -] خفت [موازين -] من خفت موازينه [يوم القيامة -] باتباع الباطل، وقد علمت يا عمر أن الله عز وجل أنزل آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن في هذه الدنيا راغبا راهبا ولا يلقي بيده إلى التهلكة، فانظر يا عمر! لا تتمن على الله إلا الحق ولا يكونن شئ هو أحب إليك من الموت ولا أبغض إليك من الحياة، وإياك والذخيرة فإن ذخيرة الامام تفسد عليه دينه وتسفك دمه، فاحفظ وصيتي يا عمر ولا تنسها، واحفظ المهاجرين والأنصار واعرف لهم حقهم وفضائلهم ولا تفضهم ولا تباعدهم

---

(١) انظر كتاب عهد أبي بكر إلى عمر بن الخطاب مجموعة الوثائق السياسية وثيقة ٣٠٢ / د ص ٤٠٤ - ٤٠٥ نقلا عن أنساب الاشراف للبلاذري، ج ٢ / ٤٦٨ والسنن الكبرى للبيهقي ٨ / ١٤٩ واعجاز القرآن للباقلاني ص ٦٥ وصبح الأعشى للقلقشندي ٩ / ٣٥٩ وانظر الطبري ٣ / ٤٢٩ ابن الأثير ٢ / ٨٠ والإمامة والسياسية ١ / ١٩ والعقد الفريد ٤ / ٢٦٧ وطبقات ابن سعد ٣ / ٢٠٠. وبين النصوص في هذه المصادر خلاف.

(٢) قارن مع الكامل في التاريخ ٢ / ٨٠ والبيان والتبيين ٢ / ٦١ وما بين معكوفتين في النص زيادة عنهما.

واخفض لهم جناحك يحبوك في المشهد والمغيب.
قال: ثم التفت أبو بكر رضي الله عنه إلى الناس، وهم عن يمينه وشماله فقال: أرضيتم بعمر بن الخطاب إماما من بعدي؟ فقال من حضر: سمعنا وأطعنا.
فقال: ثم خرج الناس من عنده ودعا أبو بكر بابنته عائشة رضي الله عنها فقال لها: يا بنية! إن على أبيك دينا (١) لا يجده فهل أنت مؤديته من بعدي؟ فقالت: نعم يا أبتي ولم لا أؤديه! فقال: إنه قد دنا الامر وأرجف الاجل، فإذا أنا مت فاغسلوني وكفنوني وحنطوني وصلوا على ثم ائتوا بي إلى قبر حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم فاستأذنوا
وقولوا: السلام عليك يا رسول الله! هذا أبو بكر بالباب، فإن أذن لكم في دفني إلى جانبه فادفنوني، وإن لم يؤذن لكم في ذلك فأتوا بي إلى مقابر المسلمين وإنا لله وإنا إليه راجعون.
قال: فكان هذا الكلام من أبي بكر رضي الله عنه في يوم الاحد فلما كان يوم الاثنين توفي أبو بكر رضي الله عنه في مثل تلك الساعة التي توفى فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فغسل أبو بكر وحنط وكفن وصلى عليه، ثم حمل على
أعواد المنايا وأتي به إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فحفر له فيه إلى جنب النبي صلى الله عليه وسلم، فدخل
أبو بكر التراب لست ليال بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة (٢)، واستخلف عمر بن الخطاب رأس سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ذكر ابن سعد قال: توفي أبو بكر الصديق وعليه ستة آلاف كان أخذها من بيت المال. (٣ / ١٩٣).
(٢) كانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وقال أبو معشر: سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال. وكان عمره يوم مات ٦٣ سنة.
(ابن سعد ٣ / ٢٠٢ الطبري ٣ / ٤٢١ ابن الأثير ٢ / ٧٥ تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٨).

ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
قال: فلما أفضت الخلافة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل الناس يدعونه: خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فقال عمر: أيها الناس! إن هذا الاسم الذي أراه تدعونني به يطول على الناس ويشتد عليهم ولكن ادعوني بغيره فإنه أحب إلي وأسهل عليكم وأخف، فقالوا: (١) وكيف ندعوك؟ فقال عمر: أنتم المؤمنون وأمركم إلي فأنا أميركم، فقالوا: ندعوك إذا (أمير المؤمنين). قال: فخرج هذا الاسم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أول الناس وهو أول من قيل له: أمير المؤمنين.

ذكر كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه
إلى أهل الشام بتعزية أبي بكر
وذكر وفاته رحمة الله عليه.

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى من بالشام من المسلمين والمؤمنين، سلام عليكم! فإن من الحادث الذي حدث على هذه

---

(١) عند ابن سعد: فقال بعض أصحاب رسول الله (ص): نحن المؤمنون وعمر أميرنا فدعي عمر أمير المؤمنين، فهو أول من سمي بذلك (الطبقات ٣ / ٢٨١).
(٢) نسخة الكتاب في فتوح الشام للازدي ص ٩٨ والوثائق السياسية وثيقة ٣٥٣ / ب ص ٤٥٩ باختلاف بين النصوص.
قال الأزدي: وجاء بالكتاب يرفأ (مولى عمر بن الخطاب).

الأمة أن أبا بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى فإنا لله وإنا إليه راجعون،
رحمة الله ورضوانه على أبي بكر القائم بالحق القائل بالصدق والآمر بالصدق والآخذ بالقسط والمعروف الرؤوف الرحيم الورع الحكيم، فرغب في العصمة برحمته والعمل بطاعته والخلود في جنته إنه على كل شئ قدير، وإذا (١) ورد عليكم كتابي هذا وقرأتموه فالأمير عليكم أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير جماعتكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
قال: ثم كتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه كتابا صغيرا وجعله في وسطه وهو (٢): بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك! أما بعد فإنك بحمد الله في كنف من المسلمين وعدد يكفي بعضهم حصار أهل دمشق، فإذا ورد عليك كتاب هذا فاقرأه على من قبلك من المسلمين وخبرهم بأنك الوالي عليهم، وابعث سراياك في نواحي الشام ولا تقر عسكرك من جندك فيطمع فيك عدوك ولكن انظر برأيك فيمن استغنيت عنه من أصحابك فسرحه إلى ما قبلي، ومن احتجت إليه منهم في حصارك فاحبسه عندك، وليكن فيمن تحبسه هناك خالد بن الوليد فإنه لا غناء بك عنه، والسلام.
قال: فلما ورد كتاب عمر رضي الله عنه على أبي عبيدة بعزل خالد بن الوليد وولايته على المسلمين استحيى أن يخبر خالدا، ثم جعل يصلي خلفه ولا يبدي له شيئا حتى سمع خالد بعزله، وذلك أنه سمع الناس يقولون لأبي عبيدة: أيها الأمير، وعلم وأيقن أنه معزول فقال: رحم الله أبا بكر! أما انه لو كان حيا لما عزلني أبدا، وأنت يا أبا عبيدة رحمك الله كيف لم تعلمني بعزلي وولايتك علي وأنت تصلى خلفي ولك السلطان علي، فقال أبو عبيدة: ما كنت أحب أن أعلمك بذلك لولا أنك علمته من غيري، وبعد يا أبا سليمان! فما يبلغ من سلطان الدنيا وأمارتها، إنما نحن إخوان في ذات الله عز وجل، فأينا ولي أخاه لم يضره ذلك في دينه ولا في دنياه

---

(١) في فتوح الأزدي ص ١٠٢ - ١٠٣ وردت تولية أبي عبيدة وعزل خالد في كتاب مستقل أرسله مع شداد بن أوس بن ثابت. (وانظر فتوح الشام للواقدي ص ٩٦ - ٩٧). والوثائق السياسية وثيقة ٣٥٣ / ألف و ٣٥٣ / ب و ٣٥٣ ه (هذه الوثيقة نقلا عن الأزدي ولم نجدها في فتوحه المطبوع).
(٢) الوثائق السياسية وثيقة ٣٥٣ ه باختلاف النص.

شيئا، لا بل لعل الوالي أن يكون أقرب إلى الفتنة من رعيته إلا من عصم الله، وبعد فإني قد وليتك الحرب وجعلتك على أعنة الخيل والسلام (١).
قال: ثم عبى أبو عبيدة الناس وزحف بهم إلى أبواب دمشق، فأحاطت الخيل بدمشق من كل جانب فضيقوا عليهم غاية الضيق (٢). قال: فعندها نقلت الروم وخرج القنفلان صاحب دمشق في جمع عظيم من الروم إلى محاربة المسلمين، فاقتتلوا قتالا شديدا.
قال: وجعل المسلمون يقاتلون ويتأخرون إلى ورائهم ويطمعونهم في أنفسهم حتى بلغت بهم الروم إلى داريا (٣) على فرسخ من دمشق واشتبك الحرب هناك.
قال: ونظر صفوان بن المعطل إلى رجل من الروم عليه بزة حسنة وحلية ظاهرة وسلاح شاك، فحمل عليه صفوان فطعنه طعنة نكسه عن فرسه قتيلا، وإذا امرأة الرومي عليها سلاح شاك من وراء زوجها فلما نظرت إليه قد صرع عن فرسه حملت على صفوان بن المعطل، قال: وعلم صفوان أنها امرأة فأومأ إليها بالسيف ولم يضربها لكنه حمل عليها، فولت المرأة من بين يديه، ونزل صفوان إلى الرومي فسلبه ما كان عليه من بزه وسلاحه، واستوى على فرسه (٤).
قال: ثم اجتمع المسلمون في موضع واحد وحملوا على جمع الروم حملة

---

(١) في الطبري عن ابن إسحاق أن أبا عبيدة لم يعلم خالد بعزله إلا بعد فتح دمشق، وقد جرى الصلح على يدي خالد وكتب الكتاب باسمه. وانظر فتوح البلدان ص ١٢٨.
(٢) انظر بشأن تشديد الحصار على أبواب دمشق والقوى التي تولت ذلك فتوح الشام للواقدي ١ / ٧٠ وفتوح البلدان ص ١٢٧. والطبري ٣ / ٤٣٨.
(٣) قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة (معجم البلدان).
(٤) وقال صفوان في ذلك:
ولقد شهدت الخيل يكثر وقعها * ما بين داريا دمشق إلى نوى
فطعنت ذا حلي فصاحت عرسه * يا بن المعطل ما تريد لما أرى
فأجبتها أني سأترك بعلها * بالدير منعفر المناكب بالثرى
وأرى عليه حلية فشهرتها * إني كذلك مولع بذوي الحلى
(فتوح الأزدي ص ١٠٥).

صادقة وألحقوهم بحيطان دمشق وقد قتل منهم من قتل، وأقبل المسلمون حتى نزلوا على دمشق وعزلوا على مناجزة أهلها.
قال: فطال عليهم الحصار سنة وقريبا من شهر (١)، فلما أضر بهم الحصار كتبوا إلى هرقل ملك الروم وهو مقيم بأنطاكية وبعثوا إليه رسولا فقالوا: أيها الملك! إن العرب قد حصرونا وضيقوا علينا وليست لنا بهم طاقة وقد قاتلناهم غير مرة وعجزنا عنهم، فإن كانت لك فينا وفي السلطان حاجة فامددنا بالرجال وأعنا (٢) بهم وعجل بنا
في ذلك فإنا في ضر وجهد جهيد وإلا فقد أعذرنا إليك، والقوم قد أعطونا الأمان وبذلوه لنا غير مرة ورضوا منا باليسير من الجزية. قال: فأرسل إليهم هرقل أن تمسكوا بمدينتكم وحاربوا عدوكم ولا تسلموا حصنكم، فإنكم إن فعلتم ذلك وعجزتم وونيتم دخلوا عليكم في مدينتكم ولم تجدوا عندهم عهدا ولا وفاء ولا صدقا وأجبروكم (٣) على دينكم وأفتنوكم واقتسموكم بينهم أقساما فصرتم أنتم ونساؤكم وأولادكم لهم عبيدا وإماء، وأنا موجه إليكم بجيش عظيم في أثر رسولي هذا فلا تعجلوا.
قال: فصبر أهل دمشق على الحصار وجعلوا ينتظرون المدد من عند هرقل، فلما أبطأ ذلك عليهم وضاق بهم الامر واشتد عليهم الحصار ورأوا أن المسلمين لا يزدادون إلا قوة وصرامة وقد كانوا علموا أن خالد بن الوليد معزول فأرسلوا إلى أبي عبيدة بن الجراح يسألونه الصلح، فأجابهم أبو عبيدة إلى ذلك ووقع صلحهم على مائة ألف دينار والجزية بعد ذلك على كل محتلم أربعة دنانير في كل سنة وعلى نسائهم ديناران فرضي القوم، وكتب الكتاب بينهم بالصلح، فأخذ القنقلان صاحب دمشق الكتاب ووفى للمسلمين بما صالحهم عليه، فأخذ أبو عبيدة هذا المال فأخرج منه الخمس ووجه به إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأعلمه في كتابه بما كان من أهل دمشق وصلحه إياهم، وقسم باقي المال في المسلمين وهم سبعة

---

(١) في الطبري: سبعين ليلة. وقال الواقدي: ستة أشهر. وفي تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٠ أقاموا على ما كانوا عليه في حصار دمشق حولا كاملا وأياما.
(٢) في فتوح الأزدي ص ١٠٦: وأغثنا وعجل علينا.
(٣) في الأزدي: وأجبروكم على ترك دينكم.

وثلاثون ألفا، وفتحت أبواب دمشق فدخلها المسلمون يوم الجمعة في رجب سنة أربع عشرة وثلاثة عشر شهرا مضت من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فنزل المسلمون دمشق آمنين.

وفي رواية: أن الأمير أبو عبيدة رضي الله عنه لما دخل دمشق من باب الجابية لم يكن عند خالد رضي الله عنه من ذلك علم ولا خبر لأنه كان قد شدد القتال عليهم ودخل من الباب الشرقي ووضع السيف في الروم إلى أن وصل خالد إلى كنيسة مريم والتقى الجيشان عندها (١).

ذكر تحرك الفرس بالعراق بعد فتح دمشق.

قال: وتحركت الفرس بالعراق وتكاثرت على المثنى بن حارثة بن [سلمة (٢) -]

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٧ / ٢٨: اختلف العلماء في دمشق هل فتحت صلحا أو عنوة؟ فأكثر العلماء على أنه استقر أمرها على الصلح، لأنهم شكوا في المتقدم على الآخر أفتحت عنوة ثم عدل الروم إلى المصالحة، أو فتحت صلحا. فقال قائلون: هي صلح يعني على ما صالحهم الأمير في نفس الامر - وهو أبو عبيدة -. وقال آخرون: بل هي عنوة لان خالد افتتحها بالسيف، فلما أحسوا بذلك ذهبوا إلى بقية الامراء ومعهم أبو عبيدة فصالحوهم. فاتفقوا على أن يجعلوا نصفها صلحا ونصفها عنوة. (قال الواقدي: قرأت كتاب خالد بن الوليد لأهل دمشق فلم أر فيه أنصاف المنازل والكنائس وقد روي ذلك ولا أدري من أين جاء به). ويروي الواقدي في فتوح الشام أن خالد فتح دمشق عنوة وقد دار بينه وبين أبي عبيدة محاجة عنيفة نزل بعدها خالد على رأي أبي عبيدة (فتوح الشام ١ / ٧٢ وما بعدها.)

قال ابن كثير ٧ / ٢٥ والمشهور أن خالد فتح الباب قسرا (الباب الشرقي) وقال آخرون بل فتحها عنوة أبو عبيدة وقيل يزيد بن أبي سفيان. وخالد صالح أهل البلد فعكسوا المشهور المعروف. وهذا ما ذهب إليه البلاذري في فتوح البلدان وفيه نص كتاب خالد لأهل دمشق بالصلح (ص ١٢٧) وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى خالد بن الوليد لأهل دمشق إذا دخلها أعطاهم أمانا على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم ولا يسكن شيء من دورهم، لهم بذلك عهد الله وذمة رسول الله (ص) والخلفاء والمؤمنين لا يعرض لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية، وقيل إن أبا عبيدة كتب لهم كتاب الصلح، قال ابن كثير: وهذا هو الأنسب والأشهر (وانظر ما تقدم قبل أسطر) فإن خالدا كان قد عزل عن الامرة (تقدم أن هناك قولا أن أبا عبيدة لم يبلغه ذلك إلا بعد فتح دمشق) وقيل إن الذي كتب لهم الصلح خالد بن الوليد، ولكن أقره على ذلك أبو عبيدة. وهذا ما ذهب إليه اليعقوبي في تاريخه ٢ / ١٤٠.

(٢) سقطت من الأصل، وانظر ما تقدم.

الشيباني وعلى من معه من المسلمين، وخرج كسرى ملك الفرس ذات يوم إلى الصيد فعرض له عير وحشي فاتبعه كسرى، وجرى العير بين يديه جريا شديدا وسار كسرى في طلبه حتى إذا أقفرت به الأرض وانفرد من عسكره عطف عليه العير وكلمه بإذن الله تعالى وقال له: ويلك يا يزدجرد! آمن بربك تبقى لك نعمتك ولا تكفر فيزول ملكك. قال: ففزع يزدجرد فزعا شديدا ثم رجع إلى قصره منكسرا فدعا بمؤبدته وأساورته فخبرهم بما سمع من العير فقالوا: أيها الملك! ما نظن هذا إلا حدثا يأتيك من هؤلاء العرب الذين نزلوا بساحتك.

قال: ورأى المثنى بن حارثة في منامه رؤيا هالته وأفزعته، فلما أصبح بعث إلى وزرائه فجمعهم إليه ثم قال لهم: اعلموا أني قد رأيت رؤيا، فقالوا له: وما الذي رأيت أيها الأمير؟ قال: رأيت كأن من أحسن الناس قد أقبل ومعه لواء فدفعه إلي وقال: ذل أهل فارس كذلة الهجارس، وزال ملكهم وحان هلكهم، فارحل ناجيا وامض سائرا، واستخبر خبرا واستنصر عمرا، وأنا أظن ملك الفرس قد زال وعزهم قد حال. قال: فقالت له المشايخ من قومه: صدقت رؤياك ونامت عيناك، وسر إلى عمر.

قال: وركب المثنى بعيرا له وسار مع جماعة من أصحابه يريد المدينة إلى عمر بن الخطاب (١)، فبينا هو يسير إذ غلط عن الطريق هو ومن معه، فبينما هو كذلك إذا سمع هاتفا يهتف من الجادة وهو يقول أبياتا من جملتها:

والفرس قد خذلت رايات نصرتها * وإن ملك بني ساسان قد مرجا

قال: فاتبع المثنى الصوت حتى وصل إلى الطريق، ثم سار مجدا حتى قدم

---

(١) في الكامل لابن الأثير ٢ / ٧٣ وبعد خروج خالد بن الوليد إلى الشام، وإنشغال أبي بكر بمتابعة الوضع والقتال بالشام فقد: (أبطأ خبره على المثنى فاستخلف على المسلمين بشير بن الخصاصية ووضع في المسالح سعيد بن مرة العجلي وسار إلى المدينة إلى أبي بكر ليخبره خبر المشركين... فقدم المدينة وأبو بكر مريض قد أشفى (وقيل قبل موته بليلة) فأخبره الخبر فاستدعى عمر وقال له:... فإذا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى (انظر الطبري ٣ / ٤٤٤ - ٤٤٥ والبداية والنهاية ٧ / ٢٢).

على عمر بن الخطاب (١) رضي الله عنه وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرون
والأنصار عن يمينه وشماله، فوقف بين يديه وسلم على عمر، فقال: من أنت أيها الرجل؟ فقال: أنا المثنى بن حارثة الشيباني، فقال عمر: مرحبا بك وسهلا، حياك الله وقربك وحيا حيا أنت منه! فلقد سمعت أخبارك بديا، ولقد كنت أحب أن أراك، فما الذي أقدمك يا مثنى؟ قال: ما قد تبينت به من الفرس وتعديهم علي وعلى قومي، قال: فقال له عمر رضي الله عنه: إني قد سمعت قولك يا مثنى! فصف لي أرضهم، فقال: هي أرض كثيرة الزرع والضرع، ترابها مال وأمرها عال، قال: فصف لي رجالها، فقال: هم رجال طوال، عظام جسام، شديد كلبهم كثير سلبهم، ضعيفة قلوبهم لا منعة لهم من صدقهم عليهم.
قال: فنشط عمر لغزوهم فقام في الناس خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم
قال (٢): أيها الناس! إن الله عز وجل وعد نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يفتح عليه فارس
والروم! والله لا يخلف وعده ولا يخذل جنده، فسارعوا رحمكم الله إلى جهاد أعدائكم من الفرس، فإنكم بالحجاز في غير دار مقام وقد وعدكم الله عز جل كنوز كسرى وقيصر، والمواعيد من الله عز وجل مضمونة وأمر الله تعالى مفعول، والقول من رسول الله صلى الله عليه مقبول، وما لم يورثكموه الله عز وجل اليوم يورثكموه غدا،
وإنكم لن تغنموا حتى تغيروا ولن تستشهدوا حتى تقاتلوا، وهذا المثنى بن حارثة قد أتاكم من العراق يدعوكم إلى جهاد عدوكم، فسارعوا رحمكم الله إلى ذلك ولا تتغافلوا عن الجهاد في سبيل الله.
قال: فنكس القوم رؤسهم إجلالا وإعظاما لغزو الفرس، (٣) فوثب أبو

---

(١) كذا بالأصل. انظر الحاشية السابقة. قال الطبري: أول ما عمل به عمر أن ندب الناس مع المثنى... إلى أهل فارس قبل صلاة الفجر، من الليلة التي مات فيها أبو بكر، ثم أصبح فبايع الناس.
(٢) الطبري ٣ / ٤٤٥ باختلاف.
(٣) قيل في الطبري أن عمرا ندب الناس أربعة أيام ولم ينتدبوا فقد (كان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم، لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم) ٣ / ٤٤٤ وانظر ابن الأثير ٢ / ٨٤ - ٨٥ البداية والنهاية ٧ / ٣٢.

عبيد (١) بن مسعود الثقفي فقال: إنا سمعنا كلامك وأنا أول من أجاب إلى هذه الدعوة
والجهاد في سبيل الله، أنا ومن أجابني من قومي وعشيرتي. قال: ثم وثب سليط بن قيس (٢) الأنصاري فقال: يا أمير المؤمنين! إنما كان قعودنا عن هؤلاء الفرس إلى وقتنا هذا شقشقة من شقاشق الشيطان، ألا وإني قد وهبت نفسي لله، أنا ومن أجابني من بني عمي ومن اتبعني. قال: فلما سمع الناس كلامه وكلام أبي عبيد (١) ضجوا من جانبي المسجد وقالوا: يا أمير المؤمنين! ول علينا رجلا من المهاجرين أو الأنصار (٣) حتى نسير معه إلى عدونا. قال عمر: لعمري والله! ما أجد لها أحق من الذي أندب إليه بديا - يعني أبا عبيدة (١) بن مسعود الثقفي، ولولا أن سليط بن قيس عجول في الحرب لامرته عليكم، (٤)، ولكن أبو عبيد (٥) هو الأمير وسليط بن قيس هو
الوزير، فقال الناس: سمعنا وأطعنا.
قال: ثم تجهز الناس للخروج مع أبي عبيد (١)، وخرج أبو عبيد (١) من مدينة رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله) في أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار والعبيد والموالي ومعهم المثنى بن حارثة الشيباني حتى نزل القوم بإزاء العراق، واجتمعت قبائل ربيعة إلى المثنى بن حارثة الشيباني في قريب من ألف رجل، فصار القوم خمسة آلاف يزيدون قليلا.
ونزل القوم بإزاء مسلحة وفيها قائد من قواد كسرى يقال له جابان، فلما رأى جابان أن العرب قد نزلت بساحته جمع نواحيه وضم إليه جيشه (٧) وخرج يوما على

---

(١) بالأصل: أبو عبيدة خطأ. وما أثبتناه عن الطبري. وفي فتوح البلدان ص ٢٥١ أبو عبيد بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف. وهو أبو المختار بن أبي عبيد.
(٢) في فتوح البلدان: (عمرو) خطأ.
(٣) ولم يكن أبو عبيد صحابيا (البداية والنهاية).
(٤) زيد في الطبري: وفي التسرع إلى الحرب ضياع إلا عن بيان، والله لولا سرعته لامرته، ولكن الحرب لا يصلحها إلا المكيث.
(٥) بالأصل: أبو عبيدة خطأ.
(٦) في فتوح البلدان ص ٢٥١: في ألف. وفي البداية والنهاية ٧ / ٣٢ سبعة آلاف.
(٧) وذلك في نواحي تستر كما في فتوح البلدان ص ٢٥١ وعند الطبري ٣ / ٤٤٨ وابن الأثير ٢ / ٨٥ والبداية والنهاية ٧ / ٣٢ بموضع يقال له النمارق. (بين الحيرة والقادسية).

فرس له وبين يديه المرازبة وبأيديهم الحراب والقسي والنشاب وغير ذلك من أنواع السلاح، وطلب البراز وسأل النزال، فخرج إليه ثلاثة نفر أو أربعة نفر من المهاجرين فقتلهم جابان، فقال أبو عبيد (١) بن مسعود لسليط بن قيس الأنصاري: يا أخا الأنصار! ما لي أرى قومك قد كاعوا عن القتال؟ فقال سليط: لا لعمري والله! ليس قومي [ممن] كاعوا ولا ممن يكرهون الحرب والطعان ولا يقتنون القيان، ثم قال سليط: يا معشر الأنصار! من ينتدب منكم لهذا الأعجمي؟ قال: فوثب رجل من الأنصار يقال له مطر بن فضة وكان يدعي بأمه قال: أنا له.

ثم خرج مطر بن فضة نحو جابان فحمل عليه والتقيا، ونظر إليه جابان بطعنتين طعنه الأنصاري طعنة أرداه عن فرسه، وبادر إليه مطر بن فضة فقعد على صدره وهم بذبحه، فقال جابان من تحته: لا إله إلا الله، فتباطأ مطر في قتله ولم يقتله، فقال له جابان: لا تقتلني ولك علي غلام وجارية دون أصحابك.

قال: فحمله الأنصاري مردفا على فرسه (٢)، فلما أدخله العسكر قالت له قبائل ربيعة: يا فتى! هل عرفت أسيرك؟ قال: نعم هو بعض عدوي، فقالت: ويحك! هذا جابان ملك هذه الناحية، فبماذا أرضاك حتى كففت عنه ولم تقتله؟ قال: غلام وجارية، فقالت ربيعة: تربت يداك! لو طلبت من هذا مائة غلام ومائة جارية لاعطاك، فقال: ما كنت بالذي أغدر به بعد أن أخذ موثقي وأخذت موثقه.

قال: فلما سمع جابان أعطاه غلامين وجاريتين وفرسين وألفي درهم، وأسلم وحسن إسلامه (٣)، فولاه أبو عبيد (١) أرضه.

وبلغ ذلك كسرى يزدجرد بن هرمز بأن جابان قد أسر وقد دخل في دين العرب، فاغتم لذلك غما شديدا، ثم دخل إلى ابنة له يقال لها بوران (٤) وكانت

---

(١) بالأصل: أبو عبيدة. وقد صحح في المواضع التالية دون الإشارة إليه.

(٢) وقيل إن مطر أطلقه، وأمسكه بعض المسلمين وأبوا أن يطلقوه وجاؤوا به الأمير، الذي أقر أمان مطر بن فضة له وأبي أن يقتله. (الطبري - ابن الأثير - ابن كثير).

(٣) لم يرد في المصادر السابقة ذلك.

(٤) عن الطبري: ٣ / ٤٥٠ وبالأصل: (بودى) تحريف. وقد صححت في كل المواضع التالية دون الإشارة إلى ذلك.

سيدة بنات الفرس في دهرها، فلما نظرت إلى أبيها يزدجرد مغموما فقالت: ما حالك أيها الملك؟ فخبرها بأن جابان قد أسر ودخل في دين العرب، فقالت: لا عليك أنا أفرج عنك.

ثم إنها كتبت إلى ملك أذربيجان (١) يقال له مهران بأن العرب قد ظهروا علينا فهلم إلى ما قبلنا بخيلك ورجلك فقاتلهم، فإن ظفرت بهم زوجتك نفسي ووضعت تاج أبي على رأسك عشر سنين، فإذا انقضت العشرة رددتك إلى بلادك وضممت إليك أرمينية فجعلتها زيادة على عملك.

قال: فلما ورد كتاب بوران على مهران أجابها في العدة والعدد فخرج من بلاد أذربيجان في ثمانين ألفا أو يزيدون، ومعه الفيلة مشهورة بأنواع الزينة على ظهورها القباب حتى صار إلى العراق، ثم دخل إلى يزدجرد، فأدناه يزدجرد ووعده ومناه.

فلما كان من غد سار مهران إلى حرب المسلمين حتى نزل على شاطئ الفرات في ثمانين ألفا. قال: ونظرت العرب إلى ذلك وهم من ذلك الجانب، فقال أبو عبيد بن مسعود لسليط بن قيس: يا أبا عمرو! ما ترى؟ قال: أرى أن العرب تكر ولا تفر، والرأي عندي أن ترحل من هذا الموضع إلى فضاء من الأرض ونجعل للخيل متسعا وجولانا، قال: فقال أبو عبيد: يا أبا عمرو! إنك فارسها وقد جبنت؟ فقال سليط بن قيس: قد أمرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تسمع مشورتي ولا ترد نصيحتي، قال أبو عبيد: ولا قبلت نصيحتك ولأعقدن إليهم جسرا ولأعبرن إليهم لي أم علي، فسكت سليط بن قيس.

وعقد الجسر بموضع يقال له بانقيا (٢)، وكان الذي عقده لهم رجل من الدهاقين يقال له برصلوما (٣)، وعبر أبو عبيد بالمسلمين وهم خمسة آلاف إلى مهران (٤) وهو

---

(١) بالأصل بأذربيجان وما أثبتناه عن معجم البلدان.

(٢) كذا، وفي الطبري ٣ / ٤٥٤ بالمروحة ويقال قس الناطف ويقال: الجسر (الكامل ٢ / ٨٨)، وقس الناطف: موضع على شاطئ الفرات الشرقي بسواد الكوفة. والمروحة على شاطئ الفرات الغربي (معجم البلدان).

(٣) في الكامل لابن الأثير: ابن صلوبا. وفي تاريخ خليفة: صلوتا.

(٤) كذا بالأصل، وفي الطبري وابن الأثير: بهمن جاذويه، وفي فتوح البلدان: (ويقال اسمه رستم)، ويقال له: ذا الحاجب لأنه كان يعصب حاجبيه بعصابة ليرفعهما كبر. وفي تاريخ خليفة: بهمن بن خوهر مزمان. وفي البداية والنهاية: بهمس حادويه. وفي تاريخ اليعقوبي: بعث إليهم رستم بذي الحاجب.

في ثمانين ألفا أو يزيدون. قال: وتبادرت الفرس فأخذوا السلاح.
ذكر وقعة الجسر
وهي أول وقعة للمسلمين مع الفرس.
قال: فكان أول من تقدم إلى حرب الفرس سليط بن قيس الأنصاري، ثم حمل يقاتل حتى أثخن بالجراحات، ثم رجع إلى موقفه. قال: وتقدمت قبيلة من الفرس ومعهم فيل لهم يقال له الأصم على ظهره قبة ديباج، فيها قائد من قواد كسرى يقال له شهريار وهو أخو رستم.
قال: فلما نظرت خيل المسلمين إلى ذلك الفيل كأنها فزعت منه، ونظر أبو عبيد إلى ذلك الفيل فتهيأ للحملة عليه ثم قال لأصحابه: ويحكم! ما هذه الدابة؟ فقيل له: أيها الأمير! هذا الفيل، قال: قد علمت أنه الفيل ولكن هل له من مقتل؟ فقيل: نعم أيها الأمير! إذا قطع خرطومه مات. قال: فقال سليط بن قيس: أيها الأمير! ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أحمل على هذا الفيل حملة وأضرب خرطومه بسفي فأقتله إن شاء الله تعالى! قال سليط: أيها الأمير! دع عنك هذا الفيل، فلك في غيره سعة، فقال أبو عبيد: ما أريد سواه ولا أقصد غيره، ثم قال أبو عبيد: اقرأ على قبر محمد صلى الله عليه وسلم مني السلام، ثم قال: يا معشر المسلمين!
انظروا إن أنا قتلت فأميركم من بعدي وهب ابني، فإن أصيب فابني مالك، فإن أصيب فابني جبر، فإن أصيب فسليط بن قيس، فإن أصيب فأبو محجن الثقفي، فإن أصيب فالمثنى بن حارثة، فإن أصيب فأمر بعضكم إلى بعض.
ثم تقدم راجلا بسيفه نحو الفيل ثم حمل على الفيل فضرب خرطومه ضربة فقطعه وذهب ليولي إلى عسكره فعثر على وجهه ووقع عليه الفيل فحطمه - رحمة الله عليه -!

قال: وذهب ابنه وهب بن أبي عبيد (١) ليتقدم إلى الحرب... (٢) إلى ذلك أبو محجن الثقفي، فأخذ الراية وتقدم نحو الفرس ثم حمل على الفرس فلم يزل يقاتل حتى قتل منهم جماعة ثم رجع فدفع الراية إلى وهب بن أبي عبيد، فأخذ وهب الراية وتقدم ثم حمل، ولم يزل يقاتل حتى قتل - رحمة الله عليه -! وتقدم أخوه مالك بالراية ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل - رحمة الله عليه! ثم تقدم أخوهما الثالث فأخذ الراية ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل - رحمة الله عليه! قال: وتقدم رجل من المسلمين وهو سليط بن قيس الأنصاري ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل - رحمة الله عليه -! قال: وتقدم رجل من المسلمين يقال له عبد الله بن مرثد وسيفه في يده فصار إلى حبال الجسر فقطعها ومر الجسر منقطعا في الفرات (٣). قال: وحمل هذا الرجل عبد الله بن مرثد على الفرس فلم يزل يقاتل حتى قتل - رحمة الله عليه!

قال: واشتبك الحرب وكثر القتل في المسلمين ثم وقعت الهزيمة على الفرس فانهزموا وأخذهم السيف فقتل منهم مقتلة عظيمة وجاء الليل واختلط الظلام، فرجع المسلمون إلى عسكرهم فدفنوا قتلاهم وباتوا هنالك، فلما أصبحوا عقدوا الجسر ثانية ثم إنهم عبروا إلى عسكرهم الأول فنزلوا فيه.

وأفلت رجل يقال له معاذ بن حصين الأنصاري (٤) فمر على وجهه يقطع البلاد حتى صار إلى المدينة، فدخل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في المسجد فسلم عليه ثم وقف بين يديه فأنشأ يقول... (٥) قال: فقطع عليه عمر فقال: يا أبا الحصين! دعنا من الشعر، خبرنا بأمر الناس، فقال: يا أمير المؤمنين! أنعى

---

(١) في فتوح البلدان: فأخذ اللواء أخوه الحكم. وفي تاريخ اليعقوبي: وقام بالجيش المثنى بن حارثة الشيباني. وفي الكامل لابن الأثير: وتتابع سبعة أنفس من ثقيف كلهم يأخذ اللواء ويقاتل حتى يموت ثم أخذ اللواء المثنى. (وانظر البداية والنهاية ٧ / ٣٤ والطبري ٣ / ٤٥٧).

(٢) مطموس بالأصل. انظر الحاشية السابقة.

(٣) في الكامل لابن الأثير ٢ / ٨٩ لما رأى عبد الله بن مرثد الثقفي ما لقي أبو عبيد وخلفاؤه بادرهم إلى الجسر فقطعه وقال: أيها الناس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا.
قال الطبري ٣ / ٤٥٧: فأخذوه، فأتوا به المثنى فضربه وقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: ليقاتلوا.

(٤) في الطبري ٣ / ٤٥٨ عبد الله بن زيد بن الحصين الخطمي، وفي البداية والنهاية: عبد الله بن زيد بن عاصم المازني، وفي فتوح البلدان: عروة بن زيد.

(٥) بياض بالأصل.

إليك أبا عبيد – رحمة الله عليه –! وأنعي إليك بنيه الثلاثة وهبا ومالكا وجبرا، وأنعى إليك سليط بن قيس الأنصاري وفلانا وفلانا – فلم يزل يعد وجوه المهاجرين والأنصار، فقال له عمر: فالمثنى بن حارثة الشيباني ما حاله؟ فقال: تركته جريحا يا أمير المؤمنين.

قال: فضج الناس بالبكاء والنحيب، ثم دعا عمر رضي الله عنه بجرير بن عبد الله البجلي فقال له: ويحك يا جرير! إنا قد أصبنا بالمسلمين مصيبة عظيمة والمثنى بن حارثة في وجه العدو غير أنه جريح لما به، فسر نحو العراق فعسى الله عز وجل أن يدفع شر هؤلاء الأعاجم وتخمد بك جمرتهم (١).

قال: فسار جرير بن عبد الله من المدينة في سبعمائة رجل حتى صار إلى العراق فنزلها (٢)، وبلغ ذلك المثنى بن حارثة الشيباني فكتب إليه (أما بعد يا جرير فإنا نحن الذين قدمنا المهاجرين والأنصار من بلدهم، وأقمنا نحن في نحر العدو نكابدهم ليلا ونهارا، وإنما أنت مدد لنا فما انتظارك – رحمك الله – لا تصير إلينا؟ فصر إلينا وكثرنا بأصحابك، فإن زعمت أنك رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا

يلي عليك إلا من كان مثلك فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولى أبا عبيد بن مسعود الثقفي على المهاجرين والأنصار، فلما حضرته وفاته قد كان ولاني، ولو علم أني لا أقوم مقامه ما فعل، فرأيك أبا عمرو فيما كتبت إليك – والسلام).

قال: فكتب إليه جرير: (أما بعد فقد ورد كتابك علي فقرأته وفهمته، فأما ما ذكرت أنك الذي قدمت المهاجرين والأنصار إلى حرب العدو، فصدقت وليتك لم تفعل، وأما قولك: إن المهاجرين والأنصار لحقوا ببلدهم (٣)، فإنه لما قتل أميرهم

---

(١) وكان جرير في بجيلة رفضوا إلا المسير إلى الشام، وعزم عمر أن يسيروا إلى العراق، ونفلهم ربع الخمس فأجابوا. (الطبري ٣ / ٤٦٠ وابن الأثير ٢ / ٩١).

(٢) بعث عمر جريرا في بجيلة، وعصمة بن عبد الله من بني عبد بن الحارث الضبي فيمن تبعه من بني ضبة، وهلال بن علقمة التيمي مع الرباب، وابن المثنى الجشمي مع جشم سعد، وعبد الله بن ذي السهمين مع أناس من خثعم، وربعي في بعض بني حنظلة، وربعي بن عامر بن خالد العنود على بعض بني عمرو، وقرط بن جماح على عبد القيس، وابن مردى التغلبي في أناس من بني تغلب وأنس بن هلال النمري في بني النمر. كلهم مددا للمثنى بن حارثة بعد ما بلغ عمر ما لاقى المسلمون في وقعة الجسر (راجع الطبري ٤ / ٧٣ بولاق وابن الأثير ٢ / ٩١ وفتوح البلدان ص ٢٥٣ – ٢٥٤).

(٣) وكان كثير من الناس بعد وقعة الجسر قد هربوا على وجوههم لا يدري إلى أين رحلوا، ومنهم من رجع إلى المدينة المنورة مذعورا (البداية والنهاية ٧ / ٣٤).

لحقوا بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأما ما ذكرت أنك أقمت في نحر العدو فإن أقمت في بلدك وبلدك أحب إليك من غيره، وأما ما سألتني من المصير إليك فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لم يأمرني بذلك، فكن أنت أميرا على قومك وأنا أمير على قومي - والسلام).

قال: وجرى بينهما اختلاف وبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١)، فجمع المهاجرين والأنصار وشاورهم في أن يصير إلى العراق بنفسه، فكل أشار عليه بذلك وقال: يا أمير المؤمنين! إن جيشا تكون فيه أنت خير من جيش لم تحضره، وقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه فقال: يا أمير المؤمنين! إن كل إنسان يتكلم بما يحضره من الرأي، والرأي عندي أن لا تصير إلى العراق بنفسك، فإنك إن صرت إلى العراق وكان مع القوم حرب واختلط الناس لم تأمن أن يكون عدو من الأعداء يرفع صوته ويقول: قتل أمير المؤمنين! فيضطرب أمر الناس ويفشلوا عن حرب عدوهم ويظفر بهم العدو، ولكن أقم بالمدينة ووجه برجل يكفيك أمر العدو وليكن من المهاجرين والأنصار البدريين. فقال عمر: ومن تشير على أن أوجه به يا أبا الحسن؟ قال: أشير عليك أن توجه رجلا يشرح باليسير ويسر بالكثير، فقال عمر: من هذا أشير علي؟ قال علي: أما أنا فاني أشير عليك أن توجه إليهم سعد بن أبي وقاص، فقد عرفت منزلته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: أحسنت! هو
لها، ما لها سواه (٢).

قال: ثم دعا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما فقال: يا سعد بني وهب! إن الله تبارك وتعالى إذا أحب خلقا حببه إلى خلقه، وأنا موجهك إلى أرض العراق

---

(١) في الطبري ٣ / ٤٧٢ فكتب عمر إلى المثنى: إني لم أستعملك على رجل من أصحاب محمد (ص) - يعني جريرا.

(٢) لم يكن إرسال سعد بن أبي وقاص إلى العراق بسبب خلاف جرير والمثنى على أية حال. إنما كان بسبب ما بلغ عمر من حدوث تطورات هامة منها:
- تغيير القيادة في فارس، وتمليك يزدجرد الذي ضبط أمورهم وحسن تدبيره واشتدت المملكة وقوي أمر الفرس.
- ارتداد أهل السواد وإخراج المسلمين عن المروج. وخرقوا العهود التي كانت في أيديهم.
- ارسال المسلمين إلى عمر يطلبون المدد بعد اجتماع الفرس على ملكهم واطمئنان الفرس واستيثاقهم لقوتهم، وتباريهم في طاعته (اليعقوبي ٢ / ١٤٣ الكامل لابن الأثير ٢ / ٩٥ الطبري ٣ / ٤٧٧ فتوح البلدان ص ٢٥٥).

لتكون أميرا على جميع من قدمت عليه، فسر وقل لا حول ولا قوة إلا بالله، واعلم أني لست أترك أحدا يطيق حمل السلاح إلا وجهت به إليك، وأنا أرجو أن يفتح الله على يديك، ثم جمع له عمر رضي الله عنه الناس من كل أوب حتى صار سعد في سبعة
آلاف، (١) ثم سار حتى نزل بموضع يقال له شراف (٢)، وجعل عمر لا يقدم عليه أحد إلا وجه به إليه، فكان أول من قدم عليه عمرو بن معد يكرب الزبيدي في زهاء خمسمائة رجل، وطليحة بن خويلد الأسدي في ثمانمائة فارس، وشرحبيل بن السمط الكندي في سبعمائة راكب، وفرات بن حيان العجلي في سبعمائة راكب، والمغيرة بن شعبة في ثلاثمائة راكب، وعاصم بن عمرو التميمي في أربعمائة راكب، وعاصم بن زرارة التميمي في ستمائة راكب، وخثيم بن عبد الله السلمي في الف راكب، والمكشوح المرادي في أربعمائة راكب. قال: وصار إليه جرير بن عبد الله البجلي في ستمائة راكب من بجيلة. (٣)
قال: فالتأمت العساكر إلى سعد في جمع عظيم وهو نازل بشراف، وقد هجم عليه الشتاء وأكبت عليه الأمطار، والفرس في جمع عظيم وقد بلغم أن سعد بن أبي وقاص نازل بشراف وقد اجتمعت إليه العساكر وكأنكم به وقد وافاكم عن قريب إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.
قال: ثم إن المثنى بن حارثة انتقضت عليه جراحاته التي أصابته يوم الجسر فمرض مرضا شديدا ومات رحمة الله عليه، وبلغ ذلك سعد بن أبي وقاص فأرسل إلى امرأته سلمى بنت حفصة (٤) التميمية فخطبها وتزوجها بعد أن انقضت عدتها.
قال: فكان سعد بن أبي وقاص مقيما بشراف ينتظر أن ينحسر عنه الشتاء.
ذكر تحرك الروم بأرض الشام من أرض فلسطين
قال: وكبر أمر المسلمين على الروم واشتد عليهم ما كان من فتح دمشق وما قد

---

(١) عند اليعقوبي ٢ / ١٤٣ ثمانية آلاف. البداية والنهاية ٧ / ٣٦ ستة آلاف. ابن الأثير ٢ / ٩٧ أربعة آلاف.
(٢) شراف: بين واقصة والفرعاء، على ثمانية أميال من الأحساء التي لبني وهب.
(٣) كان قدوم سعد حلا للتنازع على الامارة بين جرير والمثنى.
(٤) في الكامل لابن الأثير ٢ / ٩٨ سلمى بنت خصفة. وفي الطبري ٣ / ٤٨٩ سلمى بنت خصفة التيمية، تيم اللات.

اجتمعوا بأرض العراق فهالهم ذلك ورعبهم وأشفقوا على أنفسهم، فجعلوا يجمعون الجموع ويستمدون من يليهم من نصارى العرب حتى صاروا في ثمانين ألفا من النصرانية. قال: وبلغ ذلك أبا عبيدة بن الجراح وهو يومئذ مقيم بمدينة دمشق فدعا بعمرو بن العاص فضم إليه سبعة آلاف فارس وأرسله إلى الروم، واتبعه يزيد بن أبي سفيان في سبعة آلاف فارس، واتبعه شرحبيل بن حسنة في ستة آلاف فارس، فذلك عشرون ألفا.

قال: والروم يومئذ بموضع يقال له فحل (١)، فلما نظروا إلى عساكر المسلمين قد وافتهم في عشرين ألفا (٢) كتبوا إلى هرقل ملك الروم بذلك وسألوه المدد، قال: فوجه إليهم هرقل بصليبين وبطريقين في عشرين ألفا، فصارت الروم في مائة ألف، وكتب عمرو بن العاص إلى أبي عبيدة يخبره بذلك (٣)، فأقبل أبو عبيدة على خالد بن الوليد رضي الله عنهما فقال له: أبا سليمان! هذا كتاب عمرو بن العاص قد ورد علينا يخبر أن الروم قد اجتمعوا بأرض فلسطين في ثمانين ألفا وهؤلاء جواسيسنا من أنباط الشام قد جاءوا إلي خبروني أن أهل بعلبك في عشرين ألفا، فما الرأي عندك؟ فقال: إذا أخبرك أيها الأمير! أما فلسطين فقد علمت أن عمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة في وجوههم في عشرين ألفا، فاكتب إليهم أن لا تعجلوا محاربة القوم حتى أنا أمضي إلى بعلبك فأكفهم إن شاء الله، فإذا فرغت من أمرهم صرت إلى فلسطين فأعنت المسلمين على قتال عدوهم، فقال أبو عبيدة: نعم ما رأيت أبا سليمان!

قال: ثم كتب أبو عبيدة إلى عمرو بن العاص ومن معه من المسلمين بأرض

---

(١) فحل بكسر أوله وسكون ثانيه اسم موضع بالشام كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم (معجم البلدان) وقيل: موضع بين طبرية وبيسان بوادي نهر اليرموك، كانت فيه وقائع كثيرة.
أضاف الأزدي أنه بعد أن جاء المسلمون بأجمعهم جاءت لخم وجذام وغسان وعاملة والقين وقبائل من قضاعة فدخلوا مع المسلمين فكثر عددهم (ص ١١١).

(٣) نسخة كتاب عمرو بن العاص إلى أبي عبيدة (عن فتوح الأزدي ص ١٠٧):
بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإن الروم قد أعظمت فتح دمشق واجتمعوا من نواحي الأردن وفلسطين، فتكاتبوا وتواثقوا وتعاقدوا ألا يرجعوا إلى النساء والأولاد حتى يخرجوا العرب من بلادهم، والله مكذب قولهم وأملهم، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا. فاكتب إلي برأيك في هذا الحدث، أرشد الله أمرك وسددك وأدام رشدك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فلسطين فأمرهم أن لا يعجلوا بالمحاربة على عدوهم إلى أن يوافيهم خالد بن الوليد.

قال: وخرج خالد بن الوليد من دمشق في خمسة آلاف فارس يريد بعلبك، وخرج معه أبو عبيدة ليشيعه فجعل يوصيه ويقول له: أبا سليمان! أوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له، فإذا أنت وافيت القوم فلا تطاولهم فإنهم في حصونهم وديارهم يأكلون ويشربون وينتظرون أن تأتيهم امداد من الروم فيقووا بهم، وإذا عاينوك وإلى خيلك يخافوك فاتقوا ناحيتك، فإن أنت ناظرتهم وطاولتهم ذهب الرعب من قلوبهم ورجعت إليهم أنفسهم فأجنوا عليك وعلى أصحابك، وإن أنت كفيتهم وهزمتهم انقطع رجاؤهم (١) واشتد رعبهم فسر يرحمك الله! فإن احتجت إلى مدد فابعث إلي حتى أمدك بنفسي ومن معي من المؤمنين إن شاء الله ولا قوة إلا بالله. فقال له خالد: إني قد قبلت وصيتك أيها الأمير! فارجع إلى أصحابك راشدا يرحمك الله! قال: فوادعه أبو عبيدة ورجع إلى دمشق، ومضى خالد في خمسة آلاف فارس من خيله وأصحابه الذي يعتمد عليهم ويقاتل حتى صار إلى بعلبك.

ذكر الوقعة بمدينة بعلبك.

قال: ونظر أهل بعلبك إلى خيل المسلمين قد وافتهم فاستقبلوهم بالعطعطة (٢) والنعير، والتقى القوم فاقتتلوا من ضحوة النهار إلى قريب الظهر، ثم صاح خالد بالناس: أيها المسلمون! ليس هذا يوم مطاولة وأنا حامل فاحملوا رحمكم الله!

قال: ثم حمل خالد والمسلمون معه فقتلوا من الروم حتى احمرت الأرض من دمائهم وأفلت منهم من أفلت بشر حالة تكون حتى لحقوا ببيسان (٣) وصار بعضهم إلى فلسطين وما والاها، واحتوى خالد بن الوليد على أموال وسلاح وخيل وسبي كثير فوجه به كله إلى دمشق إلى أبي عبيدة بن الجراح وخبره بما فتح الله عز وجل على يديه من أمر بعلبك.

---

(١) عند الأزدي ص ١٠٩: وسقط في خلدهم، وساء ظنهم.

(٢) العطعطة: تتابع الأصوات واختلافها في الحرب.
والنعير: الصراخ في حرب أو شر (اللسان).

(٣) بيسان: بلد من أرض فلسطين شمالي نابلس. وكان الذين توجهوا من بعلبك من جموع الروم وأهل بعلبك ومن وافاهم من دمشق أكثر من عشرين ألفا.

قال: فكتب أبو عبيدة إليه أن يسير إلى فلسطين معونة لاخوانه المسلمين.
قال: فسار بمن معه من أصحابه حتى وافى أرض فلسطين. قال: ونظرت الروم إلى عساكر المسلمين قد وافتهم من كل أوب فانحازت الروم إلى موضع يقال له فحل ونزلوا هنالك.
قال: ورأى أبو عبيدة من الرأي أن يلحق بأصحابه فيكون معهم وأن لا يغيب عما هم فيه، فدعا برجل من المسلمين فولاه مدينة دمشق (١) وخرج حتى لحق بأصحابه، فعلمت الروم أن أبا عبيدة قد وافى بأصحابه.

ذكر رسالة الروم إلى أبي عبيدة
وإجابته إياهم على كتابهم.

قال: فأرسلت الروم إلى أبي عبيدة: (أيها الشيخ! أخرج أنت ومن معك من (٢) أهل دينك من بلادنا هذه التي تنبت الحنطة والشعير والفواكه والأعناب والخير الكثير وارجعوا إلى بلادكم بلاد القحط والجوع والبؤس والفقير وإلا أتيناكم فيما لا قبل لكم به من الخيل والجنود ثم لا ننصرف عنكم وفيكم عين تطرف وقد أعذر من أنذر). فقال أبو عبيدة بن الجراح لرسولهم الذي جاء إليه بهذه الرسالة: ارجع إليهم وبلغهم عني ما أقول، قال الرسول: قل ما تشاء، فقال: قل لهم عني: أما قولكم أن اخرجوا من بلادنا هذه فلستم لها بأهل فلعمري ما نحن أهلها، والله تبارك وتعالى هو الذي جاء بنا إليها ولم نكن بالذي نخرج عنها فقد ورثنا الله إياها فأخذناها بأسيافنا وفتحناها عنوة وغنما ونزعها الله من أيديكم وجعلها في أيدينا، وإنما البلاد بلاد الله والعباد عباد الله، وهو ملك الملوك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شئ قدير، وأما ما ذكرتم من بلادنا أنها بلاد البؤس والشقاء فقد صدقتم أنها لذلك كما ذكرتم وقد أبدلنا الله عنها ببلادكم هذه ليبلو صبرنا وشكرنا، ولما رأى الله تبارك وتعالى قلة صبركم وكثرة صبرنا وقلة شكركم وكثرة شكرنا رآنا لهذه البلاد أهلا وأبدلنا بلاد البؤس والشقاء
ببلاد الخير الكثير والعيش الرفيع (٣) والجناب الخصيب، وكنا أحق بها وأهلها لايماننا

---

(١) عند ابن الأثير ٢ / ٨٣ استخلف يزيد بن أبي سفيان.
(٢) عند الأزدي: ص ١١٣: من أصحابك، وأهل دينك.
(٣) عند الأزدي: والسعر الرخيص، والأنهار الجارية، والثمار الكثيرة.

بالله وكفركم به، فلا تحسبونا تاركيها ومنصرفين عنها ولا خارجين منها إلى غيرها (١)، فذروا عنكم تمني الأباطيل والأماني الكاذبة، وأما قولكم بأنكم تأتوننا فيما لا قبل لنا به فو الله لا تأتوننا بجند إلا أتيناكم بمثله أو ضعافه إن شاء الله ولا قوة إلا بالله، فكونوا من ذلك على يقين. (٢)

قال: فلما انتهت إليهم هذه الرسالة من أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه كأنهم انكسروا لذلك وداخل قلوبهم الرعب والخوف، فأرسلوا إليه أن ابعث إلينا رجلا من صلحاء أصحابك حتى نسأله عما تريدون وتطلبون وتسألون ونخبره بما عندنا

وندعوكم إلى حظكم ورشدكم.

ذكر مسير معاذ بن جبل إلى الروم

وما كان من كلامه معهم

قال: فأرسل إليهم أبو عبيدة معاذ بن جبل – رضي الله عنهما، فأقبل إليهم معاذ على فرس له أدهم، على رأسه عمامة له حمراء، عليه درع له سابغ قد ظاهره بحريرة صفراء وقد تقلد بسيف له يمان، حتى إذا دنا من القوم نزل عن فرسه وأخذ بعنانه وجعل يقوده وهو يمشي إليهم، فقال بعضهم لبعض غلمانه: أذهب فأمسك عليه فرسه، فقال معاذ للغلام: إليك عني! فإني أمسك فرسي ولا أحب أن يمسكه غيري.

قال: ثم دنا منهم فإذا بجماعة من بطارقتهم قعود على فرش ونمارق (٣) تكاد أن يغشى الابصار حسنها. قال: وتقدم إلى معاذ رجل منهم فقال له: ناولني فرسك أمسكه لك واجلس مع هؤلاء الملوك فإنهم سادات الروم وأشرافها، فقال معاذ: لست أحب أن أكلمهم إلا وأنا قائم.

قال: فقال له الترجمان: يا هذا! إن القوم يكرهون أن يكلمونك وأنت قائم، فقال معاذ: أيها الرجل! إني لم أقم على رجلي بين أيديهم إعظاما لهم، ولكني أكره أن أجلس على هذه النمارق (٤) لأنها من زينة الدنيا وقد زهد الله عز وجل عباده

---

(١) زيد عند الأزدي: حتى نفنيكم ونخرجكم عنها.

(٢) عند الأزدي: وإن أنتم أقمتم لنا فلا نبرح حتى نبيد خضراءكم، مستأصل شأفتكم إن شاء الله.

(٣) النمارق جمع نمرقة، وهي الوسادة الصغيرة.

(٤) زيد عند الأزدي ص ١١٦: التي استأثرتم بها على ضعفائكم واصل ملتهم.

فيها، ذمها ونهى عن زينتها، فإن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم نبي الهدى والصادق المصدوق
قد كان نهى أن لا يقوم لاحد من خلق الله، ولا يكون قياما إلا لربنا في الصلاة والعبادة والرغبة والرهبة، وليس قيامي لكم ولكني أقوم إعظاما لله عز وجل فإذ قد أبيتم أن تكلموني وأنا قائم فأنا أجلس ههنا، قال: ثم رفع معاذ طرف البساط وجلس [على] الأرض.
فقال له الترجمان: يا هذا! إن جلوسك على التراب من جلوس العبيد فلا تزر بنفسك إن كنت عربيا فإن جلوسك مع قومنا على بساطهم هو أكرم لك وأجمل بك من
جلوسك على الأرض متنحيا عن البساط كصنع العبد الذليل الذي لا يرى نفسه للكرامة أهلا، فلا تفعل أيها الرجل بنفسك هذا واجلس مع القوم على بساطهم، فليس كل أحد يطمع في ذلك منهم غير أنهم قد بلغم عنك صلاح وفضل فهم يحبون إكرامك، فقال معاذ: يا هذا! قد أكثرت علي من كلامك هذا، إن كانت هذه الكرامة التي تدعوني إليها للدنيا فلا حاجة لي فيها، وأما قولك إني جلست كالعبد فإني إنما أنا عبد من عبيد الله تعالى وإنما جلست على بساط ربي عز وجل (١).
قال: فقال له الترجمان: إني أظنك أفضل أصحابك، قال: لا ولكني أخاف أن أكون أشرهم.
قال: وجعل معاذ كلما تكلم بشئ يفسره الترجمان للقوم. قال: ثم أقبل عليه الترجمان فقال: إن القوم يقولون لك: ما الذي تطلبون وتريدون وإلى ماذا تدعون؟ ونريد أن تخبرونا ما الذي أدخلكم إلى بلادنا هذه وتركتم أرض الحبشة وليست منكم ببعيدة، وتركتم أرض الفرس وهي أقرب إليكم منا (٢)، اعلموا أن بأسنا شديد وشرنا عنيد، وإنكم إن كنتم فتحتم مدينة من مدننا فاحتويتم عليها ونزلتموها أو مدينتين أو ثلاثة كانت لنا مدن كثيرة، فإن هزمتم لنا جيشا كانت لنا جيوش أخر لان

---

(١) زيد عند الأزدي: ولا أستأثر لشيء من مال الله على إخواني من أولياء الله، وأما قولكم: إني أزريت بنفسي عن مجلس، فإن كان ذلك فإنما هو عندكم وليس ذلك عند الله كذلك. فلست أبالي كيف كانت منزلتي عندكم إذا كانت عند الله على غير ذلك.
(٢) زيد عن الأزدي: وقد هلك ملك فارس، وهلك ابنه، وإنما تملكهم اليوم النساء، ونحن ملكنا حي، وجنودنا عظيمة كثيرة.

ولد الأصفر في الأرض أكثر من عدد الحصى وأكثر من عدد النجوم في السماء، فهيهات يا معشر العرب هيهات ما أبعدكم وما تطلبون منا! وبعد فإنا قد أنكرنا عليكم ما أنتم عليه من استحلالكم لقتالنا وأنتم تزعمون أنكم تؤمنون بكتابنا وبنبينا، فكيف هذا فاشرحوه حتى نعلم.

قال: فلما فرغ الترجمان من كلامه أقبل عليه معاذ فقال: إني فهمت ما تكلمت به عن لسان القوم، ويجب عليك أن تفهمهم عني ما أقول، فقال الترجمان: أفعل ذلك فقل ما تشاء. فقال معاذ: قل لهم عني: أما قولكم: ما الذي أدخلكم إلى بلادنا وتركتم أرض الحبشة وأرض الفرس، فان السبيل فيكم وفيهم واحد لان الله تبارك وتعالى قال لنا في كتابه (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة (١)) فكنتم أقرب إلينا منهم، فقدمنا نحن إليكم، وقد بعث صاحبنا إلى أولئك الذين بالعراق من الفرس طائفة أخرى يقاتلونهم كما نقاتلكم، ونحن نرجو أن يفتح الله علينا وعليهم إن شاء الله عز وجل!

وأما قولكم: إن بأسكم شديد وإن جندكم كثير وإنكم على عدد النجوم والحصى (٢)، فإن جنودنا وإن كثرت وعظمت فلا نثق بها ولا نتكل عليها ولا نرجو النصرة على أعدائنا بكثرتها، ولكنا نبرأ من الحول والقوة ونتوكل على ربنا تبارك وتعالى، و (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة) (٢) وقد رفعها الله عز وجل وأعزها! وكم من فئة كثيرة قد خذلها وأذلها والله مع الصابرين! وأما ما ذكرتم لهرقل وتعظيمكم

لملككم فإنه سيموت عن قريب! وملكنا هو ربنا الحي الذي لا يموت وهو الذي قد خلقنا وخلقكم! وأميرنا رجل منا لا يجور ولا يتعدى ولا يظلم، فإن هو أطاع الله عز وجل وعمل بكتابه وبسنة نبينا محمد عليه السلام فكان فينا مستقيم الطريقة، وإلا عزلناه وولينا علينا سواه، وهو مع ذلك لا يحتجب عنا ولا يتكبر علينا، ومع ذلك فإنه لو سرق لقطعناه ولو زنى لجلدناه أو خان لفضحناه، ولو شتم رجلا منا رد عليه كما شتمه، ولو قتل منا رجلا ظلما أقاد من نفسه، وإن ضربه بغير حق اقتص منه، وإنه كرجل منا لا يستخف بنا ولا يستأثر بالفيء دوننا، ولا يتخذ الفرش والبسط

---

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

(٢) زيد عند الأزدي: وتؤيسونا من الظهور عليكم، فإن الامر في ذلك ليس إليكم، وإنما الأمور كلها إلى الله، وكل شيء في قبضته.

(٣) سورة البقرة: ٢٤٩.

والنمارق، ولا يتكئ على الكراسي تواضعا لربه عز وجل وخوفا من الحساب والعقاب.
أما قولكم: إنا نستحل قتالكم ونؤمن بكتابكم ونبيكم ونأكل ذبيحتكم وننكح فيكم، فإن نبيكم إنما نؤمن به على أنا نشهد عليه أنه عبد من عبيد الله عز وجل ورسول
من رسله وإن مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له: كن فكان بشرا سويا، لا نقول إنه ولد الله تبارك وتعالى عما يقولون علوا كبيرا، ولا نقول إنه ثاني اثنين ولا ثالث ثلاثة، ولا نقول إن لربنا صاحبة ولا ولدا تبارك الله وتعالى ولا إن مع الله إلها آخر، وأنتم تقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما، ولو أنكم قلتم في عيسى كمقالتنا وآمنتم بنبوة نبينا ووحدتم الله تعالى كتوحيدنا وأقررتم بما جاء من عند ربنا لما قاتلناكم ولوالياكم وقاتلنا معكم عدوكم، والآن فانا ندعوكم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى الايمان بمحمد عبده ورسوله على أنكم تستقبلون قبلتنا وتستنون بسنتنا وتكسرون الصليب وتقتلون الخنزير (١) وتجتنبون الخمر والزنا، فإذا فعلتم ذلك فأنتم منا ونحن منكم، لكم ما لنا وعليكم ما علينا، فان أبيتم ذلك فأدوا الجزية في كل عام واعقدوا منا الذمة حتى نكف عنكم، فإن أبيتم ذلك فاعزموا على القتال والمناجزة، هذا ما نأمركم به وندعوكم إليه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
قال: فلما فرغ معاذ بن جبل من كلامه هذا وخبرهم الترجمان بما تكلم به أيسوا من قبله ولم يطمعوا فيه، ثم أقبل إليه الترجمان على لسان القوم فقال: إن القوم يقولون لك: إنا نرى الامر متباعدا بيننا وبينكم متفاوتا جدا، وقد بقيت خصلة واحدة نحن نعرضها عليكم، فإن قبلتموها فهو خير لكم، وأن أبيتموها ورددتموها فهو شر لكم، فقال معاذ: فما هذه الخصلة اذكروها حتى أعلمها؟ فقال الترجمان: نعطيكم أرض البلقاء وما والاها (٢) مما غلبتم عليه وتتنحون عن بقية أرضنا ومدائننا وتكتبون لنا عليكم بذلك كتابا نسمي فيه خياركم وصلحاءكم ونأخذ فيه عهودكم ومواثيقكم أنكم لا تطلبون من أرضنا شيئا إلا ما صالحناهم عليه ونعطيكم منا من الوفاء مثل ذلك وتنصرفون عنا، وعليكم بأرض فارس فقاتلوا أهلها ونحن نعينكم

---

(١) عند الأزدي: وتجتنبوا شرب الخمر، وأكل لحم الخنزير.
(٢) عند الأزدي ص ١٢٠: من سواد الأردن.

على ذلك. فقال معاذ: أما ما ذكرتم أنكم تعطونا أرض البلقاء فإن البلقاء وغير البلقاء من أرضكم بأيدينا، ونحن عازمون على أن نجليكم من جميع أرض الشام وتكون بأجمعها لنا إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (١).

قال: فغضب الترجمان من كلام معاذ ثم خبر القوم ما قال: فغضبوا لذلك ثم قالوا له: إليك عنا! نحن نتقرب إليكم وأنت تتباعد عنا، أما إذ أبيت العافية فارجع إلى أصحابك، فإنا نرجو أن يغريكم الله غدا في الجبال لبغيكم وظلمكم، فقال معاذ: أما في الجبال فلا يكون ذلك أبدا، ولكن والله لنقتلن عن آخرنا أو نخرجكم منها أذلة وأنتم صاغرون.

ثم وثب معاذ واستوى على ظهر فرسه وانصرف إلى أبي عبيدة فخبره الخبر على جهته.

قال: وبعثت الروم إلى أبي عبيدة إنا سألناك أن تبعث رجلا فأرسلت إلينا رجلا لا يعلم ما يأتي ولا يذر [و] لا ينصف ولا يقبل النصيحة ولا يبصر الحق ولا يريد الصلح، فلا ندري أذلك عن رأيك أم لا، ونحن نريد أن تبعث إلينا غير ذلك الرجل حتى نعرض عليه خصالا لنا ولك فيهم صلاح، وإلا بعثنا إليك رجلا يعرض عليك ما عندنا، فإن قبلت ذلك وإلا فالحرب بيننا وبينك. قال أبو عبيدة لرسولهم: قل لهم: فليبعثوا من شاؤوا.

ذكر الرومي الذي جاء إلى أبي عبيدة وكلامه.

قال: فبعث الروم إلى أبي عبيدة رجلا منهم أزرق العينين طوالا مهول المنظر، فلما دخل العسكر جعل ينظر في وجوه عسكر المسلمين فلم يعرف أبا عبيدة من غيره، وذلك أنه لم ير عليه زي الامراء ولم ير له مجلسا يعرف ولا فضل هيئة على أصحابه، فبقى ساعة متحيرا ثم قال: يا معشر العرب! أيكم صاحبكم؟ قالوا: هو ذلك القاعد بين يديك.

قال: فنظر العلج إلى أبي عبيدة بن الجراح عليه درع وهو متقلد بسيفه متنكب قوسه وفي يده سهام يقلبها، فدنا منه العلج ثم قال: أنت أمير هؤلاء القوم؟ فقال:

---

(١) عند الأزدي: ولو أعطيتمونا جميع ما في أيديكم مما لم نظهر عليه، ومنعتمونا خصلة من الخصال الثلاثة التي وصفت لكم ما قبلنا.

نعم، أنا أميرهم فتكلم بحاجتك، فقال له العلج: يا هذا! فما يجلسك على التراب؟ فقال: أريد التواضع لربي، فقال: يا شيخ! أرأيت لو كنت جالسا على بساط أو على وسادة أكان ذلك واضعا لك عند ربك؟ فقال له أبو عبيدة: يا رومي! إن الله عز وجل لا يستحي من الحق، والله ما أملك وسادة ولا بساطا ولا أملك إلا درعي هذا الذي تراه علي وسيفي ورمحي وقوسي وكنانتي! ولقد احتجت إلى نفقة فلم تكن عندي حتى استقرضت من بعض أصحابي (١)، وبعد فلو كان لي بساط لما جلست عليه، ونحن عباد الله! نمشي على الأرض ونجلس على الأرض وننام على الأرض ونأكل على الأرض، وليس ذلك لنا عند ربنا بناقص، لا بل يعظم الله عز وجل بذلك أجورنا ويرفع به قدرنا (٢) ويوجب لنا به المزيد فيما عنده في الآخرة! فتكلم بحاجتك يا رومي وبما أرسلت به إلينا، فقال الرومي: نعم إنه ليس شئ أحب إلى الله من الاصلاح، ولا شئ أبغض إلى الله من الإفساد، وقل ما بغى قوم وأفسدوا إلا عمهم الله تعالى منه بهلاك وضلال، وقد أتيتكم أعرض عليكم أمرا لكم فيه الحظ إن قبلتموه! فقال أبو عبيدة: وما ذاك الحظ يا رومي؟ فقال: إن شئتم نعطي كل واحد منكم دينارين زيوف (؟)، ونعطي الفارس خمسة دنانير وثوبى بزيون (؟)، وأنت أمير القوم نعطيك ألف دينار، ونعطي الأمير الذي كان من قبلك خمسمائة دينار - يعني خالد بن الوليد - ونعطي الامراء والاجناد مائتي دينار، ونبعث إلى صاحبكم عمر بن الخطاب بألفي دينار على أن تخرجوا من بلادنا وتنصرفوا عنا، وإن شئتم أعطيناكم أرض البلقاء وما والاها من بلاد الأردن وتنصرفون عنا وعن بقية أرضنا ومدائننا سالمين معافين بعد أن نكتب بيننا وبينكم كتابا يستوثق فيه بعضنا من بعض، فهذا ما عندنا، فهات ما عندك يا شيخ! فقال أبو عبيدة: فإني أخبرك ما عندي يا رومى! إن الله تبارك وتعالى بعث إلينا رسولا وأنزل عليه كتابا جعله رحمة للعالمين وحجة على الكافرين، وقد كان أمرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال: إذا لقيتم الذين
كفروا فادعوهم إلى الايمان بالله ورسوله والإقرار بما جاء به من عند الله، فمن أجابكم منهم إلى دينكم (٣) فهو أخوكم في دينكم وشريككم في حظكم، له ما لكم وعليه ما عليكم، ومن أبى منهم الايمان فأعرضوا عليه إذا الجزية حتى يؤديها عن

---

(١) عند الأزدي: يعني معاذ.
(٢) أزدي: درجاتنا.
(٣) عند الأزدي: فمن آمن وصدق فهو أخوكم في دينكم.

يد وهم صاغرون، فإن كرهوا أن يؤمنوا وأبوا أن يؤدوا الجزية فقاتلوهم، فإن قتيلكم المحتسب بنفسه شهيد في جنان النعيم. وقتيل عدوكم في النار والعذاب الأليم، فإن صدقتم يا رومي بما سمعتم وقبلتم ما أعلمتم فحظكم أصبتم والخير أريد بكم، وإن كرهتم ذلك وأدبرتم عنه وكذبتم فابرزوا إلينا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

قال: فقال الرومي: وقد أبيتم إلا هذا؟ قال أبو عبيدة: نعم، قد أبينا إلا ما سمعت، وما عندنا غيره، فاعمل أنت وأصحابك على ذلك (١).

قال: فولى الرومي من بين يدي أبي عبيدة وهو يقول: اللهم أشهد على هؤلاء القوم وانتقم لنا منهم! فانا قد أنصفناهم وأعطيناهم الحق وزدناهم فأبوا ذلك، اللهم انصرنا عليهم! قال: فصاح به بعض المسلمين أيها العلج! وما دعاء الكافرين إلا في ضلال.

قال: فمضى الرومي وخبرهم بما كان من كلامه وكلام أبي عبيدة بن الجراح.

فلما كان من غد زحف الروم نحو المسلمين في ستين ألفا أو يزيدون، وعزم أبو عبيدة على حربهم ومناجزتهم، ثم دعا فيجا (٢) سريعا من أنباط أهل الشام وقال له: انظر إذا دفعت إليك كتابي هذا فأسرع حتى تأتي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فادفعه إليه، ثم كتب أبو عبيدة من ساعته كتابا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٣): بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين، من عامله عامر بن الجراح، سلام عليك! أما بعد فإني أخبرك أن الروم قد أقبلت إلينا ونزل أكثرهم بساحتنا وهم نزول بأرض يقال لها فحل وقد سارع أهل البلد ومن كان على دينهم من العرب المتنصرة، وكتبت إليك كتابي هذا حين نهضت إليهم وسرت لقتالهم متوكلا على الله، راضيا بقضائه، واثقا بنصره، راجيا لأحسن ما عودنا، ونحن نسأل الله عز وجل أن يكفينا وإياك يا أمير المؤمنين حسد كل حاسد وكيد كل

---

(١) زيد عند الأزدي: فقال له الرومي: أما والله على ذلك، إني لأراكم تتمنون أنكم قبلتم منا دون ما عرضنا عليكم.

(٢) الفيج: العداء السريع الذي ينطلق مشيا على قدميه.

(٣) نسخته في فتوح الشام للازدي ص ١٢٥ والوثائق السياسية عنه وثيقة رقم ٣٥٣ / ز وفيهما زيادة واختلاف.

كائد وبغى كل باغ، وأن ينصرنا نصرا عزيزا، وأن يفتح الله لنا منه فتحا مبينا، وأن يجعل لنا منه سلطانا نصيرا - والسلام عليك ورحمة الله وبركاته -.
ثم طوى أبو عبيدة الكتاب وختمه ودفعه إلى الفيج ونهض إلى الروم في خيله ورجله، ونظرت الروم إلى خيل المسلمين وكثرة جمعهم فكأنهم كاعوا عن حربهم يومهم ذلك ورجع الفريقان بعضهم عن بعض.
ومضى الفيج فجعل يسير سيرا عنيفا حتى قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما دفع إليه الكتاب وقرأه أقبل على الفيج وقال: ويحك! فهل علمت أو بلغك من أمر المسلمين بعد خروجك عنهم؟ فإن أبا عبيدة خبرني في كتابه هذا أنه نهض إلى القوم حين دفع إليك الكتاب. قال: فقال الفيج: نعم يا أمير المؤمنين! إني لم أبرح حتى رجع القوم بعضهم عن بعض ولم يكن بينهم قتال، وذلك أن الروم كاعوا فلم يحاربوهم ورجع المسلمون عنهم إلى معسكرهم. قال: فأنت ما حبسك عندهم وقد دفع إليك الكتاب أبو عبيدة وأمرك أن تعجل به علي؟ (١) فقال الفيج: إذا أخبرك يا أمير المؤمنين! إني انتظرت انصراف المسلمين عن الروم وعلمت أنك مسائلي (٢) عما سألتني. فقال عمر: ويحك! إني أراك عاقلا فما دينك؟ قال: أنا نصراني، فقال عمر: فما يدلك عقلك هذا على أن تسلم لله رب العالمين وتعبده ولا تشرك به شيئا؟ قال الفيج: فإني قد أسلمت على يدك يا أمير المؤمنين وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله! فقال عمر: الحمد لله الذي يهدي لدينه من يشاء! جئتني كافرا وتنصرف من عندي مسلما، فأحمد الله عز وجل على ما هداك له
من دينه.
قال: ثم بره وكساه وأحسن إليه وزوده وكتب معه إلى أبي عبيدة بن الجراح (٣): بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح، أما بعد فقد جاءني كتابك تخبرني فيه بنفر الروم إليك وبمنزلتهم

---

(١) عبارة الأزدي: قال: فأنت، ما جلسك يومئذ إلى العشى، ثم تقبل بالكتاب إلي وقد دفعه إليك أبو عبيدة أول النهار؟
(٢) الأزدي: سائلي.
(٣) نسخته في فتوح الشام للازدي ص ١٢٧ والوثائق السياسية وثيقة رقم ٣٥٣ / ج ص ٤٦٤. وفيهما زيادة.

التي نزلوها (١)، كتابي هذا وأنتم غالبون فكثيرا ما نتذكر من فضل الله تعالى والاحسان، وإن تأتكم نكبة أو مسكم قرح فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا تستكينوا فأنتم الأعلون والله معكم، فإنما هي دار الله والله تعالى فاتحها عليكم ونازعها من أيدي عدوكم، فاصبروا إن الله مع الصابرين - والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ذكر وقعة فحل من أرض فلسطين

ومن قتل فيها من المسلمين وغيرهم.

قال: فلما ورد كتاب عمر رضي الله عنه على أبي عبيدة بن الجراح نادى في المسلمين فاستنهضهم إلى حرب الروم.

قال: وعلمت الروم بذلك فرجعوا إلى حرب المسلمين في ستين ألفا ويزيدون من بين فارس وراجل وقد رفعوا صلبانهم ونشروا أعلامهم وعبوا كراديسهم، قال: وعبى أبو عبيدة أصحابه كما كان يعبيهم من قبل ودنا القوم بعضهم من بعض، وحملت كتيبة من الروم على يزيد بن أبي سفيان (٢) وهو في الميمنة، فلم يزل هو ولا أحد من أصحابه، وحملت كتيبة من الروم على شرحبيل وهو في الميسرة، فثبت وثبت الناس معه، وحملت كتيبة أخرى فيها أكثر من عشرة آلاف فارس على خالد بن الوليد وهو في القلب، فلم يتحلل أحد منهم لكنهم شرعوا الرماح في وجوههم ورشقوهم بالسهام، فرجعوا إلى ورائهم وعجبوا من حسن وقوف المسلمين وجودة صبرهم لهم.

وصاح أبو عبيدة بن الجراح (٣) قال: أيها الناس! إنه لم يبق من جد القوم إلا ما رأيتم فاحملوا الآن عليهم حملة صادقة فاستوجبوا من الله النصر بالصبر، وليبشر كل من قتل منكم بالشهادة ومن بقي بالنصر والغنيمة، ووطنوا أنفسكم على القتال الشديد، وعليكم بالضراب والطعان ومنازلة الاقران فإنه لن يدرك ما عند الله عز وجل إلا بالطاعة والصبر في المواطن المكروهة وإن الله مع الصابرين.

---

(١) كذا، وعند الأزدي: ورسالتهم التي أرسلوا، وبالذي رجعت إليهم فيما سألوك، وقد سددت بحجتك، وأوتيت رشدك، فإن أتاك...

(٢) كذا، وقد تقدم أن أبا عبيدة استخلفه على دمشق.

(٣) عند الأزدي: خالد بن الوليد.

قال: ثم حمل أبو عبيدة وحمل الناس معه وانكشفت الروم من بين أيديهم كشفة قبيحة وأخذهم السيف فقتل منهم جماعة، ثم انهم وقفوا ونعروا وتراطنوا بينهم بالرومية ثم حملوا على المسلمين فخالطوهم واقتتلوا ساعة، ثم تراجعت الروم إلى ورائها وتقدم إليهم المسلمون بالتكبير والتهليل، فكان الرجل من المسلمين يتقدم فيقاتل، فإذا أعيي أو جرح رجع إلى ورائه، وربما قتل.

قال: وتقدم قيس بن هبيرة المرادي نحو القوم، قال: ثم حمل على جميع الروم فلم يزل يطاعن حتى انكسر رمحه، ثم رجع إلى المسلمين فطلب رمحا فأعطى ثم حمل على الروم فلم يزل يطاعن فيهم حتى كسر رمحه، ورجع إلى المسلمين حتى أخذ رمحا ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى انكسر رمحه وتثلم سيفه، فقيل: إن قيس بن هبيرة المرادي هذا كسر في ذلك اليوم عشرة رماح وانقطع في يده سفيان (١)،

وقتل من الروم جماعة ما فيهم إلا فارس مذكور، وجرح منهم نيفا على ثلاثين رجلا، وأصابته سبع وأربعون جراحة وسلم فلم يقتل.

قال: ثم نادى خالد بن الوليد: أيها الناس! كونوا في جوار الله رغبة منكم عن هذه الدنيا وما فيها فإنها إلى فناء وزوال، ولا تخاذلوا ولا تواكلوا ولا تفشلوا عن أعداء الله، وأقدموا على الكافة كإقدام الأسود الضارية، ولا يكن أعداء الله على باطلهم أصبر منكم على حقكم، واطلبوا بإقدامكم عليه من الله الثواب الكريم والأجر العظيم، ألا! وإني حامل فمن شاء فليتبعني ومن شاء فليتخلف عني.

قال: ثم حمل خالد بن الوليد وحمل معه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص في زهاء ألف رجل من أهل الصبر واليقين، فنقضوا تعبية الكفار وكسروا صفوفهم بعضها على بعض، ثم وقف المسلمون ينظرون إليهم أيرجعون أم لا. قال: وإذا الروم في وقتهم ذلك أشد ما كانوا كلبا على المسلمين.

ثم إنهم تراجعوا في تعبية خلاف التعبية التي كانت لهم في أول النهار، ثم جعلت صفوفهم تقدم بعضها بعضا وهم ثمانية (٢) صفوف، بين كل رجلين فارس،

---

(١) عند الأزدي: وخرجوا وهم خمسة صفوف، لا يرى طرفاهم، وهم نحو من خمسين ألفا. فأول صف من صفوفهم جعلوا فيه الفارس بين راجلين أحدهما ناشب (يرمي بالنشاب)، والاخر رامح (يضرب بالرمح) ثم جعلوا مجنبتين، ثلاثة صفوف أخرى، رجالة كلهم. (ص ١٣١).

(٢) عند الأزدي: ثلاثة أسياف وكسر بضعة عشر رمحا. وكان يقاتل ويقول:

لا يبعدن كل فتى كرار * ماضي الجنان خشن صبار

حبوتهم بالخيل والادبار * تقدم إقدام الشجاع الضاري.

وبين كل فارس رامح وناشب، فجعلوا يزحفون نحو المسلمين والمسلمون يتأخرون عن نشابهم.
قال: ثم صاح خالد بن الوليد: يا أهل الاسلام! هذا يوم له ما بعده من الأيام وإن كان القوم في ستين ألفا والرجل منكم يحتاج إلى رجال منهم فغضوا أبصاركم وأقدموا على عدوكم ولا تتشاغلوا عنهم بسلب ولا غنيمة فعند الله مغانم كثيرة.
قال: ثم تقدم عمرو بن سعيد وكان من أفاضل الناس وفرسان المسلمين حتى وقف بين الجمعين ثم رفع صوته وقرأ (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار * ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأويه جهنم وبئس المصير) (١) يا أيها الناس اطلبوا الجنة فإنها نعم المأوى ونعم القرار ولنعم دار الأبرار؟ ولمن هي يا قوم؟ هي والله لمن شرى نفسه وقاتل في سبيل الله! ثم نادى بأعلى صوته: إلي إلي يا أهيل الاسلام! فأنا عمرو بن سعيد! ثم حمل هذا عمرو على الروم فقاتل قتالا حسنا، ثم رجع إلى المسلمين وقد أصابته ضربة على حاجبه الأيمن والدم يسيل من الضربة حتى ملأت عينه، فلم يستطع أن يفتح جفن عينه من الدم، فقال عبد الله بن قرط الثمالي: أبشر يا ابن أبي أجنحة (٢)! فإن الله معافيك من هذه الضربة وموجب لك بها الجنة ومنزل نصره عليك وعلى المسلمين إن شاء الله، قال: فقال عمرو بن سعيد: أما النصر على الاسلام وأهله فقد أنزله الله تبارك وتعالى إن شاء الله، وأما أنا فجعل الله هذه الضربة شهادة وأهدى (٣) إلي مثلها أخرى، فو الله إن هذه الضربة أحب إلي من مثل جبل أبي قبيس ذهبا أحمر! قال: ثم حمل عمرو بن سعيد هذا فلم يزل يقاتل حتى قتل - (٤) رحمة الله عليه.
قال: ثم تقدم خالد بن الوليد ومعه نخبة عسكر أبي عبيدة حتى وقف في القلب

---

(١) سورة الأنفال: ١٥ - ١٦.
(٢) كذا بالأصل، والصواب ابن أبي أحيحة (الأزدي).
(٣) عند الأزدي. وأهوى إلى أخرى مثلها.
(٤) قتل وبه أكثر من ثلاثين ضربة، قطعوه بسيوفهم وكانوا حنقوا عليه. (الأزدي). وقيل مات بأجنادين، وقيل مات بمرج الصفر (الإصابة) وذكرت فيه قصة عبد الله بن قرط يوم أجنادين. وفي الاستيعاب: والأكثر على أنه قتل بأجنادين وانظر تاريخ خليفة.

وقد أوقف الناس في الميمنة والميسرة فأوصاهم وعهد إليهم ثم قال: أيها الناس! انظروا إذا سمعتم تكبيري فاعلموا أني حملت فاحملوا واذكروا الله وقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال الناس: سمعنا وأطعنا فاحمل إذا شئت يرحمك الله! قال: فعندها حسر خالد عن رأسه، وكانت علامته إذا أراد أن يحمل قال: الله أكبر الله أكبر، الله أخرجهم لكم من ديارهم وحصونهم، شدوا عليهم على بركة [الله] وعونه، ثم حمل وحمل الناس معه بأجمعهم على عساكر الروم ورفعوا أصواتهم بالتكبير، فانكشفت الروم من بين أيديهم، وأخذهم السيف فقتل منهم في هذه الحملة نيف على سبعة آلاف، منهم ألفا بطريق أو يزيدون وخمسة آلاف تابع ما فيهم إلا فارس مقنع بالحديد أو راجل ذو بأس شديد، وقتل من المسلمين بضعة عشر رجلا: أربعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار وستة من التابعين.

قال: وتبعهم المسلمون فاستأسروا منهم خلقا كثيرا فقتلوهم بالسيف صبرا واحتووا على غنائم لهم كثيرة، فأخذها أبو عبيدة وأخرج منها الخمس وقسم باقي الغنائم على المسلمين.

قال: ومرت الروم على وجوهها عباديد مشردين في البلاد، فمنهم من صار إلى فحل وهي مدينة مطلة على موضع من بلد الأردن يقال له (الأهوية (١)) والماء يجري من تحتها، فتحصنت الروم بفحل، ومر الباقون على وجوههم مشردين، فمنهم من صار إلى هرقل ملك الروم ومنهم من صار إلى حصون الشام فتحصنوا فيها.

قال: فبعث أبو عبيدة بالخمس إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكتب إليه (٢): بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عامر بن الجراح، سلام عليك! أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين - أسعده الله - (٣) بأنا التقينا نحن وأعداؤنا من الروم بموضع من بلد الأردن يقال له: فحل، وقد جمعوا لنا الجموع العظام وجاؤونا من رؤوس الجبال وسواحل البحار في نيف على ستين ألفا

---

(١) قال الأزدي في فتوح الشام ص ٢٣١ هي الواقوصة (قرب اليرموك).

(٢) نسخة الكتاب في فتوح الشام للازدي ص ١٣٩ والوثائق السياسية وثيقة رقم ٣٥٣ / ٣ ص ٤٦٤. باختلاف بعض الالفاظ.

(٣) عند الأزدي: أصلحه الله.

قادرين مقتدرين في أنفسهم يظنون أن لا غالب لهم من الناس، ثم إنهم برزوا إلينا وأظهروا البغي علينا، فتوكلنا على ربنا ورفعنا إليه رغبتنا فرزقنا الله عليهم الظفر، فقتلنا منهم خلقا كثيرا وأغنمنا الله عز وجل أموالهم وما كان في عسكرهم، وقد أهدى الله الشهادة إلى رجال من المسلمين، منهم عمرو بن سعيد بن أبي أجنحة (١) وسعيد بن
عمرو بن قيس بن الحارث وفلانا وفلانا (٢)، وصرف الله وجوه المشركين وتبعهم المسلمون يقتلونهم حتى اعتصموا بحصنهم فحل ومضى فلهم في البلاد مشردين، وأفاء الله على المسلمين عسكرهم فحووا ما كان فيه واحتووا على بلادهم، وأنزلهم الله من صياصيهم (٣) وقذف الرعب في قلوبهم، فأحمد الله يا أمير المؤمنين على إعزاز دينه وإظهار حجته! وادع لنا بالنصر وإتمام النعم وإظهار الفلح وإلهام الشكر - والسلام عليك ورحمة الله وبركاته -.

قال: فلما ورد كتاب أبي عبيدة على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقرأه وفهم ما فيه فرح بذلك واستبشر، وفرح المسلمون واستبشروا بما فتح الله عز وجل على إخوانهم من أرض الشام، ثم قسم عليهم عمر بن الخطاب ذلك الخمس الذي وجه به إليه أبو عبيدة بن الجراح، ثم كتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح يأمر بأن يتمسك بما فتح الله عز وجل على يديه ولا يحارب أحدا من الروم إلى أن يفرغ سعد بن أبي وقاص مما هو فيه من أمر العراق.

قال: فلما ورد الكتاب إلى أبي عبيدة رحل من بلد الأردن حتى صار إلى دمشق فنزلها وفرق أصحابه في البلاد التي فتح الله عز وجل على يده.

قال: وأنجز الشتاء عن سعد بن أبي وقاص، وكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمره بالمسير إلى العراق والمناجزة للعدو.

ذكر مسير سعد بن أبي وقاص إلى القادسية
ونزوله عليها ومحاربتهم. قال: فسار سعد بن أبي وقاص حتى نزل بالقادسية، واجتمعت إليه العساكر

---

(١) كذا، وقد أشرنا إليه قريبا.

(٢) عند ابن الأثير ٢ / ٨٣ وممن قتل في هذه الحرب السائب بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي، له صحبة.

(٣) الصياصي: جمع صيصة وهي الحصن، وكل ما امتنع به.

من كل ناحية فصار سعد في جمع عظيم، وبلغ ذلك يزدجرد ابن هرمز ملك الفرس فوجه إلى سعد بن أبي وقاص يسأله أن يوجه إليه بجماعة من أصحابه يسألهم عما يريد (١).

قال: فدعا سعد بن أبي وقاص بهؤلاء العشرة من أصحابه منهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وطليحة بن خويلد الأسدي، وجرير بن عبد الله البجلي، والمغيرة بن شعبة الثقفي، وعاصم بن عمرو التميمي، وشرحبيل بن السمط الكندي، والمنذر بن حسان الضبي، وفرات بن حيان العجلي وإبراهيم بن حارثة الشيباني (٢)، فقال لهم سعد: إن هذا الكافر بعث إلي يسألني أن أوجه بقوم منكم يسألهم عما يريد، فسيروا إليه وانظروا ما قدم عزم عليه، فلعله أن يجيب إلى دين الاسلام فنكفي حربه.

فسار القوم حتى صاروا إلى الفرات، ثم عبروا الفرات وساروا حتى صاروا إلى الدجلة، فقعدوا في الزوارق وعبروا إلى ناحية يزدجرد، وهو يومئذ بالمدائن (٣) وبها قصره، فوقف القوم على بابه ثم استأذنوا عليه فأذن لهم، فدخلوا عليه فإذا هو جالس على سرير له من العاج والابنوس صغير، والملوك وأبناء الملوك عن يمينه وشماله على الكراسي، وقد كان قبل أن تدخل العرب عليه يشرب خمرا، فلما رأى العرب من بعيد أمر بالشراب فرفع، وقدم المسلمون حتى وقفوا بين يديه، فأمرهم بالجلوس فجلس منهم تسعة وظفر المغيرة بن شعبة فقعد معه (٤) على السرير، قال: فلما جلس المغيرة وكان رجلا جسيما مال السرير حتى كاد أن يقع يزدجرد من سريره، فصار المغيرة في وسط السرير ويزدجرد عن يساره، قال: فغضب يزدجرد واغتاظ

---

(١) في الطبري ٣ / ٤٩٥ وابن الأثير ٢ / ١٠٠ أن عمر - بعد أن بلغته أخبار حشود فارس - كتب إلى سعد: لا يكربنك ما يأتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه وابعث إليه رجالا من أهل المناظرة (المنظرة) والرأي والجلد يدعونه، فإن الله جاعل دعاءهم توهينا لهم.

(٢) في الأسماء التي أرسلت إلى رستم اختلاف: الطبري ٣ / ٤٩٦ ابن الأثير ٢ / ١٠١ البداية والنهاية ٧ / ٣٨ فتوح البلدان ص ٢٥٧.

(٣) المدائن: سبع مدائن بين كل مدينة إلى الأخرى مسافة قريبة أو بعيدة. بالفارسية توسفون افتتحها سعد سنة ١٦. (معجم البلدان).

(٤) أنه قعد مع رستم وليس مع يزدجرد. (فتوح البلدان - وفي رواية الطبري عن أبي وائل. وفي رواية فكالأصل.)

لذلك، وجاء غلام من غلمان يزدجرد وقال: تنح! فلم يتنح، والمغيرة يومئذ عليه ثياب العرب ودراعه من فوق ثيابه وهو مقلد بسيف له وسوطه معلق في يده وعليه برد له يمانية وقد اتشح بها من فوق ثيابه وكان المغيرة قال لأصحابه: من يكلم هذا الملك إذا دخلنا إليه؟ قالوا له: اكفنا أمره والكلام معه.

فعزم المغيرة على ذلك وجعل يزدجرد ينظر إلى البردة التي على المغيرة وكانت بردة يمانية مثمنة، فقال يزدجرد لترجمان له قائم بين يديه يقال له عبود فكلمه بالفارسية وقال: ما اسم هذا الثوب الذي على هذا الرجل؟ قال: أيها الملك اسمه برد، فتطير يزدجرد من ذلك، ثم قال: بردند جهان را - يرددها، فأقبل المغيرة على رجل قائم بين يديه من الفرس فقال: ملككم هذا يفهم عني ما أقول وإلا فأتوني بترجمان يؤدي عني ما أقول، قال: وكان يزدجرد فصيحا بالعربية فقال له:

يا هذا! فأنت من فصاحتك وإعجابك بنفسك جلست معي على سريري بغير إذني!

قال له المغيرة: وما الذي أنكرت من ذلك؟ قال: أنكرت من ذلك أنك أنت الداخل علي في مجلسي، إنما يجب عليك أن تجلس في الموضع الذي آمرك به، فقال المغيرة: صدقت وإن جلوسي معك على سريرك لم يزدني شرفا ولكنني لم أجد لنفسي موضعا أرتفع عليه إلا هذا، فذر عنك هذا وتكلم أنت بما تريد، قال: فأقبل عليه يزدجرد فقال (١): أما أنكم يا معشر العرب كنتم تأتون بلادنا هذه ما بين وافد وتاجر وابن سبيل، وكنا نحسن إليكم فتأكلون من طعامنا وتشربون من شرابنا العذوب وتلبسون من لباسنا اللين، ثم إنكم حسدتمونا على ذلك، فانطلقتم إلى قومكم فجئتم بهم لتضايقونا في نعمتنا وتضادونا في ملكنا! ما أعرف لي ولكم مثلا إلا [مثل - (٢)] رجل كان له كرم فدخل ثعلب فأكل منه وأفسد، فلما رأى الثعلب أنه ليس له مانع خرج فجمع الثعالب ثم أقبل بها إلى الكرم، فلما رأى صاحب الكرم تلك الثعالب سد عليها أبواب الحجر ثم دخل عليها فقتلها عن آخرها، فهذا مثلي ومثلكم، ولو أردت أن أفعل بكم بذلك لفعلت غير أني أعلم أنما حملكم على المصير إلى بلدي هذا ما أنتم عليه من الجوع والجهد والبؤس والضنك، فإن كان ذلك كذلك فخبروني حتى أحسن إليكم وأوقر إبلكم هذه التي معكم طعاما (٣) وكسوة وزادا

---

(١) قارن مع رواية الطبري عن ابن إسحاق ٣ / ٥٧٤ بين رستم والمغيرة بن شعبة.

(٢) عن الطبري.

(٣) عند الطبري: قمحا وتمرا، ونأمر لكم بكسوة.

وأحسن إليكم جهدي وطاقتي وتنصرفون إلى بلادكم سالمين، وإن كنتم إنما قصدتم بلدي هذا لزوال ملكي فأعلموني ذلك حتى أبغي لكم الغوائل وأنصب لكم الحبائل.
قال: فقال المغيرة بن شعبة: أفرغت من كلامك؟ قال: نعم، فقل ما
أحببت، فقال المغيرة: إنك لم تذكر شيئا من البؤس والضنك والجهد إلا وقد كنا في أعظم منه، وذلك إنا كنا نأكل الميتة والضب والقنافذ وأشباه ذلك، وكان (١) أحسننا حالا الذي يثب على ابن عمه فيقتله ويأخذ ماله، وكان لباسنا مما يخز من أغنامنا وإبلنا فتغزله لنا نساؤنا وتنسجه، فمنه لباسنا، فكنا كذلك لا نعرف حلالا ولا ننكر حراما حتى بعث الله عز وجل نبينا محمدا مباركا هدانا به من الضلالة وبصرنا به من الجهالة وأنزل إليه كتابا سماه قرآنا عربيا بين فيه الحلال والحرام والبراء من الآثام، صدقه منا مصدقون وكذبه منا مكذبون، فقاتل المكذبين بالمصدقين، حتى دخلوا في دينه طائعين وكارهين (٢)، وقد كان خبرنا قبل وفاته بكل البلاد التي يفتحها الله عز
وجل على أيدينا، وإن بلدك منها وقصرك، وإنا نعرض عليك خصالا ثلاثا فاختر أيهن شئت. قال يزدجرد: قل حتى أسمع، قال له المغيرة: أما واحدة فتقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، فإذا أنت قلتها أقررناك في بلدك وانصرفنا عنك، لا يدخل بلدك هذا أحد إلا باذنك، وعليك الخراج الخمس والزكاة تؤديها إلى بيت مال المسلمين، وإن أبيت ذلك فأداء الجزية عن يد وأنت صاغر وأعتق منا دمك، وإن أبيت ذلك فأذن بحرب من الله ورسوله وجهاد في سبيله، قال: فقال له يزدجرد: أما! إني قد فهمت كلامك، ولكن خبرني ما الصاغر؟ فإني لا أعرف الصاغر من كلامكم، قال: الصاغر أن تؤدى الجزية وأنت قائم والسوط على رأسك.
قال: فغضب يزدجرد ثم قال: ما ظننت أن أعيش حتى أسمع من أمثالكم هذا، أما! إني قد كنت عزمت على بركم والاحسان إليكم في وقتي هذا، فلما إذ تلقيتموني بمثل هذا الكلام فما لكم عندي إلا التراب (٣)، قال: ثم رفع رأسه إلى

---

(١) عند الطبري: أفضلنا في أنفسنا عيشا الذي يقتل...
(٢) في الطبري: فأمرنا أن نقاتل من خالفنا، وأخبرنا أن من قتل منا على دينه فله الجنة. ومن عاش ملك وظهر على من خالفه.
(٣) زيد في الطبري ٣ / ٥٠٠ لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم، لا شيء لكم عندي (فتوح البلدان ص ٢٥٨).

غلام له بين يديه فكلمه بالفرسية فقال: شوانشان خاك بياور، فذهب الغلام فجاء بزنبيل ملان ترابا فقال: خذوه الآن وضعوه على رأس أكبركم وأفضلكم وارجعوا إلى صاحبكم فخبروه بأني سأوجه إليكم من يدفنه ويدفن أصحابه في خندق القادسية.
قال: فوثب عاصم بن عمرو التميمي (١) وكان أصغر القوم فأحب أن يوقر المشايخ فحمل التراب، ونزل المغيرة عن سرير يزدجرد، وخرج القوم فركبوا دوابهم وساروا حتى صاروا إلى سعد بن أبي وقاص فخبروه بما كان من كلامهم وكلام يزدجرد.
قال: ثم أقبل يزدجرد على وزيره الأكبر رستم فقال له: إن الشتاء قد انحسر عنا وعن هؤلاء القوم، والأرض قد أعشبت والأشجار قد أينعت، فسر إليهم بخيلك ورجلك وجاهدهم أبدا حتى تردهم على أدبارهم من حيث جاؤنا. قال: فعندها عرض رستم من كان بحضرته من الفرس، فكانوا عشرين ومائة ألف فارس وثلاثين ألف راجل، فسار هؤلاء القوم حتى نزلوا بإزاء المسلمين بأرض القادسية، وكتب يزدجرد إلى جميع البلاد التي كانت في يده فاستنهضهم إلى حرب المسلمين، فأجابوه على كل صعب وذلول، فكان أول من أجابه إلى ذلك بهرام صاحب همذان في خمسة وعشرين ألفا من فارس وراجل، وأجابه شير زاد صاحب قم وقاشان في مثل ذلك، وأجابه البندوان صاحب أصفهان في مثل ذلك، وأجابه خرشيد صاحب الري في قريب من ذلك، فاجتمعت العساكر إلى رستم بالقادسية في جمع عظيم، فتواعد القوم للحرب ودنا القوم بعضهم من بعض، وكانت حروبهم أربعة أيام: يوم أرماث (٢) ويوم أغواث ويوم السواد ويوم النفاذ.

---

(١) في فتوح البلدان ص ٢٥٧: عمرو بن معدي كرب.
(٢) بالأصل رفاث تحريف وليلة أرماث تدعى الهدأة.
وليلة أغواث تدعى السواد، واليوم الثالث يوم عماس (بكسر العين، ولا أدري أهو موضع أم هو من العمسس مقلوب المعسس. قاله ياقوت في المعجم) وليلة اليوم الرابع تدعى ليلة الهرير، واليوم الرابع يوم القادسية. قال ابن الأثير ٢ / ٤٧٩ وسميت ليلة الهرير بذلك لتركهم الكلام، إنما كانوا يهرون هريرا.
وفي الفتوح البلدان ص ٢٥٩: كان قتال القادسية: يوم الخميس والجمعة وليلة السبت وهي ليلة الهرير.

[يوم أرماث]
وعبى سعد بن أبي وقاص أصحابه، فكان يومئذ في قريب من أربعين ألفا، وقد كان عمر بن الخطاب كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما فأمدهم بعشرين ألفا من أهل الشام، فصار سعد في ستين ألفا. فلما كان ذلك اليوم وعزم على محاربة الفرس جعل على ميمنته عمرو بن معدي كرب الزبيدي وجرير بن عبد الله البجلي في عشرة آلاف بين فارس وراجل، وجعل على ميسرته إبراهيم بن حارثة الشيباني (١)، وعلي بن جحش العجلي في عشرة آلاف من بين فارس وراجل، وجعل في القلب طليحة بن خويلد الأسدي والمنذر بن حسان الضبي في عشرة آلاف فارس وخمسة آلاف راجل. وفرق من بقي منهم في الأجنحة والكمناء، فكان أول من تقدم يومئذ من الفرس مهران صاحب أذربيجان وعليه قباء حرير وقرطق ديباج، وفي وسطه منطقة من الذهب مرصعة بالجوهر، وفي أذنه قرطان من الذهب في كل قرط حبتان من بنات الدر، وتحته فرس له أشقر، وفي يده سيف له حسام قاطع، فجعل يقول بالعربية: ندق العرب دقا دقا! فقال له رجل من أصحابه: قل إن شاء الله، فقال: إن شاء الله وإن لم يشأ (٢). فقال سعد بن أبي وقاص: أيها المسلمون! قد طغى وبغى فأخرجوا إليه! فخرج إليه المنذر بن حسان الضبي وحمل عليه وطعنه طعنة أرداه عن فرسه، فذهب مهران يقوم فبادر إليه المنذر بن حسان فرمى بنفسه عن فرسه وشد على مهران ليضربه بسيفه فالتقاها برجله، فضرب المنذر بن حسان رجل مهران فقطعها وغار فرس المنذر فعدا إليه ليأخذه وأمعن الفرس في الركض، فبادر جرير بن عبد الله إلى مهران فنزل إليه فأخذ بلحيته واختر رأسه، وأخذ ما كان عليه من الثياب، ولحق المنذر بن حسان فرسه فأخذه ثم رجع إلى مهران ليسلبه فإذا جرير بن عبد الله قد سبقه وأخذ سلبه فقال له المنذر: أبا عمرو! أنا قتلت مهران وسلبه لي ولا حق لك فيه، وإنما شغلني عنه فرسي، ولقد كنت سيدا في الجاهلية وأنت اليوم سيد في الاسلام، ولا يجمل بك أن تأخذ ما ليس لك، فاردد علي السلب، قال جرير: فادفع إلى المنطقة وخذ باقي السلب، فقال

---

(١) في البداية والنهاية ٧ / ٥٠ قيس بن مكشوح. قال في فتوح البلدان ص ٢٥٩ ويقال إن قيس بن مكشوح لم يحضر القتال بالقادسية ولكنه قدمها وقد فرغ المسلمون من القتال، وفي الطبري ٤ / ١٢٦ انه قدم مع هاشم بن عتبة يوم عماس.
(٢) نسب هذا القول في الطبري ٣ / ٥٣٠ إلى رستم.

المنذر بن حسان: إذا لا أفعل لأني أنا طعنت مهران وأنا صرعته عن فرسه وأنا قطعت رجله،
فإن أبيت أن تعطيني السلب فالله بيني وبينك - والسلام، فلما سمع جرير هذه المقالة من
المنذر بن حسان استحيى من ذلك فصالحه أن يأخذ السلب ويدفع إليه المنطقة، فرضى المنذر بذلك فأخذ المنطقة وسلم إلى جرير السلب، فقوم السلب فكانت قيمته بضعة عشر
ألف درهم، وقومت المنطقة فكانت قيمتها ثلاثين ألف دينار.
[يوم أغواث]
قال: واقتتل القوم قتالا شديدا إلى أن جاء الليل فحجز بين الفريقين. فلما
أصبح القوم (١) دنا بعضهم من بعض، وهذا اليوم يوم أغواث، فأول من تقدم من الفرس رجل يقال له فيروز (٢) على فيل مزين مشهر بغاية الشهرة والفرس عن يمينه وشماله. قال: ونظر إلى ذلك الفيل رجل من بني أسد يقال له أسد ويكنى أبا الموت ولقبه زبيبل وكان فارسا بطلا، فعزم على الخروج إلى هذا الفيل، ثم أحمى فرسه حتى أقامه على سنابكه، ثم حمل على الفيل فضرب خرطومه ضربة قطعه، ورماه سائس الفيل بحربة كانت في يده فقتله - رحمة الله عليه -. قال: وسقط الفيل ميتا وسقط فيروز عن ظهره، فحمل المسلمون عليه فقتلوه.
ثم حمل المسلمون بأجمعهم حملة واحدة من القلب فكشفوا الفرس وهزموهم عن القادسية وما يليها، وصار قصر القادسية في أيدي المسلمين فأصابوا منه سلاحا كثيرا وأموالا ليست بكثيرة وأطعمة كثيرة وكان قصرا عاليا مشرفا له مناظر ونزله سعد بن
أبي وقاص، ونظرت الفرس إلى القصر وقد أخذ منهم، اغتموا لذلك غما شديدا وباتوا ليلتهم يدبرون أمرهم بينهم.

---

(١) في صبيحة يوم أغواث وكل سعد بالقتلى والجرحى من ينقلهم إلى العذيب فسلم الجرحى إلى النساء ليقمن عليهم، وأما القتلى فدفنوا هنالك على مشرق.
وانضم في صبيحة هذا اليوم أيضا خيل الشام التي أمدها أهل العراق أبو عبيدة بن الجراح بعد معركة دمشق، وكان عمر قد أرسل إلى أبي عبيدة بإرسال المدد إلى سعد بن أبي وقاص. وعليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص (الطبري ٣ / ٥٤٣ ابن الأثير ٢ / ١١٣).
(٢) لعله الفيروزان (اليعقوبي)، أو البيرزان (الطبري). أو الفيرزان (ابن الأثير).

[يوم السواد] (١)

فلما كان من غد دنا القوم بعضهم من بعض وهذا يوم السواد، (١) وقدمت الفرس الفيلة عن أيمانها وعن شمائلها وبين أيديهم، ونظرت خيل المسلمين إلى الفيلة ففزعت لذلك فزعا شديدا وتراجعت إلى ورائها، فلما نظر المسلمون إلى ذلك نزلوا عن الخيل وأصلتوا السيوف ومضوا نحو الفيلة رجالة واشتبكت الحرب، وجعل المسلمون يحملون على الفيلة فيضربون مشافرها بالسيوف حتى أفنوها عن آخرها.

قال: فتقدم رجل من كبار الفرس وساداتها يقال له شاهنشاه حتى وقف بين الجمعين على فرس له على رأسه تاج من ذهب وعليه جوشن من ذهب فسأله البراز فخرج إليه رجل من المسلمين فقتله شاهنشاه ثم خرج إليه آخر فقتله فلم يزل كذلك حتى قتل أربعة من فرسان المسلمين، فصاح المسلمون بعمرو بن معد يكرب الزبيدي فقالوا: يا أبا ثور هل فيك بقية من غنى فتكفينا أمر هذا الأعجمي؟ فقال فتى من تميم يقال له عبد الله بن حابس: وأي بقية تكون في مثله وهو شيخ كبير على ما ترون؟ فقال له عمر: يا ابن أخي! إن بقيتي على ضعفي خير من شباب مثلك.

قال: فأقبل على عمرو من كان من قومه وعشيرته فقالوا: سألناك يا أبو ثور ألا كفيتنا أمر هذا الأعجمي إن علمت أنك تقوم به، قال: نعم، آتوني براحلة، فقالوا: تريد أن تقاتل على راحلة؟ فقال: ائتوني ولا تسألوني، قال: فأتوه بناقة عليها رحلها فأبركها بين يديه ثم ركبها وقال: يا بني أخي! أصلحوا على عملكم ثيابه، قال: فأدخلوا أيديهم تحته ليصلحوا ثيابه فقعد على أيديهم وأثار الراحلة فبقي القوم معلقين بأيديهم فصاحوا: يا عم! أيدينا أيدينا، فتجافى عمرو عن الراحلة فسقطوا إلى الأرض، فقال: يا بني أخي! ما بقي من قوة عمكم إلا ما ترون. ثم أقبل على بني عمه فقال: إن فرسي هذه لست منها في شئ ولكن ائتوني بحصان، قال: فأتوه بحصان مشرف كأنه الكثيب المبني، فأخذ بذنبه فألزم عرقوبيه إلى الأرض ثم قال: ضعيف ائتوني بغيره، فأتوه بفرس آخر، فأخذ بذنبه فجذبه فألزم عرقوبيه الأرض وقال: ضعيف غير أنه خير من الأول، ثم قال: يا بني زبيد! اعلموا

---

(١) كذا، وقد تقدم أن ليلة أغواث تدعى السواد، وهذا اليوم هو يوم عماس (الطبري - ابن الأثير - ابن كثير - معجم البلدان).

أني حامل على هذا الأعجمي، فإن بدرته بالصمصامة (١) فهي نفسه لا شك في ذلك، وإن بدرني بسيفه فصرعني عن فرسي فلا عليكم، ذروني وإياه فإنه لا يصل إلي حتى أقتله على كل حال.

قال: ثم استوى على الفرس وخرج نحو الأعجمي فنظر إليه شاهنشاه فحمل عليه، والتقيا بضربتين وقعت ضربة شاهنشاه في درقة (٢) عمرو، وقعت ضربة عمرو في رأس شاهنشاه فقطع تاجه مع هامته فجدله قتيلا. قال: ثم نزل إليه عمرو فسلبه تاجه وما كان عليه من ثيابه وسلاحه، ثم استوى على فرسه.

قال: فاقتتل الفريقان قتالا شديدا إلى أن جاء الليل، فحجز بين الفريقين.

فلما كان من غد دنا القوم بعضهم من بعض، وأقبلت خنساء على أربعة أولادها رجال جلاد فقالت لهم (٣): يا بني! أنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ووالله إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ووالله ما هجنت حسبكم ولا فضحت حالتكم (٤)، وقد ترون ما أعدت الأعاجم للمسلمين، فإذا دنوتم من الحرب فباشروا خميسها ويمموا وسيطها وجالدوا رائسها تظفروا بالغنم والسلامة والزلفة والكرامة في دار الفوز والمقامة! قال: فقبل بنوها قولها. فلما دنا القوم بعضهم من بعض تقدم ابنها الأول ثم حمل (٥)، فلم يزل يقاتل حتى قتل - رحمة الله عليه -، ثم تقدم الثاني

---

(١) كذا بالأصل. وفي الصمصامة قال ابن الكلبي: إن النبي كان قد وجه خالد بن سعيد بن العاص إلى اليمن فمر برهط عمرو بن معدي كرب فأغار عليهم فسبى امرأة عمرو وعدة من قومه، ثم من عليها وأطلقها بعد أن وهبه عمرو سيفه الصمصامة. وقد استشهد خالد يوم المرج وفي عنقه الصمصامة فأخذ معاوية السيف من عنقه فكان عنده، ثم نازعه فيه سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أمية فقضى لديه عثمان فلم يزل عنده... إلى أن صار إلى المهدي ثم صار إلى موسى الهادي (فتوح البلدان ص ١٢٦).

(٢) الدرقة: الحجفة وهي ترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب والجمع درق وأدراق ودراق (اللسان).

(٣) الاستيعاب ٤ / ٢٩٦ أسد الغابة ٥ / ٤٤٢ الإصابة ٤ / ٢٨٨. باختلاف بين النصوص.

(٤) في الاستيعاب وأسد الغابة: خالكم، وفي الإصابة: أخوالكم.

(٥) وهو يرتجز ويقول: (الاستيعاب - الإصابة):

يا إخوتي إن العجوز الناصحة * قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة
مقالة ذات بيان واضحة * فباكروا الحرب الضروس الكالحة
وإنما تلقون عند الصائحة * من آل ساسان الكلاب النابحة

ثم حمل (١) فلم يزل يقاتل حتى قتل - رحمة الله عليه، ثم تقدم الثالث ثم حمل (٢)، فقاتل حتى قتل - رحمة الله عليه -، ثم تقدم الرابع ثم حمل (٣)، فلم يزل يقاتل حتى قتل - رحمة الله عليه -، قال: فقتل أولاد الخنساء هؤلاء الأربعة وما دمعت لها عين، وذلك يوم النفاذ.

قال: واشتدت الحرب واقتتلوا قتالا شديدا ليس بالدون، وارتفع التكبير من المسلمين والعطعطة والنعير من الكافرين، وكان أبو محجن الثقفي محبوسا في قصر القادسية، وذلك أن سعد بن أبي وقاص هو الذي حبسه، وكان السبب في ذلك أن أبا محجن كان لهجا بشرب الخمر.

خبر أبي محجن الثقفي وحبسه وتوبته.

وقد كان سعد بن أبي وقاص أقام عليه الحد مرارا، وكان السبب في هذا الحبس أنه أشرف عليه يوما وأظنه كان متنبذا فسمعه يتكلم، قال: فلما سمعه سعد بن أبي وقاص يقول أبياتا (٤) دنا منه ثم قال: يا أبا محجن! إنك لفي ضلالك القديم، ثم أمر به فقيد، وحبسه معه في القصر بالقادسية. فلما كان ذلك اليوم

---

(١) وكان يرتجز (الاستيعاب - الإصابة):

إن العجوز ذات حزم وجلد * والنظر الأوفق والرأي السدد
قد أمرتنا بالسداد والرشد * نصيحة منها وبرا بالولد
فباكروا الحرب حماة في العدد * إما لفوز بارد على الكبد.

(٢) وكان يرتجز:

والله لا نعصي العجوز حرفا * قد أمرتنا حربا وعطفا
فبادروا الحرب الضروس زحفا * حتى تلفوا آل كسرى لفا

(٣) وكان يرتجز:

لست لخنساء ولا للاخرم * ولا لعمرو ذي السناء الأقدم
إن لم أرد في الجيش جيش الأعجم * ماض على الهول خضم خضرم

(٤) في مروج الذهب ٢ / ٣٤٨ عن أبي محجن قال: والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته، ولكني كنت صاحب شراب في الجاهلية، وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني فأصف القهوة.. فألتذ بمدحها. فلذلك حبسني لأني قلت فيها:

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة * تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فإنني * أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

(والنظر الكامل لابن الأثير ٢ / ١١٥).

وسمع أبو محجن التكبير والنعير التفت إلى أمة لسعد يقال لها: زبراء، فقال: ويحك يا زبراء! ما حال المسلمين؟ فقالت: أظن والله الدائر على المسلمين وقد قتل منهم جماعة، فقال أبو محجن: إنا لله وإنا إليه راجعون! أخاف أن يذهب الناس بشرف هذا اليوم، فينالون الدنيا والآخرة وأنا موثق بهذا الحديد، فلعن الله الخمر ولعن أبا محجن إن شربها بعد هذا اليوم، قال: ثم أقبل على سلمى امرأة سعد وجاريته زبراء فقال: أطلقاني ولكما الله علي راع وكفيل إن أنا سلمت ولم أقتل أن أرجع إليكما وأضع رجلي في هذا القيد كما كانت، قال: فلما سمعت المرأتان يمينه وما أعطاهما من العهد والميثاق أطلقتاه فأخرجنا رجله من القيد، فقال لهما: أعطياني اليوم هذا الفرس البلقاء وأعطياني سلاح سعد حتى أخرج فأقاتل وأرجع إليكما إن شاء الله عز وجل إن لم يحدث علي حدث، قال: فدفعتا إليه فرس سعد البلقاء (١) فأسرجها وألجمها ودفعتا إليه درعا ومغفرا وسيفا ورمحا، فتقلد بالسيف وتناول الرمح واستوى على الفرس وسار حتى اختلط بالمسلمين متلثما لا يعرف، ثم ضرب بيده إلى سيفه فاستله ثم حمل، فلم يزل يقاتل بالسيف مرة ويطعن بالرمح مرة وتارة يحمل على القوم فيقاتل قتالا شديدا لم يسمع الناس بمثله، والمسلمون لا يعلمون من هو، غير أنهم عجبوا من قتاله وسعد بن أبي وقاص على سطح القصر ينظر إلى فعله فالتفت إلى من كان معه من مشايخ العسكر فقال: يا هؤلاء! أترون إلى فعل صاحب البلقاء؟ لئن كان الخضر عليه السلام شهد شيئا من هذه الوقائع فهذا هو الخضر لا شك فيه! قال: ثم تقارب أبو محجن من ناحية القصر وجعل سعد بن أبي وقاص يتأمل البلقاء ويلتفت إلى من كان عنده فيقول: أما البلقاء فهي بلقائي، وأما السلاح سلاحي لا شك فيه، وأما الحركات فكأنها حركات أبي محجن الثقفي، ولولا أن أبا محجن معي في القصر لقلت: هذا أبو محجن. قال: ثم حمل أبو محجن وحمل الناس فاختلطوا، ورجع أبو محجن إلى باب القصر فقرعه برمحه وفتح له الباب ودخل، فنزل عن البلقاء فحط عنها السرج واللجام وأقامها على

---

(١) في مروج الذهب ٢ / ٣٤٥ والكامل ٢ / ١١٥ أن سلمى زوجة سعد هي التي أطلقته وأعطته فرس البلقاء وليس فيهما ذكر لزبراء أمة سعد وصحح البلاذري في فتوح البلدان أن زبراء هي التي أعطته الفرس قال المسعودي: وقد تنوزع في البلقاء فمنهم من قال: أنه ركبها عريا، ومنهم من قال: بل ركبها بسرج.

مذودها (١) ونزع السلاح فرده على المرأتين ودعا بالقيد فقيد رجله كما كان. قال: فصاحت به سلمى من جوف الخدر: أبا محجن! ما حال الناس؟ فقال: بكل خير، وقد كان مني في هذا العدو ما كان، وأرجو أن يكون الله تبارك وتعالى قد جعل لك أيتها المرأة في ذلك الثواب نصيبا.

قال: فأرسلت سلمى إلى سعد بن أبي وقاص وسألت أن يصير إليها، قال: فنزل سعد من السطح على عيلته حتى دخل عليها، فقالت: أيها الأمير! ما حال الناس؟ قال: ويحك يا سلمى! لقد كانت الدائرة على المسلمين غير أن الله تبارك وتعالى من علينا بفارس لا أدري من الآدميين أم من الملائكة فأعطى الله المسلمين به الظفر بعد الإياس، قالت: فهل عرفت الرجل؟ قال: لا ولكني شبهت بلقاء كانت تحته ببلقائي وسلاحا كان عليه بسلاحي، فقالت: والله انه أبو محجن الثقفي، فعل كذا وكذا، قال: فخرج سعد من عندها حتى دخل على أبي محجن ثم وقف عليه ثم قال: لقد عجبت أن يكون ذلك الفعل لك، ولست أقيم بعد ذلك عليك حدا بعد أن قد رأيت منك ما رأيت، قال: ثم فك القيد عنه وقال: يا هذا! انظر لنفسك وفكر في معادك إلى ربك، قال فقال له أبو محجن: أيها الأمير! إنما كنت أشرب الخمر حين كنت تقهرني عليها، فأما إذ قد أبيت أن تقيم علي الحد فو الله لا ذقتها حتى ألقى الله تعالى! قال: ثم ترك الخمر ولم يشربها بعد ذلك، وكان إخوانه الذين ينادمونه عليها يقولون: أبا محجن! أتركت القهوة وصبرت عنها؟ فكان يقول: ما تركتها إلا لله خالصا لا لغيره - ثم رجعنا إلى الحديث (٢).

قال: وبات الفريقان ليلتهم تلك وقد قتل من الفرس مقتلة عظيمة، فلما كان من غد وثب القوم كتعبيتهم في الأول ونزل إليهم سعد وهو متكئ من قروح قد خرجت في باطن فخذيه (٣)، فركب فرسا لين العريكة، ثم خرج على الناس فأحاطوا به من كل جانب فقالوا: أيها الأمير! لو لم تخرج إلينا لكنت معذورا لما علمنا من علتك فارجع إلى موضعك فإنا نكفيك إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

---

(١) المذود: المعلف.

(٢) خبر أبي محجن رواه الطبري ج ٣ / ٥٧٥ وفتوح البلدان ص ٢٥٨ ومروج الذهب ٢ / ٣٤٥ وما بعدها

وابن الأثير ٢ / ١١٤ - ١١٥ والواقدي في فتوح الشام ٢ / ١٦١.

(٣) في الطبري ٣ / ٥٣٠ كان سعد لا يستطيع أن يركب ولا يجلس، به حبون (دماميل) فإنما هو على وجهه في صدره وسادة، هو مكب عليها.

قال: فقال لهم: أيها المسلمون! لقد علمت العرب قاطبة عنائي في الحرب، إذا أنا شهدتها والله يعلم ما بي من العلة ولا أريد أن يؤمنكم لقتال عدوكم فقد مضت أربعة أيام وأنا أرجو أن يكون هذا اليوم يوم الفتح إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال: ثم رجع سعد ودخل القصر، ثم صعد على السطح فقعد، ثم جعل ينظر إلى حرب المسلمين، ودنا القوم بعضهم من بعض ودنت الفرس برایاتها وأعلامها في تعبية يا لها من تعبية.

قال: فكان أول من تقدم إلى الحرب من المسلمين جرير بن عبد الله الجبلي، ثم حمل فقاتل فأحسن القتال، وحمل على أثره علي بن جحش العجلي، ثم حمل في أثره إبراهيم بن الحارثة الشيباني، ثم تقدم عمرو بن معد يكرب الزبيدي.

قال: فجعل القوم يقتلون قتالا شديدا حتى قتل من الفريقين مقتلة عظيمة وأثخنوا بالجراحات، وإذا بعسكر لجب قد أقبل من ناحية الشام (١)، فلما نظر المسلمون إليه فزعوا وظنوا أنه كمين للفرس وإذا هو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص قد جاء من الشام بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجه به أبو عبيدة بن الجراح في عشرة آلاف. فلما أشرف هاشم بن عتبة على عسكر عمه سعد بن أبي وقاص عبى من كان معه عشرة كراديس، في كل كردوس ألف فارس، وأقبل هاشم في الكردوس الأول وجعلت الكراديس تأتي كردوسا بعد كردوس ويختلطون بالمسلمين، فلما نظرت الفرس إلى ذلك فزعوا وامتلأت قلوبهم خوفا وفزعا ورعبا، وأقبل القعقاع بن عمرو بن الضبي في آخر الكراديس، فحمل على الفرس قريبا من ثلاثين حملة ليس منها حملة إلا وهو يقتل فيها الرجل والرجلين والثلاثة، فلما نظر إلى ذلك شهريار أخو رستم خرج إلى القعقاع بن عمرو فحمل عليه، وحمل عليه القعقاع فطعنه طعنة في خاصرته جدله قتيلا.

قال: وصاح رجل من المسلمين: أيها الناس! إنه من يسره أن يشهد يوما مثل

---

(١) في مروج الذهب ٢ / ٣٤٣ في اليوم الثاني أشرف على الناس خيول المسلمين من الشام (وانظر ما لاحظناه ص ١٦١ حاشية رقم ١).

يوم بدر وأحد فهذا شبه ذلك اليوم، فجعل عمرو بن معد يكرب يرتجز.
قال: ثم اجتمع وصاح بعضهم ببعض وجعلوها واحدة وجعلوا يطردون الفرس من بين أيديهم كما ترد الكلاب حتى بلغوا بهم إلى شاطئ الفرات، وقد قتل منهم زيادة على عشرة آلاف فارس، وغنم المسلمون غنائم كثيرة من دواب وسلاح وآلة، ثم رجع المسلمون عنهم إلى القادسية.
قال: ومرت الفرس على وجوهها حتى تقاربوا من المدائن فنزلوا هنالك وظنوا أنهم قد أمنوا، فلما أصبح سعد بن أبي وقاص نادى في المسلمين ثم رحلوا في طلب الفرس، والتفتت الفرس فنظروا إلى المسلمين فولوا بين أيديهم ولحقوهم وخالطوهم، وحمل رجل من المسلمين يقال له هلال بن علقمة العقيلي (١) على رستم ليضربه بسيفه وقد عرفه، فرماه رستم بسهم فشك قدم المسلم مع ركابه، وضربه المسلم ضربة فجدله قتيلا، ثم أخرج السهم من رجله ونزل إلى رستم فأخذ التاج وما كان على رستم وتركه قتيلا عريانا واستوى على فرسه.
قال: وصارت الفرس إلى المدائن فاتخذوا طعاما ومزجوه بالسموم لكي يقتلوا بذلك المسلمين إذا نزلوا ساباط المدائن، قال: وعبرت الفرس الدجلة إلى الناحية التي فيها قصر يزدجرد ثم قطعوا الجسور لكيلا يدخل إليهم أحد من المسلمين، قال: وأقبل المسلمون حتى نزلوا ساباط المدائن وقد أضر بهم الجوع والعطش فنظروا إلى طعام كثير وماء صاف قد ملئت به الحياض، فأكلوا وشربوا فلم تضرهم السموم شيئا، وقد ذكر ذلك بعض المسلمين. قال: وأصاب المسلمون هنا لك خزائن يزدجرد مقفلة فكسروا الاقفال ودخلوا الخزائن إذا هم بأسلحة وأموال، فغنم المسلمون ذلك كله، ثم إنهم نزلوا ساباط المدائن وحطوا أثقالهم وأمتعتهم هنالك، ثم أقبلوا حتى وقفوا على شاطئ دجلة والماء يومئذ في منتهى الزيادة، فقال سعد بن

---

(١) في مروج الذهب ٢ / ٣٤٩ من تيم الرباب. وفي الكامل ٢ / ١١٨: هلال بن علقمة. وفي تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٥ والطبري ٤ / ١٣٤ هلال بن علفة. وفي رواية فتوح البلدان ص ٢٥٩: لم يعلم من قاتله. قيل إن زهير بن عبد شمس البجلي قتله وقيل عوام بن عبد شمس وقيل إن قاتله هلال بن علفة التيمي. وفي مروج الذهب: ومنهم من رأى أن قاتله رجل من بني أسد. وفي ذلك يقول شاعرهم عمرو بن شأس أبياتا منها:
قتلنا رستما وبنيه قسرا * تثير الخيل فوقهم الهيالا

أبي وقاص: أيها المسلمون! انزلوا الآن ههنا حتى نعقد جسرا ونعبر، فقال له بعض المسلمين: أيها الأمير! إن الذي حملنا في البر هو قادر على أن يحملنا في البحر، فقال سعد: صدقت أيها الرجل ولكن الماء في منتهى الزيادة على ما ترى، فقال له الرجل: أنا أقتحم أيها الأمير هذه الدجلة بفرسي واثقا بربي، قال: ثم صاح ذلك الرجل بفرسه واقتحم الماء (١).

ذكر عبور المسلمين الدجلة.

قال: ثم اقتحم في أثره الهلقام بن الحارث العتكي، قال: ثم اقتحم في أثره عمرو بن معدي كرب، قال: فلما نظر أهل العسكر بأجمعهم إلى هؤلاء قد اقتحموا الدجلة اقتحموا الدجلة بأجمعهم ورفعوا أصواتهم بالتكبير وجعلوا يقولون: اللهم لا جسر إلا جسرك! وجعلوا يشقون الماء شقا فما ذهب لاحد منهم شئ حتى عبروا بأجمعهم، وعبر سعد بن أبي وقاص معهم.

قال: وكان يزدجرد ملك الفرس ينظر إليهم من منظرة له، فلما رآهم يشقون الماء شقا جعل يقول لوزير من وزرائه: ما هؤلاء من الانس ولا من الجن وما هم عندي إلا مردة الشياطين! قال: ثم بادر ونزل من منظرته وقد كان قدم أمواله وحرمه وقليله وكثيره إلى جلولاء (٢) فاستوى على فرسه وخرج الناس معه ومروا على وجوههم

هاربين حتى صاروا إلى الدسكرة إلى جلولاء فنزلوها، واشتغل المسلمون عنهم بعبور الدجلة.

قال: ثم إن المسلمين عقدوا جسرا ما بين ساباط المدائن إلى سبادس (٣) وعبروا [فأخذوا] ما كانوا خلفوه في ساباط المدائن من الخيل والبغال والحمير والأمتعة. وكتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يخبره

---

(١) في فتوح الشام للواقدي ص ٢٠٠: أول من نزل في الماء عاصم بن ولاد، وفي الكامل لابن الأثير ٢ / ١٣٩ عاصم بن عمرو: (البداية والنهاية ٧ / ٧٥ وفي فتوح البلدان ص ٢٦٣ انتدب رجل من المسلمين فسبح فرسه وعبر فسبح المسلمون. وفي تاريخ خليفة ص ١٣٤ أن أول من أقحم فرسه في دجلة سعد، وقيل: إن أول من عبر هلال بن علفة. ويقال: أول من عبر رجل من عبد القيس).

(٢) جلولاء طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ، قيل سميت جلولاء لما جللها من قتلى فارس (معجم البلدان).

(٣) كذا بالأصل، ولم نجده.

بفتح القادسية والمدائن وسلامة المسلمين وهرب يزدجرد وأصحابه إلى الدسكرة وجلولاء وما والاهما وأنا نازل بالمدائن منتظر ما تأمر به.
قال: فلما ورد كتاب سعد على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فرح لذلك فرحا شديدا وكبر المسلمون، ثم كتب إليه عمر يأمره أن لا يبرح عن المدائن حتى يأتيه أمره وأن يرد الجيش الذي ورد عليه من الشام إلى مواضعهم (١)، وخبره في كتابه بأن الروم قد تحركوا بأرض حمص وأمره أيضا في كتابه أن لا يحدث حدثا وأن لا يتحرك عن المدائن إلى أن يأتيه الخبر من الشام. ثم إنه رد الجيوش التي جاءته من الشام إلى أبي عبيدة بن الجراح.

ذكر فتح المسلمين مدينة حمص من أرض الشام
واجتماع المسلمين عليها.

قال: فلما أن كان بعد فتح المدائن جعل أهل حمص يحصنون مدينتهم ويجمعون الجموع لحرب المسلمين، ثم إنهم كتبوا إلى هرقل ملك الروم فأمدهم بعشرين ألفا من أنطاكية، وأهل حمص يومئذ في نيف على عشرة آلاف. قال: وبلغ ذلك أبا عبيدة بن الجراح، فكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فكتب إليه عمر أن ناجز القوم فقد فرغنا من أمر القادسية والمدائن (٢)، وأن الذي نصرنا على هؤلاء الفرس هو الذي ينصرنا على الروم وغيرهم من أصناف الكفرة، فثق بالله عز وجل واستعن به وناجز القوم وطالعني بأخبارك حتى كأني شاهد بجميع ما أنت فيه.

قال: فعندها نادى أبو عبيدة في الناس بالرحيل إلى حمص، فرحل ورحل المسلمون حتى وافوا مدينة حمص، فنزلها وأحاط بها من كل جانب وناحية، فضيقوا عليهم ومنعوا الميرة عنهم، فلما أضر بهم خرجوا إلى حرب المسلمين في تعبية حسنة وجيش لجب.

---

(١) في الطبري ٤ / ١٩٥ والكامل لابن الأثير ٢ / ١٥٢ لما سمع عمر الخبر (يعني خبر توافد الروم إلى حمص) كتب إلى سعد أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حمص فإن أبا عبيدة قد أحيط به... فمضى القعقاع في أربعة آلاف نحو حمص.
(٢) تقدم أن عمر أرسل إلى سعد يستعجله إرسال جيش الشام، الذي أمده به أبو عبيدة إلى حمص.

قال: ودنا القوم من القوم فاقتتلوا قتالا شديدا، قال: ثم حسر خالد بن الوليد عمامته عن رأسه ثم قال: أيها المسلمون! إني حامل فاحملوا، ثم حمل وحمل المسلمون معه من ناحية شرقية، وحمل أبو عبيدة بن الجراح من ناحية باب الرستن (١)، وحمل عمرو بن العاص من جانب آخر، وخرج عليهم يزيد بن أبي سفيان (٢) من ورائهم ووضع فيهم السيف، فقتل منهم بشر كثير وولوا الادبار حتى دخلوا المدينة وقد ألقى الله عز وجل في قلوبهم الرعب والخوف.

فلما كان من غد أرسلوا إلى أبي عبيدة بن الجراح يسألونه الصلح وذلك أنهم اتقوا الحصار وخافوا على أنفسهم أن يسبوا كما سبي غيرهم، فصالحهم أبو عبيدة على سبعين ألف دينار (٣) عاجلة، وعلى أداء الجزية عن كل محتلم في كل سنة أربع دنانير، وعلى أنهم يضيفون المسلم إذا نزل بهم، وعلى أنهم لا تهدم كنائسهم ولا يخرجون من مدينتهم فرضوا بذلك وكتب لهم أبو عبيدة بهذا الصلح كتابا وأشهد عليه صلحاء المسلمين ودفعه إليهم. قال: وفتح القوم باب المدينة فدخلها المسلمون صلحا قد أمن بعضهم من بعض، فنزل أبو عبيدة مدينة حمص وبث خيله في الغارات يمنة ويسرة. ثم كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنهم.

ذكر كتاب أبي عبيدة بن الجراح
إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما (٤)

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من عامر بن الجراح، سلام عليك! أما بعد فالحمد لله الذي فتح (٥) علينا وعليك أفضل كورة بأرض الشام (٦) وأكثرها خراجا ونفعا وأعظمها على المسلمين فتحا، أخبرك يا أمير المؤمنين إنا قدمنا بلاد حمص وبها من الكفار عدد كثير، فلما حللنا بساحتهم أوهن

---

(١) الرستن: بلدة بين حماة وحمص.
(٢) في فتوح البلدان ص ١٣٧ استخلفه أبو عبيدة على دمشق وقدم إلى حمص.
(٣) في فتوح الأزدي ص ١٤٦ وفتوح البلدان ص ١٣٧ مائة ألف وسبعين ألف دينار.
(٤) نسخته في فتوح الأزدي ص ١٤٦ والوثائق السياسية وثيقة رقم ٣٥٣ / ن ص ٤٦٨.
(٥) الأزدي: أفاء.
(٦) الأزدي: أهلا وقلاعا. وأكثرهم عددا وجمعا وخراجا، وأكبتهم للمشركين كبتا، وأيسرهم على المسلمين فتحا.

الله عز وجل كيدهم، وقلم أظفارهم وألقى الرعب في قلوبهم، فطلبوا منا الصلح وأذعنوا لنا بالجزية، فقبلنا ذلك منهم وكففنا عن قتالهم وصالحناهم على سبعين ألف دينار عاجلة وأداء الجزية بعد ذلك، ثم فتحوا لنا الأبواب واكتتبوا منا الأمان، فأخرجت من ذلك المال الخمس ووجهت به إلى أمير المؤمنين ليقسمه هنالك في حقه وقسمت باقي ذلك على المسلمين، وقد وجهت الجنود في النواحي التي فيها ملكهم وجنودهم الكثيرة، ونحن نسأل الله عز وجل ملك الموت وناصر الجنود أن يعز بنصره المسلمين وأن يخص بالذل المشركين، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال: فلما ورد كتاب أبي عبيدة على عمر رضي الله عنهما أخذ ذلك الخمس فقسمه على المسلمين ثم كتب جوابه (١): بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عامر بن الجراح، أما بعد فقد ورد كتابك تأمرني فيه بحمد الله على ما أفاء علينا من الأرض وفتح علينا من القلاع والحصون ومكن لنا في البلاد وصنع لنا ولكم أبلانا وإياكم البلاء الحسن، فالحمد لله على ذلك حمدا كثيرا له نفاد ولا يحصى له تعداد، وذكرت أنك وجهت جنودك في البلاد التي فيها ملك الروم وطاغيتهم، فلا تفعل! فليس ذلك برأيي، وابعث إلى خيلك واضممها إليك، وأقم مكانك الذي أنت فيه حتى يمضى باقي هذا الحول، ونرى من رأينا ونستعين بالله ذي الجلال والاكرام على أمورنا كلها، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال: فلما ورد كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أبي عبيدة بن الجراح أقبل على أمراء أجناد المسلمين فقال: قد علمتم أني وجهت ميسرة بن مسروق العبسي إلى ناحية من مدينة حلب والدروب والاقدام على ما هنالك من أرض الروم، وهذا كتاب أمير المؤمنين يأمرني فيه أن أصرف الخيل إلى ما قبلي، وإني أتربص باقي هذا الحول حتى يرى أمير المؤمنين رأيه، فهاتوا ما عندكم من الرأي، فقال المسلمون: ما الرأي إلا ما رآه أمير المؤمنين، فلا تعد دون ما أمرك به.

قال: فوجه أبو عبيدة بكتاب إلى ميسرة بن مسروق العبسي (٢): أما بعد فإذا (٣)

---

(١) فتوح الشام للازدي ص ١٤٧ والوثائق السياسية وثيقة ٣٥٣ / من صفحة ٤٦٩.
(٢) الأزدي ص ١٤٨ الوثائق السياسية وثيقة رقم ٣٥٣ / ع.
(٣) الأزدي: فإذا لقيك رسولي فأقبل معه، ودع...

أتاك كتابي هذا فأقبل إلي وذر ما كنت وجهتك له إلى أن نرى ما رأينا وننظر ما يأمرنا به
أمير المؤمنين، والسلام.
قال: فورد كتاب أبي عبيدة على ميسرة وقد شارف أرض حلب، فلما نظر إلى الكتاب أقبل راجعا إلى أبي عبيدة بن الجراح حتى نزل معه مدينة حمص.

ذكر مصير الروم إلى هرقل ملك الروم
وكلامهم له وكلامه لهم وإجماع الروم على المسلمين
وسيرهم إلى ما قبلهم وهي وقعة اليرموك.

قال: وانطلقت البطارقة من أهل حمص إلى هرقل ملك الروم وهو يومئذ بمدينة أنطاكية فخبروه بأنه قد أخذت حمص من أيديهم وقد نزلها العرب، فاغتم لذلك هرقل غما شديدا ثم أقبل على بطارقته فقال لهم: خبروني عن هؤلاء العرب أليس هم بشر مثلكم؟ فقالوا: بلى أيها الملك! قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم بأضعاف كثيرة، قال: فما بالكم تنهزمون من بين أيديهم ولا تثبتون لهم؟ قال: فسكتوا ولم يخبروا جوابا. وتكلم شيخ من عقلائهم فقال: أيها الملك! أنا أخبرك من أين نؤتي، قال: هات فخبرني، فقال: أيها الملك! هؤلاء العرب قوم صالحون ونحن قوم طالحون، فإذا حملنا عليهم فنكذب وهم إذا حملوا علينا لم يكذبوا، قال هرقل: ولم تفعلون ذلك وأنتم أكثر منهم عددا وجمعا وتزعمون أن الحق في أيديكم؟ فقال له الشيخ: أيها الملك! نفعل ذلك لأنهم أفضل أعمالا عند ربهم، وذلك أنهم يصومون النهار ويقومون الليل ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (١)، ونحن أيها الملك! نظلم الناس وننقض العهد ونشرب الخمر ونركب الحرام، ونعمل بالمعاصي ونفسد في الأرض ونأمر بما يسخط الله عز وجل، وننهى عما يرضي الله عز وجل، قال: فقال هرقل: لعمري يا شيخ! إنه لعلى ما تقول، وما صدقني أحد سواك، وليس الرأي عندي إلا أن أخرج عن هذا البلد وأصير إلى غيره فإني أعلم أنه ما لي في أمثالكم من خير إذ كنتم تفعلون هذه الفعال القبيحة، قال: فقال له: أيها الملك! أتترك سورية بلد

---

(١) زيد عند الأزدي ص ١٤٩: ولا يظلمون أحمد، ويتناصفون فيما بينهم. وانظر مقابلة هرقل لبطارقته وقواده فتوح الشام للواقدي ص ١٦١.

الشام وهي جنة الدنيا لهؤلاء العرب وتخرج عنها بلا قتال ولا تعذر وتجتهد؟ فقال له: ويحك يا شيخ! فإلى كم تقاتلهم وأنت تعلم أنا قد قاتلناهم بتدمر وبأجنادين ومرج الأصفر وببعلبك ودمشق وفحل وبلد الأردن وأرض البلقاء (١) حتى أخذوا منكم
مدينة مثل مدينة حمص وهي أفضل كورة لكم بالشام، فقال له الشيخ: أيها الملك! إنه ربما كان ذلك والعساكر تهزم وتهزم، ولكن أشير عليك أن تبعث إلى جميع البلاد ممن هو على دينك فتحشرهم إليك ثم تلقى هؤلاء العرب بجيش عظيم لم تلقهم بمثله فيما مضى من الأيام التي مضت، فان ظهرت فذلك الذي تريد، وإن تكن الأخرى وهزمت علمت الروم أنك قد أبليت عذرا فلا يضعفون لك رأيا.
قال: فعندها كتب هرقل إلى القسطنطينية (٢) وإلى رومية (٣) وعمورية ولهوانة واليعقوبية والسماوية والمسيحية وجماعة مدائن الروم فأمرهم بالمصير إليه. ثم كتب إلى أهل بيت المقدس وإلى قيسارية (٤) وإلى أهل أرمينية والجزيرة أن لا يبقى أحد منهم ممن أدرك الحلم وحمل السلام وكان على دين هرقل إلا صار إليه، فأجابته أهل دين النصرانية من جميع البلاد من أرض الشام وبلاد الشام وكور أرمينية وأرض الجزيرة، فصار في خلق عظيم لا يحصيهم إلا الذي خلقهم، ثم دعا بوزيره الأعظم واسمه ماهان (٥) فتوجه بتاج ووصله بمائة ألف درهم وضم إليه مائة ألف من خواص جيشه ومن الذين يعتمد عليهم ثم قال له: اعلم يا ماهان!
ذكر وصية هرقل ملك الروم
لوزيره الأكبر ماهان في أمر سفره إلى حرب المسلمين.
قال: ثم أقبل هرقل إلى ماهان فقال له: اعلم أني اخترتك مقدما على جميع

---

(١) عند الأزدي ١٥١: وفي غير موطن من المواطن، كل ذلك تنهزمون وتفرون وتغلبون.
(٢) قسطنطينية: كانت دار ملك الروم، بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح، وبينها وبين عمورية ستين ميلا، وعمورية دون الخليج.
(٣) رومية: هناك روميتان، إحداهما بالروم، والأخرى بالمدائن.
ورومية الروم هي مدينة رياستهم وعلمهم وهي شمالي وغربي القسطنطينية بينهما مسيرة خمسين يوما.
(٤) قيسارية: على ساحل بحر الشام، تعد في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام.
(٥) بالأصل باهان، وما أثبتناه عن فتوح الشام للواقدي ١ / ١٦٠. وقد ورد في كل مواضع الأصل (باهان) وعند الأزدي وابن الأثير (باهان).

أهل دين النصرانية (١) فاعمل بما أوصيك به في حق أجنادك، وعليك بالعدل فيهم، والاشفاق عليهم، والاحتراز من عدوهم، والمسارعة لما يقر بهم من مقصدهم، وعدم التشاغل عند الفرصة، والتثبيت عند الحملة، والجهد في صائب الرأي، والحزم فيما يشكل من الأمور، والعمل بما يقتضيه حكم كتابكم، والوفاء بما يمكن فيه الصدق، والعزم على ما يكون فيه الصواب، واعلم بأن النصر مع الثبات والنجاة مع الميل إلى الحق، وعليك بالعمل بما أوصيك به في الرجال أن توقر كبيرهم ولا تحقر صغيرهم وتكون لهم كالأب الشفيق، واعلم أنه أحق بالذل من سمع وصايا الخير ولم يعمل بها وأنه لجدير أن يكون حقيرا في ملكوت السماوات، وقد تبين لكم أن هؤلاء العرب لم ينصروا على سائر الناس إلا بقبول وصايا الخير والرجوع إلى مشورة الأكابر والعقلاء منهم، فهي الوصلة إلى العاجل في تحصيل المطلوب وفي الآجل إلى الفوز من عالم القديسين، وانكم لن تجتمعوا إن هزموكم هؤلاء والعياذ بالله من ذلك! وكل مقتضى كائن، وقد أوصيتك بما لم يوصه ملك من قبل، فإياك ومخالفتي! وإياك وهوى النفس! فإنه أعظم المصائب وبه يدخل على سائر الخلق الآفات والنوائب، وألن جانبك لهم فإنك بهم تصول على أعدائك.

قال: فلما سمع ماهان وصية هرقل خرج من بين يديه، واستعرض الجيش الذي قدمه هرقل عليه وعسكر بهم ظاهر مدينة أنطاكية لتكامل عدتهم، فكان عدة القوم مائة ألف من النصرانية.

ودعا بوزير له آخر يقال له الديرجان (٢)، فتوجه بتاج ووصله بمائة ألف درهم، وضم إليه مائة ألف من النصرانية (٣)، ثم دعا بوزير آخر يقال له قناطر (٤)، فتوجه ووصله بمائة ألف درهم، وضم إليه مائة ألف رجل. ثم جعل ماهان أميرا على جميع أجناده، وأمر الوزراء والبطارقة والأساقفة أن لا يقطعوا أمرا دونه.

قال: وترك هرقل باقي الجنود عنده بأنطاكية، ثم أقبل على بطارقة الروم

---

(١) وكان قد أجابه ملك الروسية قناطير، وملك عمورية جرجير وصاحب القسطنطينية الديرجان وجبلة بن الأيهم الغساني في العرب المتنصرة.

(٢) وهو صاحب القسطنطينية (فتوح الواقدي): عقد له بلواء من الدستري الملون وعليه صليب من الذهب الأحمر.

(٣) عند الواقدي: من المغليط والإفرنج والقلن.

(٤) عند الواقدي: قناطير ملك الروسية.

فقال: ألا تسمعون؟ فقالوا: أيها الملك! قل نسمع وننتهى إلى أمرك، فقال (١): قد علمتم أن هؤلاء العرب قد ظهروا عليكم وغلبوا على أرضكم وأنهم ليسوا يرضون بالأرض والمدائن والقرى ولا الحنطة والشعير ولا الذهب ولا الديباج والحرير، ولكنهم يريدون سبى الأمهات والأخوات والأزواج والبنين والبنات، وأن يتخذوا الأحرار وأبناء الملوك عبيدا، والآن فانصروا دينكم، وقاتلوا عن حريمكم وأولادكم وأموالكم، وامنعوا عن سلطانكم ودار ملككم.

ذكر المشورة التي كانت بين أبي عبيدة بن الجراح وبين المسلمين في أمر الروم.

قال: فجعل هرقل يوصي أصحابه وبلغ ذلك أبا عبيدة بن الجراح فأرسل إلى وجوه عسكره من أهل الصلاح والرأي والمشورة، ثم قال: (٢) أيها المسلمون! إن الله عز وجل قد أبلاكم أحسن البلاء، وصدقكم الوعد وأراكم في جميع المواضع ما تحبون، (٣) ولعله قد بلغكم ما قد جمع هرقل عليكم في هذا الجمع الخطير والعدد الكثير، وهذا ماهان وقناطر والديرجان قد توجهوا نحوكم في ثلاثمائة ألف أو يزيدون، وقد أحببت أن لا أغركم من نفسي وأن لا أطوى عنكم خبرا من عدوكم، وإني أنا كأحدكم، فهاتوا ما عندكم من الرأي حتى أعلم ما تقولون وبما تشيرون.

قال: فتكلم يزيد بن أبي سفيان فقال (٤): أصلحك الله! إني مشير عليك برأي فإن يكن صوابا فذلك أردت وطلبت ونويت، وإن تكن الأخرى فاني لم أتعمد إلا صلاح المسلمين غير أني أرى أن تعسكر على باب حمص في جماعة المسلمين وتدخل النساء والأولاد داخل المدينة وتجعل المدينة من وراء ظهورنا، وتبعث إلى أجنادك من المسلمين الذين فرقتهم بأرض فلسطين وبلاد الأردن فتأمرهم أن يقدموا عليك، فإن سار القوم إلينا قاتلناهم واستعنا بالله عليهم، والسلام.

---

(١) فتوح الأزدي ص ١٥٢ باختلاف بعض الالفاظ. وفتوح الشام للواقدي ص ١ / ١٦٣.

(٢) فتوح الأزدي ص ١٥٣. فتوح الشام للواقدي ١ / ١٦٤ باختلاف بين النصوص.

(٣) الأزدي: وأعزكم بالنصر، وأراكم في كل موطن ما تسرون. الواقدي: وأيدكم بالنصر في مواطن كثيرة.

(٤) فتوح الأزدي ص ١٥٤.

قال: ثم تكلم شرحبيل بن حسنة فقال (١): هذا وقت لا بد فيه من الرأي والنصيحة للمسلمين، فإن خالف الرجل أخاه في الرأي فإنما على كل إنسان أن يجتهد في النصيحة، وقد رأيت غير الذي رأى يزيد بن أبي سفيان، على أن يزيد والله عندي من الناصحين لجميع المسلمين ولكن رأيت أن لا نجعل نسواننا وأولادنا مع أهل حمص فإنهم على دين عدونا هؤلاء الذين أقبلوا إلينا، ولسنا نأمن إن وافانا عدو واستقبلنا لقتالهم أن تنقض أهل حمص عهدنا وميثاقنا فيحتووا على نسائنا وأموالنا، فيتقربون بهم إلى عدونا.

فقال أبو عبيدة: ويحك يا شرحبيل! إن الله تبارك وتعالى قد أذل أهل حمص بالرعب الذي ألقاه الله عز وجل في قلوبهم وسلطاننا اليوم أحب إليهم من سلطان عدونا وإن كانوا على دينهم، فأما إذ قد ذكرت ما ذكرت وخوفتنا منهم بما خوفت فإني قد رأيت أن أخرج أهل حمص من مدينتهم وندخل نسائنا وذرياتنا المدينة ونأمر رجالا من المسلمين أن يقوموا على سورها وأبوابها، ونقيم نحن بمكاننا هذا ونكتب إلى إخواننا فيقدمون علينا. قال: فقال له شرحبيل بن حسنة: أيها الأمير! أصلحك الله عز وجل! إنه ليس لنا أن نخرج أهل حمص من مدينتهم وقد صالحناهم وكتبنا لهم من أنفسنا كتابا بالصلح (٣) ولكن (٤) نقيم في مواضعنا هذه ونكتب إلى أمير المؤمنين كتابا نعلمه فيه بنفر الروم إلينا، فلعله أن يمدنا بإخواننا من أهل المدينة.

قال: فقال أبو عبيدة: ويحك يا شرحبيل! إن الامر أجل وأعجل من ذلك ولا أظن إلا أن الروم سيعاجلوننا من قبل أن يصل خبرنا إلى أمير المؤمنين.

قال: فوثب ميسرة بن مسروق العبسي فقال (٥): أيها الأمير! إنا لسنا بأصحاب قلاع ولا حصون وإنما نحن أصحاب البر: والبلد القفر فسر بنا من هذه المدينة إلى دمشق فإنا أوثق بأهلها منا بأهل حمص، فإذا صرت إليها فاضمم قواصيك واكتب إلى أمير المؤمنين بخبر عدونا وسله المدد فذاك الذي تريدون، وإن تكن الأخرى وعاجلنا

---

(١) فتوح الأزدي ص ١٥٤.
(٢) الأزدي: مقام.
(٣) راجع ما ذكر في كتاب الصلح لأهل حمص، وقد مر قريبا.
(٤) من هنا نسب هذا القول عند الأزدي إلى جماعة قالوا: فقالوا:
(٥) الأزدي ص ١٥٥.

عدونا عاجلناهم واستعنا عليهم بالله العظيم، والنصر من عند الله القوي العزيز.
قال: فقال الناس: إنه قد صدق ميسرة والرأي ما رأى، فاكتب إلى أمير المؤمنين وارحل بنا إلى دمشق.

ذكر كتاب أبي عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يخبر جمع الروم.

قال: فعندنا كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما (١): (بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عامر بن الجراح، سلام عليك! أما بعد فإن عيوني قدموا علي من أرض أنطاكية فخبروني بأن هرقل عدو الله قد أمر بعساكر فصرفت إلى ناحيتنا وقد توجهوا إلينا وزحفوا إلى ما قبلنا، وأنهم قد جمعوا من الجموع ما لم يجمعه أحد قط لامة من الأمم إلا ذو القرنين فيما مضى من الدهر الأول، (٢) وقد بعثت إليك رجلا خبيرا بما نحن فيه، فسله عن ذلك يخبرك الخبر عن جهته، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال: ثم دفع أبو عبيدة كتابه إلى سفيان بن عوف بن معقل الأزدي وقال له: صر إلى أمير المؤمنين وأقرئه مني السلام وخبره بما عاينت وما جاءتنا به العيون من خبر عدونا وبما قد استقر عندك.

قال: فسار سفيان بن عوف إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأصبح أبو عبيدة فنادى في المسلمين بالرحيل وسار بهم إلى دمشق فنزلها.

وقدم سفيان بن عوف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسلم عليه ودفع الكتاب إليه، فلما فضه عمر وقرأه أقبل عليه وقال: ويحك يا سفيان! ما فعل المسلمون؟ فقال: يا أمير المؤمنين! إني خرجت من عندهم ليلا من مدينة حمص وسمعتهم يقولون: نصلي الغداة ونرحل إلى مدينة دمشق فأنا نخاف أن يفاجئنا العدو، ولست أشك إلا أنهم بدمشق في وقتنا هذا، قال: فتبينت الكراهة في وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم قال: ويحك! ولم يتنحون من بين يدي عدوهم

---

(١) فتوح الأزدي ص ١٥٧ الوثائق السياسية ص ٤٧٠.

(٢) عند الأزدي: وقد دعوت المسلمين. وأخبرتهم الخبر، واستشرتهم في الرأي. فأجمع الرأي على أن يتنحوا عنهم حتى يأتينا رأيك.

وقد أظفرهم الله بهم في غير موطن من مواطنهم حتى لم يتركوا لهم أرضا إلا وأخذوها واحتووا عليها وصارت في أيديهم، وإني أخاف أن يكونوا أساؤوا الرأي وجاؤوا بالعجز وجردوا (١) عليهم عدوهم، فقال له سفيان بن عوف: يا أمير المؤمنين! إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، إن صاحب الروم قد جمع لنا جموعا لم يجمعها أحد كان قبله لاحد كان قبلنا، ولقد حدثنا بعض عيوننا أن عسكرا واحدا من عسكرهم نزل في موضع من البرية وقد هبطوا من ثنية من أول النهار فما تكاملوا في موضع حتى أمسوا وذهب أول الليل، وهذا عسكر واحد من عساكرهم فما ظنك بباقيهم يا أمير المؤمنين (٢)! [قال: فقلت] ولكن أشدد أعضاد المسلمين بمدد من عندك قبل الوقعة، فإني أظن أن هذه الوقعة هي الفصل بيننا وبينهم، فإن أظفرنا الله عز وجل بهم هذه المرة فقد هلكت الروم هلاك عاد وثمود. فقال عمر رضي الله عنه: أبشر يا سفيان بما يسرك الله به وجميع المسلمين واعلم أن عامر بن حذيم (٣) قادم عليهم بالمدد سريعا إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ذكر كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح.

أما بعد (٤) فقد بلغني خروجك من أرض حمص وترككم بلادا فتحها الله عز وجل عليكم، فكرهت هذا من رأيكم وفعلكم، غير أني سألت رسولكم عن ذلك فذكر أن ذلك كان من رأى خياركم وذوي النهي منكم، فعلمت أن الله تبارك وتعالى لم يكن بالذي يجمع آراءكم إلا على توفيق وصواب، وقد سألني المدد فأجبته إلى ذلك ولن تقرأ كتابي هذا حتى يأتيكم المدد، وكل ما تحبون مما فيه قوتكم إن شاء الله عز وجل، غير أني أعلمكم أنه ليس بالجمع الكثير والجيش الكثيف تهزم الجموع وينزل النصر، وربما أخذل الله عز وجل الجموع الكثيرة فهزمت وفلت فلم تغن عنهم كثرتهم شيئا، وربما نصر الله عز وجل العصابة القليلة عددها وعددها وأظفرهم

---

(١) في الأزدي: وجرأوا.

(٢) زيد عند الأزدي: فقال: لولا أني ربما كرهت الرأي من رأيهم، والشيء من أمرهم، فأرى الله يخير لهم في عاقبة ذلك لكان هذا الرأي منهم أنا له كاره.
ثم قال لي: أخبرني، أجمع رأي جميعهم على التحويل؟
قال: الحمد لله على ذلك، فإني أرجو أن يكون الله جمع رأيهم على الخير إن شاء الله.

(٣) عند الأزدي: سعيد بن عامر بن حذيم.

(٤) فتوح الأزدي ص ١٥٩ والوثائق السياسية وثيقة رقم ٣٥٣ / ص باختلاف بين النصوص.

وأظهرهم على عدوهم، فأبشروا وطيبوا نفسا وتوكلوا على الله فإنه نعم المولى ونعم النصير، أنزل الله عليكم نصره وأيديكم بعزه وألهمكم صبره وأمدكم بملائكته وباعد من المسلمين بأسه وزجره، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال: فورد الكتاب على أبي عبيدة وهو يومئذ بدمشق، فلما قرأه أقبل على الناس فقال (١): صدق والله أمير المؤمنين! لم يكن الرأي أن نتنحى عن مدينة حمص حتى نناجز عدونا بها، ولكن قد اجتمعت آراؤكم على الرحيل إلى ما ههنا وأرجو أن يكون الخير فيه إن شاء الله.

قال: واجتمعت عساكر المسلمين بدمشق في سبعة وثلاثين ألفا، وقد قدم عليهم عامر بن حذيم في ثلاثة آلاف فارس، فصار المسلمون في أربعين ألفا.

ودعا أبو عبيدة بعمرو بن العاص فضم إليه أربعة آلاف فارس وقال له: سر إلى بلاد الأردن فانزل هناك وارعد وابرق وهول على العدو ما استطعت حتى ننظر في أمر هذا العدو. قال: فسار عمرو بن العاص حتى نزل بلاد الأردن (٢)، ثم أرسل إليهم أن أخرجوا الأسواق وبرئت الذمة من رجل كان مقيما على صلحنا ولم يخرج إلينا بسلاحه فيكون معنا في عسكرنا، قال: وبلغ ذلك أهل بيت المقدس وأهل قيسارية، فظنوا أن عمرو بن العاص يريد الخروج إليهم، فجزعوا لذلك جزعا شديدا.

قال: وبلغ أبا عبيدة بأن ماهان وزير هرقل أقبل في عساكره حتى نزل مدينة حمص في مائة ألف، فاغتم لذلك ثم دعا بجاسوس من جواسيسه فقال له: سر متنكرا حتى تأتي أرض حمص. قال: فأقبل الجاسوس حتى صار إلى حمص وإذا ماهان قد أقبل في ذلك اليوم حتى نزل أرض حمص في مائة ألف فارس، ثم دعا أهلها فشتمهم وخوفهم ثم قال لهم: بماذا سلمتم هذه المدينة للعرب، هلا قاتلتم حتى تموتوا كراما عن آخركم! قال: فقال له أهل حمص: أيها الوزير! أما نحن فقد قاتلناهم أشد القتال ولم يكن لنا بهم طاقة، وأنتم أولى باللائمة منا لأنكم ملوكنا وساداتنا وكبارنا قد رأيناكم قد وثبتم وعجزتم ووهنتم عن دينكم وضيعتمونا

---

(١) نقل الأزدي هذا القول ونسبه إلى خالد بن الوليد.

(٢) خبر عمرو بن العاص في فتوح الشام للازدي ص ١٦٤ وما بعدها باختلاف وتفاصيل وافية.

وتركتمونا للعرب، فلما علمنا أنه لا طاقة لنا بهم رضينا وسلمنا، فقال ماهان: لا عليكم فسيبلغكم ما يمر بهم من هذه الجيوش التي معي.
قال: فرجع الجاسوس إلى أبي عبيدة بن الجراح فخبره بذلك، فدعا برؤساء العسكر فقال: هاتوا ربكم فان القوم قد نزلوا أرض حمص، قال: فتكلم خالد بن الوليد فقال (١): أيها الأمير! إن من الرأي أنا إن كنا نقاتل هؤلاء القوم بالكثرة والقوة فهم أكثر منا وأقوى، وإن كنا نقاتلهم بالله وحده لا شريك له ونحن على هذا الذي نحن عليه فما تغني كثرتهم ولا جموعهم من الله شيئا. قال: ثم تكلم قيس بن هبيرة المرادي فقال (٢): أيها الأمير! هذا وقت رأى نشير به عليك أترانا نرجع إلى بلادنا ومساقط رؤوسنا وتترك لهؤلاء الروم حصونا وديارا وأموالا قد أفاءها الله علينا ونزعها من أيديهم فجعلها في أيدينا، إذ لا ردنا الله إلى أهلنا أبدا إن تركنا هذه العيون المتفجرة والأنهار المطردة والزرع والنبات والكروم والأعناب والذهب والفضة والديباج والحرير والحنطة والشعير ونرجع إلى أكل الضب ولبوس العباءة ونحن نزعم أن قتيلنا في الجنة يصيب نعيما مقيما وقتيلهم في النار يلقى عذابا أليما! أثبت أيها الأمير وشجع أصحابك وتوكل على الله وثق به ولا تيأس من النصر والظفر.
قال: فقال أبو عبيدة: أحسنت يا قيس! ما الرأي إلا ما رأيت وأنا زعيم لك ولا أبرح هذه الأرض حتى يأذن الله لي وهو خير الحاكمين.
ذكر مسير الروم إلى اليرموك ونزولهم هنالك.
قال: ثم سار ماهان من أرض حمص في مائة ألف فارس حتى نزل اليرموك وهو نهر من أنهار بلد الأردن، فلما استقر به الموضع إذا قناطر قد أقبل في مائة ألف فارس حتى نزل به مع ماهان، قال: وإذا بطريق من بطارقة الروم يقال له جرجيس (٤) قد أقبل من عند ملك الروم مددا لماهان في مائة ألف فارس، قال: فصار ماهان في أربعمائة ألف فارس.

---

(١) فتوح الأزدي ص ١٧٠ وذكر له في فتوح الواقدي قولا آخر ١ / ١٦٥.
(٢) فتوح الشام للواقدي ١ / ١٦٤ وفتوح الشام للازدي ص ١٧١.
(٣) عند الواقدي: ونرجع إلى قحط الحجاز وجدبه، وأكل خبز الشعير ولباس الصوف ونحن في مثل هذا العيش الرغد.
(٤) فتوح الأزدي ص ١٨٠ وفتوح الشام للواقدي ١ / ١٧٧ باختلاف النصوص وفيهما زيادة عن الأصل.

وبلغ ذلك أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين فنزل بهم أمر عظيم، وكتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كتابا وفيج اليه فيوجا وفيه كتابه

إليه (٢): أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين أن الروم قد نفرت إلينا برا وبحرا وسهلا وجبلا ولم يخلفوا وراءهم رجلا يطيق حمل السلاح إلا جاشوا به علينا وقد أخرجوا معهم الأساقفة والقسيسين، وقد نزل إليهم الرهبان من الصوامع، ومعهم أهل أرمينية وأهل الجزيرة وجميع من هو على دينهم من المستعربة، وقد زحفوا إلينا ونزلوا بموضع يقال له اليرموك في أربعمائة ألف فارس وراجل، فالله الله يا أمير المؤمنين! عجل علينا بالخيل والرجال وإلا فاحتسب أنفس المؤمنين فقد جاءهم ما لا قبل لهم به إلا أن يمدهم الله عز وجل بملائكته أو يأتيهم الغياث من عنده، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال: فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقرأه لم يتمالك أن بكى وبكى المسلمون بالمدينة ثم قالوا: يا أمير المؤمنين، ابعث بنا إلى إخواننا وأمر علينا وإلا فسر أنت فوالله لئن أصيب إخواننا هنالك فما لنا في العيش من بعدهم أرب. قال: فهم عمر أن ينفر إلى الروم بنفسه ثم إنه لم ير ذلك صوابا وأشار عليه الناس أن يجهز إليهم جيشا ويقيم هو بالمدينة.

قال: ثم أقبل على الرسول الذي جاءه بالكتاب (٢) فقال له: خبرني كم كان بين الروم والمسلمين يوم خرجت إلى ما قبلي؟ فقال: إذا أخبرك يا أمير المؤمنين! بين أدناهم وبين المسلمين مسيرة ثلاثة أيام أو أربع ليال وبين جماعتهم وبين المسلمين خمس ليال. فقال عمر: هيهات! متى يأتي هؤلاء غياثنا؟

ذكر جواب كتاب أبي عبيدة بن الجراح

من عمر بن الخطاب رضي الله عنهما (٣)

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليكم! أما بعد فقد ورد على كتابك يخبرني بنفر الروم إليكم برا

---

(١) زيد في فتوح الأزدي: ورفعوا أيديهم ورغبتهم إلى الله، أن ينصرهم ويعافيهم، وأن يدفع عنهم.

(٢) هو عبد الله بن قرط الأزدي (فتوح الواقدي - فتوح الأزدي).

(٣) فتوح الأزدي ص ١٨٢ فتوح الشام للواقدي ١ / ١٧٨. باختلاف النصوص.

وبحرا وسهلا وجبلا وما قد اجتمع إليهم من أساقفتهم وقسيسيهم والرهبان، والمسلمون حيث بعث الله إليهم نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم فأعزه بالنصر ونصره بالعرب قال
الله عز وجل وهو لا يخلف الميعاد: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (١)، وقد علمت يا أبا عبيدة أنه لم تكن شدة قط إلا وجعل الله بعدها فرجا، فلا يهولنك كثرة من جاءك من الكفار فإن الله تعالى منهم برئ ومن برئ الله منه فلا ناصر له ومن لا ناصر له فقد خذله الله ووكله إلى نفسه. فلا يوحشنك قلة المسلمين وكثرة المشركين، فليس بقليل من كان الله عز وجل معه، فأقم مكانك الذي أثرته وناهض عدوك وكفى بالله ظهيرا ووليا ونصيرا، وقد فهمت مقالتك إذ قلت في كتابك أن احتسب أنفس المسلمين إن هم أقاموا أو دينهم إن هم انهزموا فقد جاءهم ما لا قبل لهم به إلا أن يمدهم الله عز وجل بغياث من عنده، وليس الامر كما ذكرت، رحمك الله يا أبا عبيدة! لأنك قد علمت بأن المسلمين إن هم أقاموا وصبروا ثم قتلوا فما عند الله خير للأبرار، وقد قال الله عز وجل: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) (٢)
وأنتم بحمد الله منصورون على كل حال
إن شاء الله، فأخلصوا نياتكم لله عز وجل وارفعوا إليه رغباتكم واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون.
قال: ثم دفع عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتابه إلى عبد الله بن قرط الثمالي وقال له: عجل السير وأسرع ما قدرت، فإذا قدمت على أبي عبيدة فاقرأه مني السلام وأعلمه أني موجه إليه بجيش قبل أن يواقع العدو إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.
قال: ثم جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه من كان بالمدينة ممن يصلح أن يوجه به إلى العدو وعرضهم فكانوا ثلاثة آلاف فارس فضمهم إلى سويد بن الصامت الأنصاري (٣) وأمره بالمسير إلى أبي عبيدة، ثم أوصاه فقال له: يا سويد! إنك قد وليت أمر هؤلاء القوم ولست بخير رجل منهم إلا أن تكون أتقى منه فاتق الله عز وجل

---

(١) سورة الأعراف: ٣٣.
(٢) سورة الأحزاب: ٢٢.
(٣) في فتوح الأزدي ص ١٨٦ وفتوح الشام للواقدي ١ / ١٨٠ سعيد بن عامر بن حذيم. وانظر فيهما قول عمر بن الخطاب له.

فيهم ولا تشتم أعراضهم ولا تضرب أبشارهم (١) ووقر كبيرهم ولا تحقر صغيرهم، وكن للحق تابعا فإنه إن بلغني عنك ما أحب فكن بعزمك مني ما تحب، فقال سويد بن الصامت: يا أمير المؤمنين! قد أوصيتني فسمعت وأنا أوصيك فاسمع!
فقال عمر: هات ما بدا لك يا سويد! فقال سويد (٢): خف الله عز وجل في الناس ولا تخف الناس في الله، وأحبب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحبه لنفسك (٣)، وألزم الخصم الحجة يكفيك الله عز وجل همك، ويعينك على ما أولاك، ولا تقض في أمرك بقضاء فتلبس الحق بالباطل ويشتبه عليك الامر، وخض الغمرات (٤) حيث كانت، ولا يأخذك في الله لومة لائم. فقال عمر: ويحك يا سويد! من يستطيع هذا العمل؟ قال: يستطيعه من وضع الله في عنقه مثل الذي وضعه في عنقك (٥).
قال: ثم نادى سويد بن الصامت هذا في الناس فقال: تهيئوا للمسير إلى إخوانكم المسلمين بأرض الشام، فأما أن تدلجوا وإما أن تصلوا وترحلوا فإني راحل إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.
قال: وسار سويد بن الصامت في هؤلاء الثلاثة آلاف حتى قدم على أبي عبيدة بن الجراح قبل أن يقدم عليه كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسر المسلمون بقدوم سويد بن الصامت عليهم سرورا شديدا، فصار أبو عبيدة في ثلاثة وأربعين ألفا.
وبلغ ذلك ماهان صاحب الجيش فأرسل إلى بطارقته ورؤساء أصحابه ثم قال (٦): يا معشر ولد الأصفر! اعلموا أن هؤلاء القوم قد نزلوا بلادكم وركبوا دوابكم وأكلوا من طعامكم ولبسوا لباسكم، فالموت عليهم أيسر من أن يفارقوا ما قد تطمعوا به من عيشكم الرفيع ودنياكم التي لم يروا مثلها، واعلموا أنكم إنما بليتم بهؤلاء

---

(١) بالأصل: أيشارهم، وما أثبتناه عن فتوح الأزدي، والابشار جمع بشر بالفتح وهو الانسان ذكرا أو أنثى.
(٢) فتوح الأزدي ص ١٨٦.
(٣) زيد عند الأزدي: وأكره لقريب المسلمين وبعيدهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك.
(٤) عند الأزدي: خض الغمرات إلى الحق حيث علمته.
(٥) زيد عند الأزدي: فهو جدير عليك ألا تفعل، إنما عليك أن تأمر فيطاع أو يعصى، فتبوء بالحجة، ويبوء القوم بالمعصية.
(٦) انظر مقالته في فتوح الأزدي ص ١٧٤ باختلاف النص.

العرب ودخلوهم إلى بلادكم بترككم وصية المسيح عيسى بن مريم، لأنه قد كان أوصاكم بأن لا تظلموا الناس وأنتم تظلمون الناس، ونهاكم عن الفجور وأنتم تفجرون، ونهاكم عن الكذب وأنتم تكذبون، ثم إنكم نزلتم بقوم أعززتم عليهم فأخذتم أموالهم وفجرتم بنسائهم، فخيروني ماذا يكون عذركم عند ربكم؟ وماذا تقولون للمسيح عيسى بن مريم وقد تركتم أمره وضيعتم وصيته وما كان يتلو عليكم من
كتاب ربكم؟ وبعد فهذا عدوكم قد نزل بساحتكم ويريد قتلكم واستيصالكم وسبي نسائكم وأولادكم وأخذ أموالكم، فإن نزع سلطانكم من أيديكم وأظهر عليكم عدوكم فلا تلوموا إلا أنفسكم (١)، وبعد فقد بلغني المظلوم منكم يأت الرجل من بطارقتكم وساداتكم فيستعديه على ظالمه فلا يعديه، ويتظلم إليه فلا ينصره عليه لكنه يأمر بضربه وربما أمر بقتله (٢)، فعجبا لأفعالكم هذه كيف لا تنهد لها الجبال وتزلزل منه الأرض وترعد السماوات بخطاياكم هذه العظام! واعلموا يا ولد الأصفر أن هؤلاء المظلومين ينصرهم الله وينتصف لهم، فإن فعل ذلك في الدنيا وإلا ففي الآخرة، لأنه لا يفوته ظلم ظالم ولا يعزب عن علمه بر ولا إثم، فإن أنتم كففتم عن الظلم وارتدعتم عن الفجور وقبلتم ما أمركم به المسيح عيسى بن مريم رجوت لكم أن تنصروا هؤلاء العرب وإلا فأيقنوا بالذل والهوان، واعلموا أنكم إن لم تؤمنوا بما أقول لكم فأنتم عندي أشر من الكلاب والخنازير وأسوء حال من البغال والحمير، ولقد سخط الله عز وجل على أعمالكم وأنا منكم برئ، وسترون عاقبة الظلم إلى ماذا يوردكم وإلى أي شئ مصيركم يؤول!

فضجت البطارقة من كل ناحية وقالوا: أيها الوزير! فإنا بعد هذا اليوم سامعون مطيعون لا نخرج لك عن أمر تأمرنا به، فأشر علينا برأيك وأمرنا بما تحب من أمرك.

فقال ماهان: أما في وقتي هذا فقد رأيت أن أبعث إلى هؤلاء العرب فأسألهم أن يبعثوا إلينا رجلا منهم يكون له فهم وعقل ورأى يعلم ما يقول ويقال له فنكلمه، ونطمعهم في شئ من أموالنا نعطيهم إياه فيأخذونه ويرجعون إلى صاحبهم الذي بعثهم إلى حربنا، فإن أجابوا إلى ذلك وقبلوه كان الذي يأخذونه منا قليلا عند ما نخاف على أنفسنا من هذه الوقعة التي لا ندري ألنا تكون أم علينا، فقالت البطارقة:

---

(١) زيد عند الأزدي: فمن الظالم إلا أنتم؟ فاتقوا الله وانزعوا عن ظلم الناس.

(٢) وكان قد بلغه أن الروم أقبلت وجعلوا يفسدون في الأرض، ويسيئون السيرة، وجعلوا لا يفيقون من شرب الخمر والزنا (ذكر الأزدي بعض أفعالهم ومساوئهم ص ١٧٥ وما بعدها).

أصبت وأحسنت أيها الوزير فاعمل برأيك.
قال: فلم يشعر المسلمون إلا ورجل من الروم قد وافاهم، فلما نظروا إليه في عسكرهم أنكروه ثم دنوا منه فقالوا: من أنت ومن أين أقبلت؟ فتلكم بالعربية فقال: أنا رجل من الروم من أهل عمورية، بعثت إليكم فأين أميركم أبو عبيدة بن الجراح؟ فقالوا: هو ذاك؟ وأقبلوا به إلى أبي عبيدة حتى أوقفوه بين يديه، فقال له أبو عبيدة: اجلس وتكلم بحاجتك.
قال: فجلس الرومي فقال: أنا رسول ماهان إليكم وزير ملك الروم وعامل على بلاده وقائده على جميع جنده، بعثني إليكم وهو يسألكم أن تبعث إليه بالرجل الذي كان أميرا قبلك ثم عزل ووليت أنت من بعده الذي يقال له خالد بن الوليد (١)، فقد بلغه عنه أنه رجل له حسب وقد علمنا أن ذوى الأحساب أفضل من غيرهم، فنحن نحب أن نخبره بما نريد ونسأله عما تريد، فإن وقع بيننا وبينكم اتفاق لنا ولكم فيه صلاح ورضى أخذنا به وحمدنا الله عز وجل على ذلك، وإن لم يتفق بيننا وبينكم شئ كان الحرب (٢) من وراء ذلك بعد الاعذار والانذار.
قال: فدعا أبو عبيدة بخالد بن الوليد فخبره بذلك (٣)، فقال خالد بن الوليد: فإني صائر إليه غدا إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.
قال: وحضرت صلاة المغرب فأذن المؤذن من كل ناحية وصلوا، حتى إذا فرغوا من صلاتهم قال خالد: علي بالرسول، فأتوا به فقال له: هذا وقت مساء ولكن إذا كان غدا غدوت إلى صاحبك إن شاء الله فارجع إليه وأعلمه ذلك. قال: فقعد الرومي عند القوم ولم يبرح وجعل ينظر إليهم كيف يصلون ويدعون ويستغفرون

---

(١) عند الواقدي في فتوح الشام ١ / ١٨٤ أن مهمة جرجة الأساسية كانت تنحصر في محاولة إدخال خالد بن الوليد على معسكر الروم بعد ما نقل جبلة بن الأيهم إلى ماهان أنه أدهى وأخطر القواد المسلمين وأنه هو الذي يثبتهم ويرمي بهم كل المرامي وهو الذي كسر عساكر الروم في شتى المواضع والمواطن.
(٢) عند الأزدي: القتل.
(٣) زيد عند الأزدي ص ١٩٥ وقال لخالد: القهم، فادعهم إلى الاسلام فإن قبلوا فهو حظهم... وإن أبوا فأعرض عليهم الجزية بأن يؤدوها عن يد وهم صاغرون، وأن أبوا فأعلمهم أننا نناجزهم ونستعين الله عليهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين (وانظر فتوح الشام للواقدي ١ / ١٨٥).

ويتضرعون، فأعجبه ذلك منهم. فقال عمرو بن العاص: أيها المسلمون! إن الرسول قد وقع في قلبه حب الايمان، وقال أبو عبيدة: والله! إني لأرجو أن يكون الله عز وجل قد قذفه في قلبه وحببه إليه وعرفه فضله.
قال: ثم أقبل الرومي على أبي عبيدة فقال: يا شيخ! خبرني متى دخلتم في هذا الدين ومتى دعيتم إليه؟ قال: منذ بضع وعشرين سنة. قال الرومي: إن كلكم دخلتم في هذا الدين في وقت واحد؟ قال أبو عبيدة: لا، ولكن منا من دخل فيه حين دعاه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومنا من دخل فيه بعد ذلك، قال: فخبرني هل كان نبيكم خبركم أن يكون بعده نبي رسول؟ قال أبو عبيدة: لا، ولكن خبرنا أنه لا نبي بعده، وخبرنا أيضا أن عيسى بن مريم قد بشر به قومه، فقال الرومي: وأنا أشهد على عيسى ابن مريم أنه قد بشر في الإنجيل براكب الجمل الأحمر ولا أظنه إلا صاحبكم ولكني أحب أن أعلم ما تقولون في عيسى بن مريم! فقال أبو عبيدة: نقول فيه كما قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وآله (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) (١)، وقد خبرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيما أنزل عليه من ربه أنه قال جل وعز: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) (٢) إلى قوله تبارك وتعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله [ولا] الملائكة المقربون (٢)) قال الرومي: أنا أشهد لنبيكم أنه صادق (٣) وأنكم صادقون ولكن إن أنا أسلمت وجاهدت معكم تضمنون لي الجنة؟ فقال له أبو عبيدة: أو تعرف الجنة يا رومي؟ قال: وكيف لا أعرفها وقد وصفها لنا عيسى ابن مريم في الإنجيل! قال أبو عبيدة: فنحن نضمن لك على الله تبارك وتعالى أنك إن أسلمت وصليت وصمت وجاهدت ولم تغير ولم تبدل فإنك من أهل الجنة إن شاء الله تعالى، قال الرومي: اشهدوا علي بأجمعكم أني من المسلمين، فقال أبو عبيدة: إنك إن أقمت عندنا الليلة ومضى رسولنا إليهم غدا احتبسوه عندهم لأجلك ولكن انطلق إليهم واكتمهم إسلامك

---

(١) سورة آل عمران: ٥٨.
(٢) سورة النساء آية ١٧٠ وآية ١٧١.
(٣) زيد عند الأزدي: وأنه الذي بشرنا به عيسى.
(٤) وكان الرومي قد دعا أبا عبيدة لان يحضر إليه رجلين من أفضل أصحابه فدعا أبو عبيدة معاذ بن جبل وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.

حتى يمضي رسولنا إليهم وننظر علام تنصرم الأمور بيننا وبينهم، فإذا رجع رسولنا إلينا رجعت بعد ذلك إلينا فما أكرمك علينا وأرغبنا في مثلك. [وما أنت عند كل امرئ منا إلا بمنزلة أخيه لامه وأبيه] (١).

قال: فمضى رسولهم إلى ماهان فقال: أيها الوزير! قد أبلغتهم رسالتك وغدا يأتيك رسولهم.

ذكر مسير خالد بن الوليد إلى ماهان [وزير]
ملك الروم وما كان بينهما.

قال: فلما أصبح خالد بن الوليد وعزم على المسير إلى ماهان أمر بقبة حمراء (٢) اشتراها بثلاثمائة ألف درهم، فضربت له قريبا من معسكرهم، ثم ركب خالد وركب معه ميسرة بن مسروق العبسي وسارا جميعا (٣) حتى نزلا على باب القبة، ثم دخل خالد إلى قبته فجلس وجلس معه ميسرة بن مسروق، ووقف غلام ميسرة على باب القبة يمسك فرسيهما.

قال: وأمر ماهان أن يصف لخالد عشرة صفوف من الروم عن يمينه وشماله مقنعين في الحديد وعليهم الدروع والمغافر والجواشن (٤) والبيض (٥) والسواعد لا يرى منهم إلا الأحداق (٦)، قال: وقعد ماهان على كرسي من ذهب، على رأسه تاج من ذهب مرصع بالجوهر، وقد فرشت بين يديه البسط والنمارق، وعلى رأسه غلمان من أبناء الروم في أيديهم أعمدة الذهب والفضة.

قال: ثم أرسل إلى خالد فدعاه، فخرج خالد من قبته وجعل يمشي ويسحب

---

(١) زيادة عن فتوح الأزدي ص ١٩٨. وانظر قصة إسلام جرجة في الطبري باختلاف ٣ / ٣٩٩.
(٢) وكانت من الأديم الطائفي وفيها شمعات من الذهب الأحمر وحليتها من الفضة البيضاء (فتوح الشام للواقدي ص ١٨٥).
(٣) في فتوح الشام للواقدي: استركب معه مئة فارس من المهاجرين والأنصار، وذكر أسماء بعضهم (١ / ١٨٥).
(٤) الجواشن: الدروع.
(٥) البيض: السيوف.
(٦) قال الأزدي: إنما أراد بذلك أن يريه حدة الروم وعددهم ليرعبه بذلك، وليكون ذلك أسرع إلى ما يريد أن يعرض عليه.

سيفه، وميسرة بن مسروق العبسي عن يساره، قال: وكان خالد رجلا طويلا مهيبا جميلا لا ينظر إليه أحد من الناس إلا هابه.
قال فأقبل حتى إذا دنا من ماهان قام إليه ماهان فقربه وأدناه وأجلسه إلى جنبه، وجلس ميسرة بن مسروق إلى جانب خالد فقال ماهان: من هذا الذي أراه معك؟
قال خالد: هو بعض إخواني جئت به معي أستشيره في أمري.
قال: فكلمه ماهان بلسان عربي فصيح مبين (١)، قال (٢): يا خالد! إني إنما اخترتك من أصحابك لأنك من ذوي الأحساب فيما بلغني، وإن لك عقلا كاملا والعاقل ينتفع بكلامه ويوثق بعهده، فقال خالد: إن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا في بعض أخباره أن حسب الرجل دينه ومن لا دين له لا حسب له، وأما قولك إني قد أوتيت عقلا كاملا، فان المنة والطول لله عز وجل علينا بذلك وهو المحمود عندنا وقد خبرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآله أنه ما خلق الله عز وجل شيئا هو أحب إليه من العقل، وبالعقل تنال طاعة الله عز وجل وبه يدخل أهل الجنة الجنة، ومن لا عقل له فلا وفاء له.
قال: فقال له ماهان: يا خالد! أنت بهذا عندي أعقل الناس، (٣) لا يتكلم بهذا الكلام ولا يفطن له إلا كل كامل العقل، فكيف جئت بهذا الرجل تريد أن تستشيره في الأمر؟ فقال له خالد: لا تعجب من ذلك، ففي عسكرنا أكثر من ألف (٤) رجل لا يستغني عن رأيه ومشورته، فقال ماهان: ما كنا نظن أن ذلك يكون عندكم، قال خالد: ليس كلما تظنونه ونظنه صوابا، فقال ماهان: صدقت يا خالد! وإني أول ما أكلمك به إني أدعوك إلى خلتي ومصافاتي، قال خالد: وكيف يتفق ذلك وبيني وبينك الحرب وقد جمعتني وإياك بلدة؟ ولا بد من القتال عليها أمدا أو تصير إلى أحدنا! فقال ماهان: صدقت! ولكن عسى الله أن يصلح ذات بيننا فلا يراق بيننا دم ولا يقتل بيننا أحد، قال خالد: إن شاء الله أن يفعل ذلك فعلا. قال

---

(١) عند الأزدي: كان بينهما ترجمانا. وعند الواقدي كالأصل.
(٢) خبر لقائهما عند الأزدي ص ٢٠٠ باختلاف بسيط. وعند الواقدي ١ / ١٨٦ وفيه اختلاف كبير. وزيادة.
(٣) عند الأزدي، أعقل أهل الأرض.
(٤) عند الأزدي: (ألفي) وعبارة الواقدي ١ / ١٨٨ نعم بهذا أمر الله عز وجل نبينا (ص) فقال الله تعالى (وشاورهم في الامر) وقال (ص): ما ضاع امرؤ عرف قدره، ولا ضاع مسلم استشار.

ماهان: فإني أريد أن ألقى الحشمة بيني وبينك فأكلمك بكلام الأخ لأخيه، قال خالد: قل ما تشاء، قال: إن قبتك قد أعجبتني جدا فأنا أحب أن تهبها لي وتسألني ما أحببت فإنها أشرف شئ رأيته عندكم، قال خالد: فإني قد وهبتها لك ولست أريد منك شيئا.

فأرسل ماهان غلمانه إلى القبة فأخذوها، ثم أقبل على خالد فقال: إن شئت تكلمنا بما تريد وإن شئت نكلمك بما نريد، فقال خالد: أما أنا فإني لا أسألك إلا وقد علمت ما أريد، لأنه ليس يخفى عليك ولا على صاحبك هرقل ما لقيت أجنادكم منا بأجنادين ومرج الصفر ودمشق وفلسطين وفحل وحمص وبعلبك وغير ذلك، وأما أنت فلست أريد ما تريد، فتكلم بما أحببت إن شئت ذلك، فقال ماهان (١):

الحمد لله الذي جعل نبينا أفضل الأنبياء وملكنا أفضل الملوك وأمتنا خير الأمم،

قال: فقطع عليه خالد كلامه وقال (١): الحمد لله الذي نؤمن بنبينا ونبيكم ونقر بكتابنا وكتابكم وجعل الأمير الذي علينا كبعضنا، فلو زعم أنه ملك علينا لعزلناه ولسنا نرى له فضلا علينا إلا أن يكون أتقى منا وأبر، والحمد لله الذي جعلنا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونقر بالذنب ونستغفر الله عز وجل منه، ونعبد (٢) الله عز وجل ولا نشرك

به شيئا.

قال: فتغير وجه ماهان ثم قال: الحمد لله الذي أبلانا أحسن البلاء وأغنانا من الفقر، ونصرنا على الأمم، وأعزنا فلا نذل، ومنعنا من الضيم فلا تباح لنا حرم، ولسنا في ذلك بطرين ولا مرحين ولا على الناس باغين، وقد كان لنا منكم يا معشر العرب جيران صدق، وكنا نحسن جوارهم، ونعظم أقدارهم (٣)، ونتفضل عليه (٤)، ونفي لهم بالعهد (٥)، فينزلون في بلادنا حيث شاؤوا آمنين ويرحلون آمنين، وكنا نظن أن جميع العرب ممن لا يجاورونا يشكرون لنا ذلك لما كنا نأتي من الاحسان إلى إخوانهم، وأنتم من العرب فلم تشكروا فعلنا باخوانكم واصطناعنا لهم، لكنكم فاجأتمونا بالخيل والجنود، فقاتلتمونا عن حصوننا وديارنا، وتريدون أن

---

(١) الأزدي ص ٢٠٢، فتوح الشام للواقدي ١ / ١٨٦.
(٢) الأزدي: وتعهد (أي أمتنا).
(٣) الأزدي والواقدي: (قدرهم.
(٤) الأزدي والواقدي: عليهم.
(٥) الواقدي: بالوعد.

تغلبونا على بلادنا، وقد طلب هذا منا قبلكم من كان أكثر منكم عددا وعددا، وأقوى منكم جيشا وجندا، فرددناهم منا على أعقابهم فلم ينقلبوا منا إلا وهم من بين قتيل وأسير وشريد وطريد، ولقد أرادت منا هذا الذي تريدون أنتم منا، فلعله قد بلغكم ما نزل بهم منا، وبعد فإنه لم تكن أمة من الأمم من أهل المشرق، والمغرب أقل (١) منكم
عندنا شأنا ولا أصغر أقدارا وأخطارا، لأنكم رعاة الشاة والإبل وأهل الصخر والحجر والصوف والوبر، وأنتم الان في ذلك تطمعون أنفسكم أن نخلى (٢) لكم البلاد، فبئس ما ظننتم، ولقد كنا نظن أنكم إنما أتيتمونا إلى هذا البلد لجهد نزل بكم من جدوبة الأرض وقحط المطر، فإذا أنتم قد استوطنتم بلادنا، وركبتم مراكبنا الذي ليست كمراكبكم، ولبستم ثيابنا الذي ليست كثيابكم، وأصبتم نساء ليست كنسائكم السود المهازيل لكنهم بنات الأصفر البيض الخدود الكريمات الجدود التي وجوههن كأنهن صفائح الفضة البيضاء، ثم إنكم طعمتم طعاما ليس كطعامكم وملاتم أيديكم من الذهب والفضة والمتاع الفاخر من الحرير والديباج وغير ذلك، وبعد فهذا كله لنا في أيديكم ونحن نسلمه لكم، فخذوه وانصرفوا إلى بلادكم، وإن أنتم أبيتم ذلك وشرهت أنفسكم إلى غير ذلك فإنا نزيدكم من بيوت أموالنا ما نقوى به الضعيف منكم ونرى الغائب منكم قد رجع إلى أهله بخير، نأمر (٣) لأميركم عمر بن الخطاب بعشرة آلاف دينار، ولاميركم أبي عبيدة بخمسة آلاف دينار، ولك بمثل ذلك، ونأمر لمائة رجل من رؤسائكم لكل رجل منهم بألف دينار، ولسائر من معكم من الجنود بمائة دينار، ولرجالتكم لكل رجل منهم بخمسين دينارا على أن نأخذ عليكم العهود والمواثيق والايمان المغلظة، وأنكم تنصرفون عنا ولا ترجعون إلى بلادنا أبدا، فهذا ما عندي وقد عرضت عليك ما عندي، فهات ما عندك الآن وقل ما بدا لك وإياك الاشتطاط.

ذكر كلام خالد بن الوليد لماهان وجوابه.

قال خالد: الحمد لله! قال ماهان: نعم ما قلت! قال خالد: وأشهد أن لا إله إلا الله! قال ماهان: نعم ما قلت! قال خالد: وحده لا شريك له! فسكت ماهان

---

(١) الأزدي: أرق عندنا منكم، الواقدي: أحقر شأنا.
(٢) الأزدي: نجلي لكم عن بلادنا، بئس ما طمعتم فيه منها.
(٣) ثمة اختلاف بين نصي الأزدي والواقدي، في الأعطيات، عن الأصل.

ولم يقل شيئا، قال خالد: وأشهد أن محمدا عبده ورسوله! قال ماهان: والله ما أدري أمحمد رسول الله أم لا، ولعل ذلك كما تقول، قال خالد: وبعد فإني فهمت كلامك ولم يخف علي منه شئ فأما ما ذكرت به قومك من الغني والعز ومنع الحريم والظهور على الأعداء والتمكن في البلاد فنحن به عارفون، وأما ما ذكرت من إنعامكم على جيرانكم من العرب فقد عرفناه منكم وإنما كان ذلك أمرا تصلحون به دنياكم، وإحسانكم إليهم إنما كان زيادة في ملككم (١) لان عامتهم قد دخلوا في دينكم فهم يقاتلون معكم، وهذا جبلة بن الأيهم الغساني هو رجل من العرب غير أنه مقيم معكم في جميع بني عمه المتنصرة فهو أشد علينا منكم، وأما ما ذكرتنا به من رعي الإبل والشاة فليس فينا أحد يكره ذلك وليس لمن لم يرع عندنا فضل على من رعى، وأما ما ذكرتنا به من الصخر والحجر والصوف والوبر فحالنا والله كما ذكرت (٢) ولقد كنا أسوأ حالا مما ذكرت وأقل وأذل في عيون الناس، وذلك أن الله عز وجل أنزلنا أرضا ليس بها أنهار جارية ولا زرع ولا خير، وإنما هي مهامه (٣) وقفار، وكنا كما ذكرت أصحاب حجر وصخر وشاة وبعير، وعيش نكد وفقر شديد، نقسم بالأزلام ونسجد للأصنام، نقطع أرحامنا ونسئ إلى إخواننا، ونقتل أولادنا خشية إملاق، ونعبد من دون الله أوثانا نتخذها بأيدينا من الحجارة التي نتخيرها على أعيننا، وهي لا تضرنا ولا تنفعنا ولا تنصرنا ولا تسمع ولا تبصر ونحن عليها عاكفون (٤)
ولها مطيعون، فبينما نحن كذلك على شفا حفرة من النار من مات منا كان مشركا بربه
قاطعا لرحمه صار إلى النار ومن بقي بقي على سخط من الجبار إذ بعث الله عز وجل رسولا من أنفسنا وصميمنا وأشرافنا وكرمائنا وأخايرنا، فدعانا الله إلى الله عز ذكره وحده
لا شريك له وأمرنا أن نخلع الأنداد التي نعبدها من دونه وأن لا نجعل لربنا صاحبة ولا ولدا ولا نشرك معه أحدا ولا نعبد من دونه نارا ولا حجرا، ولا شمسا ولا قمرا، وأمرنا أن نقاتل من زعم أنه ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة حتى يقولوا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، فإن قلتم ذلك فقد حرمت علينا دماؤكم

---

(١) زيد عند الأزدي: وعزا لكم. وعبارة الواقدي: وإنما فعلتم ذلك إبقاء لنعمتكم ونظرا منكم لأنفسكم وذراريكم وزيادة لكم في مالكم وعزا لكم.
(٢) الأزدي: كما وصفت.
(٣) المهامه جمع مهمه، وهي المغارة البعيدة والبلد القفر.
(٤) الأزدي: مكبون. الواقدي: عليها مكبون ولها حاملون.

وأموالكم إلا بحقها وأنتم إخواننا في ديننا وشركاؤنا في حظنا، وإن أنتم أبيتم ذلك فأدوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، فإن أبيتم ذلك فقاتلناكم على بصيرة ويقين أنه من قتل منا كان حيا عند الله شهيدا مرزوقا ومن قتل منكم كان كافرا وصار إلى النار مخلدا فيها أبدا، فاختر الان يا ماهان ما أحببت (١) واعلم أنه قد جاءك قوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة فأخرجوا بنا على بركة الله حتى نحاكمكم إلى الله فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

قال: فقال ماهان: يا خالد! أما ما ذكرت أنا ندخل في دينكم فهذا ما لا يكون أبدا، فلا تطمع نفسك في ذلك، فما أبعدكم أن تروا ولد الأصفر وقد تركوا دينهم ودين آبائهم ودخلوا في غيره، وأما ما ذكرت أنا نؤدي الجزية فإنه سيموت من ترى من هذا الخلق قبل أن يؤدوا الجزية، وكيف يؤدونها وهم يأخذونها من الناس على الصغر والقمأة، وأما قولك: اخرجوا حتى نتحاكم إلى الله، فلعمري ما جاءك هذا الخلق إلا ليحاكموك إلى الله، وأما قولك إن الأرض لله يورثها من يشاء، فقد صدقت يا خالد! إنما كانت هذه الأرض لامة كانت من قبلنا قاتلناهم عليها حتى أخذناها منهم واحتوينا عليها، وكذلك تصير هذه الأرض إلى غيرنا، فابرزوا على بركة الله فإنا خارجون إليكم إذا عزمتم (٢).

قال: فوثب خالد بن الوليد من بين يدي ماهان فاستوى على فرسه وانطلق إلى أبي عبيدة بن الجراح ومعه ميسرة بن مسروق، فقص على أبي عبيدة ما كان من كلامه وكلام ماهان، ثم قال للمسلمين: استعدوا للقتال، قتال أعداء الله فقد قرب الامر وليكن معولكم على الله وحده لا شريك له فيه، فاعتصموا وعليه فتوكلوا.

قال: وكتب ماهان من ساعته إلى ملك الروم يخبره بخبر خالد وحال المسلمين وما جرى بينه وبين خالد بن الوليد من الكلام، وفي كتابه: أيها الملك! إني (٣) أرغبتهم فليس يرغبون وأطمعتهم فليس يطمعون وخوفتهم فليس يخافون، وليس

---

(١) في الواقدي والأزدي زيادة فيها يعرض خالد على ماهان الاسلام وأن أبي فالجزية وان أبي فالحرب.

(٢) راجع فتوح الشام للواقدي ص ١٨٩ - ١٩٠ ففيه يتحدث عن نهاية اللقاء بن خالد وماهان والتوتر الذي خيم على وداعهما.

(٣) عند الأزدي ص ٢٠٨ هذا قول ماهان لأصحابه عندما جمعهم يستشيرهم بالامر. وهو ما كتب إليه به في
كتاب مطول انظر ص ٢٠٩.

يريدون إلا استئصالنا وذهاب سلطاننا وأخذ أموالنا وسبى نسائنا وأبنائنا وليس في عسكري أحد أيها الملك إلا هو طيب النفس بالموت دون بلاده وسلطانه.
قال: ثم وجه ماهان بكتابه إلى ملك الروم، وأقبل على بطارقته وقال لهم:
كيف الرأي عندكم اليوم في قتال هؤلاء العرب؟ فقال له بعض بطارقته: أيها الوزير! أنت تعلم أن جاسوسك قد أقبل من عندهم فأخبرك أنهم في أربعين (١) ألفا ويزيدون قليلا ونحن أكثر منهم (٢) بأضعاف كثيرة لأننا نزيد على أربعمائة ألف، والرأي عندي أن نخرج إليهم في كل يوم مائة ألف رجل منا يقاتلونهم (٣)، فإذا كان من غد خرج إليهم غير أولئك الذين قاتلوهم بالأمس يقاتلونهم هؤلاء ويستريح هؤلاء فيراح عليهم أبدا ونفنيهم عن آخرهم، إن انهزم منا مائة ألف كان وراءهم مائة ألف ومائة ألف ومائة ألف على هذا الشأن. فقال ماهان: قولوا غير هذا، فقال بطريق آخر: عندي مشورة أوجز من هذه، فقال ماهان: قل حتى أسمع، فقال: الرأي عندي أن نخرج إليهم بأجمعنا إذا خرجوا إلينا وصافقونا خرج إلى كل واحد منهم عشرة منا فنأخذه أخذا، فقال: ويحك! فكيف ينفرد الرجل من أصحابه حتى يؤخذ؟ هذا لا يكون، ولكني قد رأيت أن نخرج إليهم بأجمعنا خرجة واحدة ثم نضاربهم ونناجزهم فلا نرجع حتى يحكم الله عز وجل بيننا وبينهم، فقال عامة البطارقة: الرأي ما رأيت أيها الوزير.
فعزم ماهان على ذلك ثم كتب إلى هرقل ملك الروم (٤): أما بعد أيها الملك! إن أصحابي بأجمعهم قد أجمعوا على مناجزة العرب وقد اجتمع رأيي على النهوض إليهم في يوم كذا وكذا، وهو يوم لنا فيه الخيرة، وإني أخبرك أيها الملك أني رأيت في منامي كأن آتيا أتاني فقال لي: يا ماهان! لا تقاتل هؤلاء العرب (٥) فإنك إن قاتلتهم هزموك وأهلكوك، فلما انتبهت علمت أن ذلك من قبل الشيطان فأخسأته ولم ألتفت إليه، وبعد أيها الملك فإني أشير عليك أن توجه أموالك وحرمك إلى قسطنطينية وتثبت أنت بمدينة أنطاكية وتكون مخفا وتنتظر وقعتنا هذه، فإن أظهرنا الله

---

(١) عند الأزدي: ثلاثين ألفا أو أقل أو أكثر قليلا.
(٢) عند الأزدي: عشرة أضعافهم.
(٣) عند الأزدي: وتستريح البقية وتسرح بعيالنا وأثقالنا إلى البحر فلا يكون معنا شيء يهمنا ولا يشغلنا.
(٤) نسخة الكتاب عند الأزدي ص ٢٠٩.
(٥) الأزدي: القوم.

عز وجل على العرب وظفرنا بهم حمدت الله سبحانه وتعالى على ذلك إذا أعز دينك ومنع سلطانك، وإن هم ظهروا علينا فارض بقضاء الله وقدره واعلم أن الدنيا كما زالت عمن كان قبلك فإنها تزول عنك فلا تأسفن منها على ما فاتك والحق بدار ملكك ومعقلك وأحسن إلى رعيتك يحسن الله إليك وارحم الضعفاء والمساكين وتواضع لله عز وجل وإياك والتكبر في الأرض فإن الله لا يحب المتكبرين.

قال فبعث هرقل أمواله وحريمه وكل ما يعز عليه إلى القسطنطينية، وجعل يتجسس أمر العرب ويكتب إلى وزيره ويحرضه على القتال ويوصيه بأمر أصحابه من الروم ويذكرهم ما مضى لهم مع العرب من الوقائع الأول ويقول لهم إن أنتم هزمتم منهم فلن تسكنوا الشام بعدها واحذروا أن تبغوا على ضعفائكم بظلم، واعلموا أن النصر مع الصبر وأن العاقبة لأهل الدين القديم، وأنا أقسم بما أعتقده أن العرب إنما [لم] ينصروا إلا بما أظهرتم من القبائح والمظالم، ولو تبصرتم لعلمتم أنما خذلكم سوء أعمالكم لا غير.

قال: فلما بلغ ذلك إلى وزيره ماهان أخذ في تعبية جيشه، ولما فرغ ماهان من تعبية الجيش وقد رتب طلائعه (١) ودراجته ثم أمر له بمضرب، فضرب له على كثيب عال إلى جانب اليرموك يشرف منه على عسكره وعسكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأوقف عن يمينه ألفي فارس من حماة الروم في سوابغ السلاح وألفي فارس عن يساره وعليهم الديباج الأحمر المنسوج بالذهب لا يرى منهم إلا حماليق الحدق وهم أصحاب السرير، وأمرهم باليقظة وقال لهم: إني قد كدت العرب بهذه الفعال لأنكم على أهبة، فإذا طلعت الشمس ورأيتم المسلمين على غير أهبة وتعبية الحرب فاحملوا عليهم من كل جانب ومكان.

قال: حدثني جعال بن أسيد السكاسكي عن أبيه أسيد بن علقمة (٢) وكان من أصحاب عياض بن غنم الفهري (٣) قال: لما رأيت ماهان قد عبى أصحابه وعسكره

---

(١) صف له عشرين صفا لا يرى طرفاهم، ثم جعل على ميمنته وميسرته فجعل ابن قناطير على ميمنته، وجعل معه جرجير في أهل أرمينيا وجعل الدرنجار في ميسرته. (الأزدي ص ٢١٠ وانظر فتوح الشام ١ / ١٩٢ - ١٩٣).

(٢) الخبر في فتوح الأزدي ص ٢١٢ عن راشد بن عبد الرحمن الأزدي.

(٣) عن ابن سعد وانظر أسد الغابة ٤ / ١٦٥ وبالأصل الأشعري تحريف.

كنا نحن في عسكرنا وليس عندنا مما صنع الكافر خبر، قال: فلما انشق الفجر وتقدم أبو عبيدة وصلى بالناس وهو لا يعلم بمكيدة ماهان فقرأ في الركعة الأولى (والفجر * وليال عشر) حتى أتى إلى قوله (إن ربك لبالمرصاد (١)) فهتف به هاتف: ظفرتم بالقوم ورب الكعبة! وما يغني عنهم كيدهم شيئا وما أجرى الله هذه الآية على لسان أميركم إلا بشارة لكم، فلما سمع المسلمون الهاتف عجبوا، ثم قرأ في الركعة الثانية (والشمس وضحها) إلى قوله (فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوها (٢)) وإذا الهاتف يقول: ثم الفأل وصح الزجر، هذه علامة النصر، فلما فرغ أبو عبيدة من الصلاة قال: معاشر المسلمين! هل سمعتم من الهاتف ما سمعت؟ قالوا: سمعنا قائلا يقول كذا وكذا، قال أبو عبيدة: هذا والله هاتف النصر وبلوغ الامر، فأبشروا بنصر الله ومعونته، فوالله! لينصرنكم الله العظيم عليهم.

ثم قال: معاشر المسلمين! إعلموا أني رأيت البارحة رؤيا تدل على النصر على الأعداء والنصر من إله السماء، فقالوا: ما الذي رأيت؟ قال: رأيت كأني واقف بإزاء عدونا من الروم فحينئذ مر بي رجال عليهم ثياب بيض لم أر مثلهم، وحسن بياضهم وإشراق نورهم يغشى الابصار، وهم على خيول شهب. فلما أخذوا مصافهم قالوا للرجال منا - منهم من أعرف ومنهم من لا أعرف -: تقدموا إلى عدوكم ولا تهابوهم فإنكم الأغلبون والله ناصركم، ودعوا برجال منكم وسقوهم من كأس معهم فيه شراب، وكأني أنظر إلى عسكرنا وقد دخلوا إلى عسكر الروم، فلما رأونا ولوا بين أيدينا منهزمين. فقال المسلمون: أصلح الله الأمير وبشرك بالخير.

فقام رجل من خولان (٤) فقال: أصلحك الله أيها الأمير! وأنا أيضا رأيت البارحة رؤيا كأننا خرجنا نحو عدونا فضايقناهم في الحرب وإذا قد انقضت عليهم من السماء طيور (٥) لها أجنحة خضر ومخاليب كمخاليب العقبان (٦)، فجعلت تنقض

---

(١) سورة الفجر الآيات من ١ - ١٤.
(٢) سورة الشمس الآيتان: ١١ و ١٢.
(٣) عند الأزدي: الأعلون. وعند الواقدي: فإنكم غالبون.
(٤) عند الأزدي ص ٢١٣: أبو مرثد الخولاني (ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدرا وانه سكن الشام). وعند الواقدي: فقال رجل من المسلمين.
(٥) الأزدي: طيرا بيضا عظاما. وعند الواقدي: طيور بيض لها أجنحة خضر.
(٦) الأزدي: (الأسد) عند الواقدي: (النسور).

عليهم انقضاض العقبان، فإذا جاءت الطيور واحدا منهم ضربته فقطعته قطعا، ففرح المسلمون بتلك الرؤيا وقال بعضهم لبعض: أبشروا قد أمنكم من عدوكم بالنصر وأيدكم بالملائكة تقاتل معكم كما فعلت بكم يوم بدر.

وفرح أبو عبيدة وقال: هذه رؤيتان حسنتان وهو حق يقين. فقال له رجل من المسلمين: أيها الأمير! ما وقوفك عن هؤلاء الاعلاج الكلاب وأيش انتظارك بالحرب، وعدونا قد كادنا بمطاولته وما تأخر عنا إلا ليلة يريد أن يوقعنا فيها، فقال أبو عبيدة: إن الامر أقرب من هذا وما تظنون.

قال سعيد بن رفاعة الحميري: وكنت رجلا ما كنت قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم ولا كنت نظرت إليه، فلما أتاني داعي أبي بكر الصديق رضي الله عنه استنفرنا للقتال والغزاة للروم، فنفرت فيمن نفر وقدمت إلى المدينة مع قومي من حمير ونظرت إلى أبي بكر وهو يصلي بالناس في محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلزمت

الصلاة معهم ولم أسر إلى قتال الروم، فلما ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حرض على الجهاد، فسرت إلى قتال الروم وشهدت وقعة اليرموك، وذلك أني كنت لا أفارق أبا عبيدة رضي الله عنه، فصلى بنا صلاة الفجر وإذا بالهاتف قد هتف، إذ سمعنا بأصوات قد علت والزعقات من كل جانب ومكان قد ارتفعت وان الروم قد رجفت إلينا، فعلم أبو عبيدة أن المسلمين قد كبسوا في وجه السحر، فقام وقمنا وكان على الحرس تلك الليلة سعيد إذ أقبل وهو ينادى: النفير النفير! حتى وقف أمام أبي عبيدة ومعه رجل من المتنصرة، فقال: أيها الأمير! إن ماهان قد كاد المسلمين بتخلفه عن الحرب وها هو قد عبى عسكره وصف جيوشه (١) وزحف إلينا زحف يريد الكبسة لنا ونحن على غير أهبة ولا عدة وها هو قد أقبل إلينا زاحف، وقد أتانا رجل راغب فينا يحذر الناس من بأسه ويزعم أن ماهان قد أقبل بجيوشه وقد اتفق مع بطارقته أنهم يقاتلونا (٢)، كل يوم ملك من ملوكهم بمن معه يؤم هذا، وقد نظر المسلمون إلى راياتهم والقوم قد قربوا منهم والصلبان تدنو.

فقال أبو عبيدة: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إنا لله وإنا إليه

---

(١) راجع ص ١٩٥ حاشية رقم ١.

(٢) تقدم أن ماهان اتفق مع بطارقته وأصحابه على أن يخرجوا خرجة واحدة فيناجزوا المسلمين فيها ثم لا يرجعون عنهم حتى يحكم الله بينهم.

راجعون، ثم قال: أين أبو سليمان خالد بن الوليد؟ فأجابه بالتلبية، فقال: أنت يا أبا سليمان أبرز إلى الكفار في أبطال المسلمين وصد عن الحريم إلى أن تأخذ الرجال صفوفها ويستعدوا للحرب (١)، فقال: حبا وكرامة.
ثم إن خالدا صاح بأبطال المسلمين المذكورين، وجعل يدعو برجل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد معه المواطن والمواضع المفضلة وأصحاب
التقدمة، حتى دعا بخمسمائة فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخافون لومة
لائم، ثم استقبلوا جيوش المشركين بأسنة الرماح وأشعلوا الحرب بنارها، واشتغل أبو عبيدة بترتيب الجيوش وتعبية العسكر.
وأقبل أبو سفيان إلى أبي عبيدة وقال: أيها الأمير! مر النساء يعلون على هذا التل، فأمرهن أبو عبيدة بذلك فعلت النساء على التل ومعهن الأطفال
والصغار، وقال لهن أبو عبيدة: خذن بأيديكن أعمدة السيوف وأعمدة البيوت والفساطيط وأجمعن الحجارة بين أيديكن وحرضن المؤمنين على قتال المشركين، فإن كان الامر لنا فكن على ما أنتن عليه، وإن رأيتن أحدا من المسلمين منهزما فاضربن وجهه بأعمدة البيوت واضربنه (٢) بالحجارة وادفعن إليه أولاده وقلن له: قاتل عن ولدك وعن بيعة الاسلام، فقالت النساء: أيها الأمير أبشر بما يسرك.
قال (٣): ولما حصن أبو عبيدة النساء بالتل أقبل يعبى جيشه، وقد ابتدر المسلمون للقتال بعد أن عبأهم ميمنة وميسرة وقلبا، وجناحين، وقدم أصحاب الرايات، وكانت راية المهاجرين صفراء وفيها بياض وخضرة وسواد، وسائر القبائل

---

(١) عند الواقدي ١ / ١٩١ قال أبو عبيدة لخالد: قد وليتك على الخيل والرجل فول أمر الرجالة من شئت.
وقد قرر المسلمون ألا يخرجوا إلى الروم إلا أن يأتوهم حتى يلطوا بعسكرهم أو يضطروهم إلى ذلك. وكانوا قد رأوهم كأنهم الجراد قد ملأوا الأرض، فنهضوا عندئذ إلى راياتهم دون تعبئة. ثم راح أبو عبيدة وأصحابه يعبئون الناس وصفوفهم ولم يزالوا كذلك حتى أصبحوا. وقال الأزدي ص ٢١٧ وجعل (أبو عبيدة) على ميمنته معاذ بن جبل، وعلى ميسرته قباث بن أسيم، وجعل على الرجالة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وجعل على الخيل خالد بن الوليد. (وانظر فتوح الشام للواقدي ١ / ١٩١ - ١٩٢ وما قاله الطبري في تعبئة المسلمين يوم اليرموك ٣ / ٣٩٦).
(٢) عند الواقدي ١ / ٢٠٣ واحصبنه.
(٣) خبر تعبئة أبي عبيدة للمسلمين في فتوح الشام للواقدي ١ / ٢٠٣.

راياتهم مختلفة الألوان، وجعل المهاجرين والأنصار في القلب وأظهر المسلمون السلاح، وجعل العسكر ثلاثة صفوف: صف فيه الرماة من أهل اليمن، وصف فيه أصحاب السيوف والحجف، وصف فيه الرماح والخيل والعدة، وقسم الخيالة ثلاثة صفوف وقدم عليهم ثلاثة من فرسان المسلمين: أحدهم غياث بن حرملة العامري، والآخر نبلة (١) بن سيف اليربوعي، والثالث القعقاع بن عمرو التميمي، ووقف المسلمون تحت راياتهم، ووقف أبو عبيدة رضي الله عنه في القلب تحت رايته التي عقدها أبو بكر الصديق له يوم مسيره إلى الشام وهي راية رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢)، وكان
خالد بن الوليد تحت رايته العقاب وكانت سوداء، وكان على الدراجة شرحبيل بن حسنة، وعلى الميمنة يزيد بن أبي سفيان، وعلى جناح الميسرة قيس بن هبيرة المرادي، وكانت الأزد في ذلك اليوم في القلب، وحمير وهمدان ومذحج وخولان وخثعم وكنانة وقضاعة ولخم وجذام وحضرموت ميمنة وميسرة، ولم يكن فيهم تيم ولا ربيعة (٣) لأنهم كانوا في العراق مع سعد بن أبي وقاص.
فلما ترتبت الصفوف صار أبو عبيدة بين الصفوف وجعل يحرض الناس على القتال ويقول (٤): إن تنصروا الله ينصركم، فلازموا الصبر فإن الله يحب الصابرين، ولا تحدثوا حدثا حتى آمركم، ثم رجع إلى مقامه ووقف في القلب. وخرج من بعده معاذ بن جبل فطاف محرضا للناس ويقول (٥): يا أهل الدين! اعلموا رحمكم الله! إنه لا تنال الآخرة إلا بالعمل والنية، وجعل يقول: أيها الناس! غضوا أبصاركم واجثوا على الركب وشرعوا الرماح، وإذا حملوا عليكم فامهلوهم وإذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا في وجوههم وثوب الأسد إلى فريستها، ولا يهولنكم جموعهم ولا عددهم، ثم إنه عاد فوقف في مكانه.
ولم تغن مكيدة ماهان شيئا، ورجعت الروم إلى ورائها حين نظروا إلى
خالد بن الوليد وقد زحف إليهم في خمسمائة فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحاروا لذلك ورجعوا.

---

(١) عند الواقدي: مسلمة.
(٢) زيد عند الواقدي: الصفراء التي سار بها يوم خيبر.
(٣) في فتوح الأزدي ص ٢١٨: لم يحضرها يومئذ أسد ولا تميم ولا ربيعة.
(٤) قارن مقالته مع فتوح الشام للازدي ص ٢١٨ وفتوح الواقدي ١ / ٢٠٣.
(٥) قارن مع الأزدي ص ٢١٨ والواقدي ١ / ٢٠٣.

ولما اصطفت الصفوف صرخ ماهان في الروم صرخة عظيمة وقال: ويلكم! ما يوقفكم عن الحرب والقتال؟ ازحفوا إليهم! فحملت الروم على المسلمين.
ونظر خالد بن الوليد إلى جيش عظيم عرمرم وجواشن تلمع وسيوف تشرع، وكان قد انفرد منهم ثلاثون ألفا من عظماء الروم وفرسانهم، وحفروا لهم في الميمنة حفائر ونزلوا فيها وشدوا خيلهم بالسلاسل، واقترن كل عشرة في سلسلة التماسا للحفيظة (١) وأن لا يفروا وحلفوا بعيسى ومريم والصليب أن لا ينهزموا أو يقتلوا العرب
عن آخرهم.
فلما نظر خالد بن الوليد إلى ما صنعوا قال لمن حوله من جيش الزحف: هذا يوشك أن يكون يوما عظيما (٢)، ثم قال: اللهم! أيد المسلمين بالنصر وافرغ عليهم الصبر. ثم أقبل إلى أبي عبيدة وقال: أيها الأمير! إن الروم قد اقترنوا بالسلاسل وزحفوا إلينا بالعمد والقواضب، قال أبو عبيدة: اعلم أن عدد القوم كثير وما ينجيكم إلا الصبر.
ثم قال لخالد: ما الذي تراه من الرأي يا أبا سليمان؟ فقال: اعلم أن ماهان قد قدم حامية أصحابه أمام جيشه وصفهم أمام المسلمين، قال: وكان ماهان قد قدم أمام الروم من ذكرت شجاعته وعرفت براعته واشتهر في بلادهم بالثبات وهم مائة ألف فارس، فلما رآهم خالد بن الوليد وشاهد تعبيتهم ونظر إليهم شهد لهم أنهم من أهل الشدة (٣)، قال لأبي عبيدة: إن من الرأي أن توقف في مكانك الذي أنت فيه سعيد بن زيد وقف من ورائه بإزائه في ثلاثمائة من أصحابك فإذا علم المسلمون أنك من ورائهم استحيوا من الله تعالى ثم منك أن لا ينهزموا.
قال: فقبل أبو عبيدة مشورة خالد ودعا بسعيد بن زيد - وهو أحد العشرة الذين بايعوا النبي تحت الشجرة - فأوقفه مكانه. ثم انتخب أبو عبيدة مائتي فارس من فرسان المسلمين وفيهم رجال من المهاجرين [والأنصار] (٤)، ووقف بهم من وراء الصف بحذاء سعيد بن زيد.

---

(١) عند الواقدي ١ / ٢٠٤ التماسا لحفظ عسكرهم.
(٢) بالأصل: يوم عظيم.
(٣) عند الواقدي: شهد لهم بالفروسية وأنهم من أهل الشدة.
(٤) عن الواقدي ١ / ٢٠٥.

قال ورقا بن مهلهل - وكان صاحب راية أبي عبيدة: أول من فتح
باب الحرب يوم جيش السلاسل غلام من الأزد حدث السن، فقال لأبي عبيدة: أيها الأمير! إني قد أردت أن أشفي قلبي وأجاهد عدوي وعدو الاسلام وأبذل نفسي في طاعة الله عز وجل لعلي أرزق الشهادة فهل تأذن لي في ذلك؟ وإن كان لك حاجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرني بها، فبكى أبو عبيدة رضي الله عنه وقال: أقرئ محمدا
عني السلام وخبره أنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا.
قال: فألوى الغلام الأزدي رأس جواده وحمل يريد الحرب، فحمل عليه علج من الروم تام من الرجال على فرس أشهب، فلما رآه الغلام دلف (٢) نحوه، وقد حبس نفسه في سبيل الله تعالى، فلما قرب منه حمل عليه (٣) الغلام الأزدي حملة منكرة، فطعنه في صدره خرج السنان من ظهره، وأخذ عدته وجواده وسلم ذلك إلى رجل من قومه ثم إنه عاد وطلب البراز، فخرج إليه ثان فقتله، وثالث ورابع فقتلهم، وخرج إليه خامس فقتل الأزدي رحمة الله عليه.
فغضبت الأزد عند ذلك لأجل قتل صاحبهم ودنوا من صفوف الروم، فعندها أقبلت الروم وزحفت كالجراد المنتشر حتى دنا طرفهم من ميمنة المسلمين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، عندها نادى معاذ بن جبل (٤): معاشر المسلمين! إن أعداء الله
وأعداءكم قد زحفوا إليكم فتأهبوا للحملة، واعلموا أن الله معكم فثبتوا أنفسكم بالصبر والصدق واللقاء والنصر من الله تعالى، ثم لحظ السماء بطرفه وقال: اللهم إياك نعبد وإياك نستعين، ولك نوحد ولا نشرك بك شيئا، وإن هؤلاء الأعداء يكفرون بك وبآياتك، اللهم فانصرنا عليهم يا من قال في كتابه العزيز (واعتصموا بالله هو مولكم فنعم المولى ونعم النصير) (٥).
قال: فبينما معاذ بن جبل (٤) يدعو إذ حملت ميمنة الروم على المسلمين، وذلك

---

(١) عن الواقدي. وانظر فيه خبر الغلام الأزدي ١ / ٢٠٥.
(٢) عند الواقدي: قصد.
(٣) زيد عند الواقدي: قال:
لابد من طعن وضرب صائب * بكل لدن وحسام قاضب
عسى أنال الفوز بالمواهب * في جنة الفردوس والمراتب
(٤) عند الواقدي ١ / ٢٠٥: فقال أبو عبيدة.
(٥) سورة الحج: آية ٧٨.

أن ماهان بعث إلى ميسرة الروم - وكان على الميسرة الديرجان - وقال له: الملك يقول لك: احمل على ميمنة المسلمين بأصحابك، قال: فحمل على الميمنة وكان فيها الأزد ومذحج وحضرموت [وخولان] (١)، فصبر المسلمون وقاتلوا قتالا شديدا، وثبتوا احتسابا، فحملت عليهم كتيبة ثانية، فصبروا لهم صبرا جميلا، فحملت عليهم كتيبة ثالثة، فزال المسلمون عن الميمنة، وانكشفت طائفة من الناس إلى العسكر وثبتت منهم طائفة ثباتا حسنا، قاتلوا تحت راياتهم.

وانكشفت (٣) لهم يومئذ زبيد وهم في الميمنة وعليهم الحجاج بن عبد يغوث قال عكاشة بن مازن: وكان عليهم قيس بن هبيرة، وزبيد قد انهزمت، فابتدر عمرو بن معدي كرب وهو مقدم على زبيد، وهو الأمير فيهم وهم يعظمونه لما سبق من شجاعته في الجاهلية، وكان يوم اليرموك قد مر له من العمر مائة وعشرون سنة إلا أن همة الشجاعة فيه متيقظة. قال: فلما نظر إلى قومه قد انكشفوا صاح فيهم: يا آل زبيد! يا آل زبيد! أتفرون من الأعداء أترمون أنفسكم بالعار والذلة والشنار؟ فما هذا الانزعاج من كلاب أعلاج؟ أما علمتم أن الله يطلع على المجاهدين الصابرين، فإذا نظر إليهم قد لزموا الصبر في مرضاته وثبتوا لقضائه أمدهم بنصره وأيدهم به، فأين تهربون من الجنة؟ أرضيتم بالعار وغضب الجبار [ودخول النار] (٤).

فلما سمعت زبيد كلام سيدها عمرو بن معدي كرب الزبيدي تراجعوا (٥) إليه كعطفة الام، واجتمعوا من حوله وحملوا على الروم حملة واحدة، وحملت معهم حمير وحضرموت وخولان، فأزالوا الروم على مواضعهم، وحملت دوس على المشركين مع قيس بن هبيرة، (٦) فهز رايته وجعل يحرض الناس على القتال هذا ودوس حملت حملة ودارت الحرب كما تدور الرحى وتكاثفت جموع الروم على

---

(١) عن الأزدي والواقدي.
(٢) عند الأزدي: المعسكر.
(٣) عند الأزدي: (لم تنكشف). وسياق الخبر يظهر انكشافهم وانظر الواقدي ١ / ٢٠٥.
(٤) عن الواقدي.
(٥) عند الواقدي: رجعوا إليه وعطفوا عليه عطفة الإبل على أولادها.
(٦) عند الواقدي ١ / ٢٠٦ مع أبي هريرة.
(٧) انظر مقالته عند الواقدي ١ / ٢٠٦ والأزدي ص ٢٢٥.

المسلمين على ميمنتهم، فألقوهم إلى القلب، فصبر لهم المسلمون صبرا عظيما.
قال: ودفعت عليهم كتيبة أخرى فانهزمت ميمنة المسلمين راجعة على أعقابها والخيل ناكصة بأذنابها، فخرجت راجعة مكسورة على رأسها ونظرت النسوان إلى خيول المسلمين منهزمة فنادت النساء: يا بنات العربيات! دونكن والرجال، ردوهم عن الهزيمة والكسرة!
قالت سعداء (١) بنت عاصم الخولاني: كنت مع النساء يومئذ على التل، فلما انكسرت الميمنة صاحت بنا لبني بنت جرير الحميرية (٢) وكانت من المترجلات البازلات، نادت بالنساء: يا بنات العربيات! دونكن والرجال! فاحملن أولادكن على أيديكن واستقبلتهن بالصياح والتحريض. قال: فأقبلت النساء يرمين الدواب بالحجارة، وجعلت ابنة العاص بن منبه تنادى: قبح الله وجه رجل يفر عن خليلته! وجعلت النساء يقلن لبعولتهن: لستم لنا ببعول إن لم تمنعوا عنا الاعلاج.
قال: وكانت خولة بنت الأزور وخولة بنت ثعلب (٣) الأنصاري ولعوب (٤) بنت مالك بن عاصم وسلمى بنت هاشم ونعيمة (٥) بنت فياض وهند بنت عتبة بن ربيعة وإبانة (٦) بنت جرير الحميرية وهي أمام النساء والمزاهر معهن وهن يقلن هذه الأبيات:

يا هاربا عن نسوة ثقات * لهم (٧) جمال ولهم (٧) ثبات
تسلمهم طرا إلى الهنات * تلك نواصيهم (٨) مع البنات
أعلاج سوء فسق عتات * ينلن منا أعظم الشيات (٩)

---

(١) عند الواقدي ١ / ٢٠٦: سعيدة.
(٢) عند الواقدي: عفيرة بنت غفار.
(٣) الواقدي: ثعلبة الأنصارية. وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن الدخشم (في الإصابة: الاجشم).
(٤) الواقدي: كعوب.
(٥) الواقدي: نعم.
(٦) الواقدي: لبنى.
(٧) الواقدي ١ / ٢٠٦ لها.
(٨) الواقدي: تسلموهن إلى.. تملك نواصينا.
(٩) الواقدي: الشتات. وعند الأزدي ص ٢٢٣.
يا هاربا عن نسوة تقيات * رميت بالسهم وبالمنيات
فعن قليل ما ترى سبيات * غير حظيات ولا رضيات

قال: وجعلن يحرضن على القتال، فرجع المسلمون رجعة عظيمة عند ما سمعوا من تحريض النساء.
قال: وصرخت هند بنت عتبة وفي يدها مزهرها بين الصفين تحرض المسلمين على القتال وهي تقول الشعر الذي قالته في يوم أحد وهي هذه الأبيات:
نحن بنات طارق * نمشى على النمارق
مشى القطا الموافق * ان تقبلوا نعانق
أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق
كل كريم عاشق * يحمى عن العواتق
تعنى بقولها (بنات طارق) النجم زحل، وتقول في قولها: نحن المخدرات اللواتي لا نبرز من البيوت إلا بالفسق.
ثم استقبلت خيل ميمنة المسلمين فرأتهم منهزمين فصاحت بهم: إلى أين تفرون من الله وجنته وهو مطلع عليكم؟ ونظرت إلى أبي سفيان وهو منهزم فضربت وجه حصانه بعمودها، وقالت: إلى أين يا بن صخر؟ ارجع إلى القتال وابذل مهجتك حتى يمحص الله عنك ما سلف من تحريضك على رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال
الزبير بن العوام: لما سمعت كلام هند لأبي سفيان ذكرت يوم أحد ونحن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تحرض المشركين بهذا الشعر على قتال المسلمين، فتعجبت
من ذلك وقلت: لك الحمد، اللهم تفعل ما تشاء، سبق علمك في خلقك ولا يعلم الغيب غيرك. قال: فعطف أبو سفيان عندما سمع من كلامها وعطف المسلمون معه ونظروا النساء قد حملن معه، فلقد رأيتهن وهن يسابقن المسلمين وهن بين أرجل الخيل، ولقد رأيت الامرأة تقبل إلى العلج العظيم وهو على فرسه متعلق به فلا تفارقه حتى تنكسه عن الجواد ثم تقتله، وتقول: هذا بيان نصر الله. قال الزبير: فحمل والله المسلمون حملة صعبة لا يريدون بها غير وجه (١) الله عز وجل، وقاتلت الأزد مع أبي هريرة رضي الله عنه قتالا شديدا حتى فشا فيهم القتل فأصيب منهم خلق كثير إلا أنهم لقوا الصدمة بأنفسهم، فاستشهد منهم ما لم يستشهد من غيرهم من القبائل.

---

(١) عند الواقدي ١ / ٢٠٧ رضا الله.

قال سعيد بن زيد بن عمرو: كان القتال في الميمنة شديدا، ننهزم مرة ونعود ساعة ونصبر ساعة [و] نتأخر.
قال: فنظر خالد بن الوليد إلى الميمنة وقد مالت إلى القلب، فصاح بمن معه من الخيل ومال عليها وهو في زهاء ستة آلاف فارس فكبر وكبروا وحملوا على الروم، فأنكى فيهم خالد نكاية عظيمة حتى كشف أعداء الله المشركين عن الميمنة والقلب إلى مواضعها من قومه دون خمسمائة فارس، وجعل يحمل حملات متداركات ويضرب ضربات هائلات وهو ينادي (١): يا أهل الايمان! أفرارا من الموت؟ الصبر الصبر! فتراجع أصحابه (٣) إليه وحمل عند رجعتهم على الأرمن فردهم على أعقابهم، وجعلوا يضربون وجوههم بالسيوف، ويطعنون فيهم بالرماح ويرشقونهم بالنبال حتى أصابوهم.
ثم رجع شرحبيل إلى مكانه ودار (٤) به أصحابه وأقبل بعضهم على بعضهم يقولون: ما لكن حتى انهزمتم أمام هؤلاء الكفرة وأنتم البررة أهل القرآن وعباد الرحمن؟ أما سمعتم قول الله في كتابه العزيز (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله) (٥) الآية.
قال: ونظر قيس بن هبيرة إلى خيل شرحبيل قد ارتجفت (٦)، فخرج فيمن معه وحمل على العدو وهو ينادي بشعاره، فسمع خالد بن الوليد شعار قيس وأصحابه، فخرج خالد من وراء الجموع ونادى هو وأصحابه بشعارهم - وكان شعارهم: يا نصر الله انزل! يا نصر الله انزل! وكان هذا شعار المسلمين يوم أحد، وحمل خالد على الروم من ذات الشمال، فقتل منهم مقتلة عظيمة وجال المسلمون في الروم جولة منكرة، فلله در الزبير بن العوام وهاشم [بن المرقال] وخالد بن الوليد [لقد] حملوا حملة شديدة حتى قربوا من سرادق ماهان وخيامه.

---

(١) جاء نداء خالد بن الوليد بعدما نظر إلى فرسانه ورآهم متبددين. انظر نداءه عند الواقدي ١ / ٢٠٧.
(٢) كذا بالأصل، وهذا النداء عند الواقدي هو لشرحبيل بن حسنة نادى به لما حمل عليه وعلى أصحابه جرجير الأرمني في ثلاثين ألفا (فتوح الشام للواقدي ١ / ٢١٣).
(٣) أي أصحاب شرحبيل (الواقدي) وهذا ما يوضحه سياق الفقرة التالية.
(٤) بالأصل: وداروا.
(٥) سورة الأنفال: الآية ١٦.
(٦) الواقدي: تراجعت.

فلما نظر ماهان إلى ذلك ولى هاربا عن سريره وصاح بالروم وعنفهم، فرجعوا يطلبون القتال، وصاح أبو عبيدة بسعيد بن زيد فحمل بمن معه وهم ينادون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، يا منصور أمت! يا نصر الله انزل! وحملوا عليهم بأجمعهم حملة واحدة، وقد أنزل الله تعالى نصره على المسلمين وأقبلوا يقتلون في الروم قتلا ذريعا، فبينا الناس في حملتهم إذ سمعوا قائلا يقول: يا نصر الله انزل! يا نصر الله انزل وأقرب! أيها الناس الثبات!

قال عامر بن مسلم (١): فتأملنا فإذا به أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد وشدت الامراء بأجمعهم على من يليهم، وقاتلوا قتالا شديدا، ولم يكن في الروم أثبت من أصحاب السلاسل فإنهم ثبتوا في أمكنتهم يبتغون (٢) من أتاهم، وأما الرماة من الأرمن فإنهم كانوا في القلب من عساكر الروم وهم مائتا ألف (٣)، وكانوا إذا رشقوا سهامهم نحو العرب يسترون الشمس، فلولا نصر الله والمعونة منه لكان المسلمون قد هلكوا، وانفصل المسلمون فرحين بالنصر. وقد هلك من المشركين أكثرهم.

فلما أصبح الصباح اصطف الفريقان للقتال، وكان المسلمون أسبق، فخرج من الروم فارس فخرج إليه الزبير بن العوام فقتله، ثم برز من الروم ثان وثالث ورابع فقتلهم.

فقال خالد لأبي عبيدة (٤): إن الزبير قد جرد نفسه للقوم حبا في الله ورسوله وإنا نخاف عليه، فصاح أبو عبيدة بالزبير وحلف عليه أن يرجع، فرجع إلى مكانه، وخرج خامس من الروم فخرج إليه خالد بن الوليد فقتله - وكان ملك الروسية (٥) - وأخذ سلبه وتاجه وصليبه ودرعه وعصابته، فقوم الجميع فكان بخمسة عشر ألف درهم. قال: وأخبر ماهان بذلك، فغضب غضبا شديدا وقال: هذا ملكان قد قتلا، وإني أظن أن المسيح لا ينصرنا، ثم إنه أمر الرماة من الروم أن يرموا على المسلمين يدا واحدة، فرموا سهامهم وأطلقوها نحو المسلمين مائة ألف سهم من

---

(١) الواقدي ١ / ٢١٤: أسلم.
(٢) الواقدي: يمنعون.
(٣) الواقدي: مائة ألف.
(٤) الواقدي ١ / ٢١٦.
(٥) وكان زوج بنت ملك اللان، وقد قتله ضرار؟ (الواقدي ١ / ٢١٦ - ٢١٧).

كبدة واحدة، فكانت تقع كسقوط البرد في عسكر المسلمين من السماء وكالوابل المتدارك، وكثر القتل في المسلمين والجراح وعور من المسلمين سبعمائة عين، وسمى ذلك اليوم يوم التعوير، وكان ممن أصيب بعينه ذلك اليوم المغيرة بن شعبة وسعيد بن زيد وبكير بن عبد الله وأبو سفيان وراشد بن سعد (١)، هؤلاء المقدمون وباقي سبعمائة من المسلمين، وكان الرجل يلتقي بالرجل بعد ذلك اليوم فيقول له: ما الذي أصابك في عينك؟ فيقول الاخر: لم تقول: مصيبة؟ بل قل: منحة (٢) من الله عز وجل.

قال: وعظم وقع السهام في المسلمين حتى ما كنت تسمع إلا من يصيح: واعيناه! واحدقتاه! واضطرب المسلمون اضطرابا شديدا ونقضت العرب أعنة خيلها راجعة على أعقابها، ونظر ماهان إلى اضطراب المسلمين فحرض الرماة وزحف نحو المسلمين، وزادت الرماة في رميها، وزحفت المسلسلة بحديدها والبيارق تلمع في أكف الرجال كأنها قبس النيران.

قال عامر: فنظرت جيوش الروم نحونا سائرة وفرسان المسلمين متأخرة، فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم أنزل علينا نصرك وصبرك الذي نصرتنا به في المواطن كلها! ثم صحت في رجال حمير: أتهربون من الجنة إلى النار؟ ما هذا الفرار؟ أما تخافون العار؟ وجعلت أهتف بقبائل العرب وكل قد شغل بنفسه، فجعلت أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فما كان غير بعيد حتى نزل النصر من السماء، وكان المسلمون قد أقبلوا (٤) راجعين نحو النساء، ولم يثبت قدام المشركين غير أصحاب الرايات.

قال عبد الله بن قرط الأزدي: شهدت قتال الشام كله فلم أشهد في يوم اليرموك أشد من يوم التعوير، وقد رجعت خيل المسلمين على أعقابها وقاتلت الامراء بأنفسها والرايات في أيديها، فقلت في نفسي: وكم جهد ما يقاتل هؤلاء الامراء وهم في نفر يسير حتى أسعدنا الله بحملة النساء اللاتي شهدن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الواقدي: سعيد.
(٢) الواقدي: محنة.
(٣) يريد عامر بن مسلم (أسلم) وقد تقدم. وعند الواقدي ١ / ٢١٧: عبادة بن عامر.
(٤) الواقدي: انقلبوا.

المواطن، قال: وتراجع المسلمون إلى القتال حين نظروا إلى النساء يقاتلن قتال الموت (٢)، فلله در النساء يوم اليرموك! وكانت وقعة اليرموك في رجب سنة ستة عشرة من الهجرة.

قال: ولم تزل الحرب من أول النهار إلى أن دخل الليل وأبو عبيدة يقاتل برايته والامراء يفعلون كفعله وانفصل بعضهم عن بعض.

قال: فلما طلعت الشمس صف أبو عبيدة أصحاب الرايات وعبى عسكره تعبية حسنة.

قال: وبرز جرجيس (٤) ودعا بالبراز وقال: لا يبرز إلي إلا أميركم! فسمعه أبو عبيدة فسلم الراية إلى خالد بن الوليد وقال له: أنت لها، فإن عدت أنا من قتال هذا الكافر فالراية لي، وإن هو قتلني الراية لك (٥)، فقال خالد: أنا أقاتله دونك، فقال أبو عبيدة: لست أفعل ذلك ولا بد لي من الخروج إليه وأنت شريكي في الاجر، وبرز أبو عبيدة والمسلمون كارهون ذلك فلم يفعل، فلما قرب منه قال له: أنت أمير الجيش؟ قال: نعم، فدونك والحرب، فما بقي لهزيمتكم إلا القليل ثم أقتلك وأقتل ماهان بعدك، ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وطال بينهما القتال، فولى الكافر بين يدي أبي عبيدة فتبعه وهو واثق بالنصر والسلامة، فعند ذلك عطف عليه كالبرق الخاطف، والتقيا بضربتين فكان أبو عبيدة أسبق بالضربة فوقعت على عاتقه

---

(١) الواقدي: المشاهد.

(٢) ومن النساء اللاتي خرجن يقاتلن: خولة بنت الأزور وأم حكيم بنت الحرث وسلمى بنت لؤي وأسماء بنت أبي بكر (عن الواقدي ١ / ٢١٨) وذكر الطبري ٣ / ٤٠١ أن النساء قاتلن يوم اليرموك في جولة، فخرجت جويرية بنت أبي سفيان وأصيبت بعد قتال شديد.

(٣) كذا بالأصل. وذكر سيف بن عمر يوم اليرموك سنة ١٣ قبل فتح دمشق وتبعه على ذلك الطبري ثم تبعه ابن الأثير. وقال ابن كثير: وأما ابن عساكر فإنه نقل عن ابن أبي عبيدة والوليد وابن لهيعة والليث وأبي معشر أنها كانت سنة ١٥ بعد فتح دمشق. وقال ابن إسحاق كانت في رجب سنة ١٥، وقال خليفة بن خياط: قال ابن الكلبي: كانت وقعة اليرموك الاثنين لخمس مضين من رجب سنة ١٥. قال ابن عساكر: وأما ما قاله سيف من أنها كانت قبل فتح دمشق سنة ١٣ فلم يتابع عليه. وانظر فتوح البلدان ص ١٤٢ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤١.

(٤) الواقدي: جرجير.

(٥) زيد عند الواقدي: حتى يرى عمر رأيه.

الأيسر [و] خرجت من عاتقه الأيمن، فعند ذلك كبر المسلمون، وناداه خالد: لله درك أيها الأمير! ارجع إلى رأيتك فقد قضيت ما عليك، فلم يرجع فأقسم عليه المسلمون أن يرجع إلى مقامه فرجع وأخذ الراية من خالد.

فنظر ماهان إلى جرجيس (٢) قد قتل فعظم عليه ذلك، فصاح بقومه وجمعهم إليه وقال: اعلموا أني ما تركت جهدا في نصرة هذا الدين وقد حاميت جهدي، وما أقدر أغالب رب السماء، لأنه قد نصر العرب علينا وملكهم بلادنا، فما لي وجه أرجع به إلى هرقل حتى إني أخرج إلى الحرب بنفسي وقد عزمت أن أسلم الصليب إلى أحدكم وأبرز إلى قتال المسلمين، فإن قتلت استرحت من العار ومن توبيخ الملك (٢).

قال: وبرز ماهان فخرج إليه رجل من دوس (٣) فقتله ماهان، وخرج إليه ثان فقتله، وجال ماهان وقوى قلبه ودعا بالبراز، فسارع المسلمون إليه وكل يقول: اللهم اجعل قتله على يدي! فكان أول من برز إليه مالك النخعي ثم حاوله في ميدان الحرب، فقال له ماهان: أنت صاحبي خالد بن الوليد؟ قال: لا، أنا مالك النخعي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمل على مالك، ضربه بعموده على بيضته

فغاصت البيضة في جبهته فشترت عينه، فمن ذلك اليوم سمي (الأشتر) وكان من فرسان العرب المذكورة، فصبر نفسه وحمل على ماهان والدم يسيل من جبهته، وأخذته أصوات المسلمين فقوى عزمه. قال مالك: فاستعنت عليه بالله عز وجل وصليت على محمد صلى الله عليه وسلم وضربته ضربة عظيمة فقطع سيفي فيه قطعا غير موهن،

فلما حس بحرارة الضربة ولى منهزما، فصاح خالد بالمسلمين: يا أهل الصبر (٤) والبأس! احملوا على القوم ما داموا في دهشتهم، ثم حمل خالد ومن معه وحملت الامراء بمن معهم وتبعهم المسلمون بالتكبير والتهليل، فصبرت لهم الروم بعض الصبر وغابت الشمس وانكشفت الروم منهزمة وأخذهم السيف من ورائهم، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة زهاء مائة ألف، وأسروا أربعين ألفا، وغرق منهم في الماء غوصة

---

(١) الواقدي: من علائقه.

(٢) زيد عند الواقدي ١ / ٢٢٤ وإن رزقت النصر وأثرت في المسلمين أثرا ورجعت سالما علم الملك أني لم أقصر عن نصرته... ثم دعا بابن له فدفع إليه الصليب.

(٣) عند الواقدي: من الأوس.

(٤) عند الواقدي: النصر.

أمم لا تحصى، وتمزقوا (١) في الجبال والأودية وخيول المسلمين تأخذهم يقتلون ويأسرون حتى مضى من الليل جزء كبير، فنادى أبو عبيدة في الناس أن يتراجعوا، فتراجعوا وقد امتلأت أيديهم من الغنائم والأسارى وآنية الذهب والفضة والنمارق والسرادقات وجمعت الغنائم وبات المسلمون فرحين بنصر الله عز وجل.
فلما أصبحوا فلم يجدوا من الروم أحدا، فأراد أبو عبيدة أن يحصي عدد القتلى من الروم، فلم يقدر [أن] يحصي ذلك إلا بالقصب، فأمر بقطع القصب، وجعل على كل ألف قصبة، وعد القصب فكان عدد القتلاء مائة ألف وخمسة آلاف (٢)، وأسروا أربعين ألفا، وقتل من المسلمين المجاهدين رحمة الله عليهم أجمعين أربعة آلاف (٣) ونيف، ثم أمر بها فجمعت، وقدموا بين يديه فصلى عليهم ودفنوا - رحمهم الله -.
وانبث المسلمون في الجبال والأودية يطلبون الروم، فإذا هم براع قد استقبلهم، فقالوا له: هل مر بك أحد من الروم؟ قال: نعم مر بي بطريق ومعه زهاء أربعين ألف فارس - وكان ذلك ماهان، فأتبعه خالد بن الوليد، فأدركهم على حمص، فلما أشرف عليهم كبر وكبر المسلمون معه وحمل عليهم ووضع فيهم السيف، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وكان ماهان قد ترجل عن جواده وقال إنه سيسلم، فأقبل إليه رجل من المسلمين بالسيف، فمانع عن نفسه فقتله الرجل - فكان القاتل لماهان النعمان بن جلهمة (٥) الأزدي، وقيل عاصم بن جوال اليربوعي، وقد اختلفوا فيه فالله أعلم.
وبلغ الخبر إلى أبي عبيدة أن خالد بن الوليد نزل حمص، فسار بمن معه حتى التقى بخالد فأخبره بما تم له وقتل ماهان، وبشر المسلمون بعضهم بعضا بالسلامة.
وكتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب فأخبره بذلك (٦)، وأنه قد قسم الغنائم وأخرج

---

(١) في الواقدي: وتفرق منهم.
(٢) في فتوح البلدان ص ١٤١ زهاء سبعين ألفا.
(٣) في الطبري ٣ / ٤٠٢ وابن الأثير ٢ / ٧٢ ثلاثة آلاف.
(٣) في الطبري ٣ / ٤٠٢ وابن الأثير ٢ / ٧٢ ثلاثة آلاف.
(٤) عند الواقدي ١ / ٢٢٦ على دمشق.
(٥) عند الواقدي: جهلة.
(٦) قارن مع نسخة للكتاب في كل من فتوح الشام للازدي ص ٢٤٣ - ٢٤٤ وفتوح الشام للواقدي ١ / ٢٢٦ - ٢٢٧ والوثائق السياسية وثيقة ٣٥٣ / بب وأرسل الكتاب مع حذيفة بن اليمان (الواقدي - اليعقوبي ٢ / ١٤١).

الخمس، وهو منتظر أمر أمير المؤمنين.
فلما قدم الكتاب على عمر سجد شكرا لله تعالى، وكذلك المسلمون شكروا لله رب العالمين على ذلك، ثم دعا عمر بن الخطاب بدواة وبياض وكتب إلى أبي عبيدة بن الجراح كتابا (١): أما بعد، إذا وصل إليك كتابي هذا فاشكر للمسلمين صبرهم وفعالهم، وأقم بموضعك حتى يأتيك أمري - والسلام.
قال: وأصاب الفارس من الذهب الأحمر أربعة وعشرين ألفا والراجل ثمانية آلاف، وكذلك من الفضة، وأعطي الهجين سهما والعربي سهمين.
قال: ولما هزم الله عز وجل الروم في وقعة اليرموك وبلغ ذلك هرقل قال: قد علمت أن الامر يجئ إلى هذا، ثم أقام ينتظر ما يكون من المسلمين.
ثم رجعنا إلى ما كان من أمر العراق.
قال: واجتمعت الفرس بجلولاء في ثمانين ألف فارس وعزموا على المسير إلى سعد بن أبي وقاص، فبلغه ذلك، فعندها جمع أمراءه واستشارهم فيما يصنع، فأشاروا عليه بالمسير إليهم ومحاربتهم، ففكر في ذلك وأقبل عليهم وقال لهم: اعلموا والله أني عازم على ذلك إلا أني في جمع قليل والفرس في ثمانين ألفا وأنا والله أتقى عليكم منهم. فقال عمرو بن معد يكرب: أيها الأمير! فإنا لا نحب أن تتقي علينا فإن الذي نصرنا عليهم بالأمس هو الذي ينصرنا عليهم اليوم! وقد بلغنا أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح وأمره أن يمدنا بجيش ونحن عنه مستغنون، وقد علمنا أن الله عز وجل إذا كتب على قوم القتل فلابد لهم مما كتب لهم، وإن كتب الموت على قوم فهم يموتون، فلسنا نشك أن القتل في سبيل الله أفضل من الموت على وثير الفرش، فطوبى لمن قتل في سبيل الله صابرا يريد بذلك ما عند الله من الثواب الجزيل!
قال: فإذا بمكشوح المرادي قد قدم عليهم من عند سعد في ألفي فارس، وهشام بن عتبة بن أبي وقاص في ثلاثة آلاف فارس، وحجر بن عدي الكندي في

---

(١) نسخة الكتاب في فتوح الشام للازدي ص ٢٤٤ فتوح الشام للواقدي ١ / ٢٢٧ باختلاف النصوص.

ألفي فارس، والمنذر بن حسان الضبي في ثلاثة آلاف فارس، وجرير بن عبد الله في أربعة آلاف فارس، قال: وصار المسلمون بجلولاء في أربعة وعشرين ألفا ويزيدون.

قال: وتحرشت الفرس بالمسلمين وطلبوا الحرب، وكتب سعد بن أبي وقاص إلى ابن أخيه هاشم بن عتبة فجعله أمير المسلمين وأمر أصحابه بمحاربة الفرس.

قال: فعندها وثب هاشم بن عتبة فعبى أصحابه (١)، فكان على ميمنته جرير بن عبد الله البجلي، وعلى ميسرته حجر بن عدي الكندي، وعلى الجناح المكشوح المرادي، وجعل عمرو بن معد يكرب على أعنة الخيل، وطلحة بن خويلد الأسدي على الرجالة.

قال: وعبت الفرس جيوشها، فكان على ميمنتهم رجل من قواد الأعاجم يقال له خر زاذ بن وهرز (٢)، وعلى ميسرتهم فيروز بن خسرو، وفي القلب الهرمزان بن أنو شروان صاحب بلاد الأهواز.

قال: ودنا القوم بعضهم من بعض، فاقتتلوا قتالا شديدا لم يقتتلوا في موطن بمثله من مواطنهم التي سلفت، وذلك أنهم رموا بالسهام حتى أنفدوها، وتطاعنوا بالرماح حتى قصفوها، ثم صاروا إلى السيوف والعمد (٣) فاقتتلوا بها من وقت الضحى إلى أن زالت الشمس وحضر وقت الصلاة فلم تكن الصلاة في ذلك اليوم إلا بالتكبير والايماء نحو القبلة.

قال: ونظر هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى رجل من المسلمين يقال له سعد بن عبيد الأنصاري وقد فصل من الصف فقال له: ما وقوفك يا سعد؟ فقال: أيها الأمير! وقوفي والله إني أفكر في فعلة فعلتها يوم الجسر يوم قتل أبو عبيد بن مسعود الثقفي أنا نادم عليها وذلك أني فررت يومئذ من الزحف وقد عزمت اليوم أن أجعل توبتي من فراري، أن أشتري لله نفسي فلعله تبارك وتعالى أن يتجاوز عني ما

---

(١) قارن مع رواية الطبري ٤ / ١٨٠ وابن الأثير ٢ / ١٤٤ وفتوح البلدان ص ٢٦٤ والبداية والنهاية ٧ / ٧٩.

(٢) في الطبري ٤ / ١٨١ خرزاذ بن خرهرمز وكان على خيل الأعاجم. وفي فتوح البلدان ص ٢٦٤ وعلى الأعاجم خرزاذ أخو رستم.

(٣) في الطبري ٤ / ١٨١ والطبرزينات.

قد مضى. قال: ثم تقدم بسيفه نحو الفرس فقاتل قتالا عجب منه الفريقان جميعا فلم يزل كذلك حتى قتل منهم جماعة وقتل - رحمة الله عليه -.
قال: ثم أقبل جرير بن عبد الله البجلي على بني عمه فقال: يا معشر بجيلة! اعلموا أن لكم في هذه البلاد إن فتحها الله عليكم حظا سنيا، فاصبروا لقتال هؤلاء الفرس التماسا لاحدى الحسنيين: إما الشهادة فثوابها الجنة، وإما النصر والظفر ففيهما الغني من العيلة، وانظروا، لا تقاتلوا رياء ولا سمعة، فحسب الرجل خزيا أن يكون يريد بجهاده حمد المخلوقين دون الخالق، وبعد فإنكم جربتم هؤلاء القوم ومارستموهم وإنما لهم هذه القسي المنحنية وهذه السهام الطوال، فهي أغنى سلاحهم عندهم، فإذا رموكم بها فتترسوا، والزموا الصبر وصابروهم، فو الله إنكم الانجاد الأمجاد الحسان الوجوه في اقتحام الشدائد! فاصبروا صبرا يا معشر البجيلة! فوالله إني لأرجو أن يرى المسلمون منكم اليوم ما تقر به عيونهم! وما ذاك على الله بعزيز، ثم أنشأ جرير في ذلك يقول - شعر:

تلكم بجيلة قومي إن سألت بها * قادوا الجياد وفضوا جمع مهران
وأدركوا الوتر من كسرى ومعشره * يوم العروبة وتر الحي شيبان
فسائل الجمع جمع الفارسي وقد * حاولت عند ركوب الحي قحطان
عز الأول كان عزا من يصول بهم * ورمية كان فيها هلك شيطان
كان الكفور وبئس الفرس أن له * آباء صدق نموه غير ثبيان

قال: ثم حمل جرير بن عبد الله على جميع أهل جلولاء فلم يزل يطاعن حتى انكسر رمحه وجرح جراحات كثيرة فأنشأ بعض بني عمه يقول في ذلك - شعر:

تواكلت الأمور فلم تواكل * أخو النجدات فارسها جرير
جرير ذو الغني [و] بما تولى * أحق إذا تقسمت الأمور
أغاث المسلمين وقد تواصلوا * وقدر الحرب حامية تفور
أبا حفص سلام الله منا * عليك ودوننا بلد شطير
حمدنا فعل صاحبنا جرير * ولم نحمد لك الوالي العطير
فلا تغفل بجيلة إن فيها * دواء الداء والحبر الكبير

قال: وتقدم رجل من المرازبة يقال له رستم الأصغر حتى وقف بين الجمعين فجعل يقاتل أشد القتال، قال: وانبرى له رجلان من المسلمين أخوان: أحدهما

يقال له عوام والاخر يقال له زهير ابنا عبد شمس (١)، قال: فحملا عليه وحمل عليهما فجاولهما في ميدان الحرب ساعة ثم داخله زهير فطاعنه، فطعنه طعنة أثخنه منها، حتى كاد رستم أن يسقط عن فرسه، ثم جال زهير في ميدان الحرب ساعة وهو يرتجز ويقول:

أنا زهير وابن عبد شمس * طعنت ذا التاج رئيس الفرس
رستم ذا الثروة والدمقس * فقد شفيت اليوم منه نفس

قال: وجعل رستم يجول في ميدان الحرب فمرة يحمل على زهير ومرة يحمل على عوام. قال: ونظر إلى ذلك رجل من المسلمين يقال له جابر بن طارق النخعي، فخرج إلى زهير والعوام لعينهما على رستم، قال: ونظر رستم إلى جابر بن طارق فحمل عليه، وصاح زهير بجابر بن طارق: إلي إلي يا ابن عم! لا تنفرد لهذا الكلب فيقتلك، قال: وجعل رستم يجول على هؤلاء الثلاثة في ميدان الحرب، فكلما حمل على واحد حمل عليه اثنان. قال: ثم اعتوره زهير والعوام وحمل عليه جابر بن طارق النخعي فضربه ضربة على تاجه فقد التاج وهامته فخر رستم صريعا، ثم نزلوا إليه فسلبوه، وكانت قيمة سلبه ألف دينار، وأنشأ جابر بن طارق يقول في ذلك - شعر:

دعاني زهير والفوارس ترتمي * إلي إلي يا بن عم فهل ترى
فقلت له لبيك عند دعائه * أتيتك اني قاصد دونك العرى
بنفسي أني لا أبالي بحتفها * بنفسك فاقصد عامدا حيث انتهى
واضربه بالسيف قمة رأسه * فخر صريعا في العجاجة قد هوى (٢)
فغادرته عيدا لطير سواغب * وجالت بناخيل وذو الغدر قد مضى
فذاك رئيس الفرس رستم سل به * زهيرا وعواما وجابر ذا النهى

قال: فبينما المسلمون كذلك في أشد ما يكون من الحرب وذلك في وقت العصر إذا هم بكتيبة للفرس جامة حسناء قد خرجت إليهم، فكأن الناس هالتهم تلك

---

(١) أشرنا سابقا إلى رواية اليعقوبي ٢ / ١٤٥ أن فيمن قتل رستم يوم القادسية زهير بن عبد شمس وهو ابن أخي جرير بن عبد الله (انظر صفحة ١٦٩ حاشية رقم ١).
(٢) العجاجة: الغبار.

الكتيبة فاتقوها، فقال عمرو بن معدي كرب: يا معشر المسلمين! لعله قد هالتكم هذه الكتيبة؟ قالوا: نعم والله يا أبا ثور لقد هالتنا! وذلك أنك تعلم أنا نقاتل هؤلاء القوم من وقت بزوغ الشمس إلى وقتنا هذا، فقد تعبنا وكلت أيدينا ودوابنا وكاعت رجالنا وقد والله خشينا أن نعجز عن هذه الكتيبة إلا أن يأتينا الله بغياث من عنده أو نرزق عليهم قوة ونصرا. قال: فقال عمرو: يا هؤلاء! إنكم إنما تقاتلون عن دينكم وتذبون عن حريمكم وتدفعون عن حوزة الاسلام، فصفوا خيولكم بعضها إلى بعض وانزلوا عنها والزموا الأرض واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، فإنكم بحمد الله صبراء في اللقاء، ليوث عند الوغى، وهذا يوم كبعض أيامكم التي سلفت، ووالله إني لأرجو أن يعز الله بكم دينه ويكبت بكم عدوه. قال: ثم نزل عمرو عن فرسه ونزل معه زهاء ألف رجل من قبائل اليمن، ما فيهم إلا فارس مذكور، ونزل معه أيضا من كان [من] قومه وعشيرته. قال: ثم تقدم عمرو حتى وقف أمام المسلمين شاهرا صمصامته (١) وقد وضعها على عاتقه وهو يقول - شعر:

لقد علمت أقيال مذحج أنني * أنا الفارس الحامي إذا القوم أضجروا
صبرت لأهل القادسية معلما * ومثلي إذا لم تصبر الناس يصبر
وطاعنتهم بالرمح حتى تبددوا * وضاربتهم بالسيف حتى تكسروا
بذلك أوصاني أبي وأبو أبي * بذلك أوصاه فلست أقصر
حمدت إلهي إذ هداني لدينه * فلله أسعى ما حييت وأشكر

قال: وحملت تلك الكتيبة الحامة على عمرو بن معد يكرب الزبيدي وأصحابه فلم يطمعوا منهم في شئ. قال: وحمل جرير بن عبد الله من الميمنة، وحجر بن عدي من الميسرة، والمكشوح المرادي من الجناح، وعمرو بن معد يكرب من القلب، وصدقوهم الحملة لولوا مدبرين، ووضع المسلمون فيهم السيف، فقتل منهم من قتل، وانهزم الباقون حتى صاروا إلى خانقين (٢). وأمسى المسلمون فلم يتبعوهم (٣)، لكنهم أقاموا في موضعهم حتى أصبحوا وأقبلوا حتى دخلوا جلولاء،

---

(١) مر قريبا خبر الصمصامة (سيف عمرو بن معدي كرب)، راجعه.
(٢) خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد.
(٣) في الطبري ٤ / ١٨٢ وابن الأثير ٢ / ١٤٥ سار القعقاع بن عمرو في طلب المنهزمين حتى بلغ خانقين.

فجعلوا يجمعون الأموال والغنائم حتى جمعوا شيئا كثيرا لم يظنوا أنه يكون هناك، قال: فقال رجل من المسلمين: رحم الله المثنى بن حارثة الشيباني! أما أنه لو كان حيا لقرت عيناه بهذا الفتح، فإني كنت أسمعه مرارا يقول: وددت أني قد رأيت فتح جلولاء ولو قبل موتي بيوم واحد! قال: فقال عبيد بن عمرو البجلي: نعم فرحم الله المثنى بن حارثة! إنه وإن كان قد مضى لسبيله لم تقر عينه بفتح جلولاء لقد قرت عيناه بالجنة إن شاء الله وقد قدم على ما قدم من الثواب الوافر، ثم أنشأ عبيد بن عمرو البجلي يقول في ذلك - شعر:

أبشر مثنى فقد لاقيت مكرمة * يوم التغابن لما ثوب الداعي
سل أهل ذي الكفر مهرانا وأسرته * يوم البجيلة إذ خلوا عن القاع
وأسلموا ثم مهرانا ببلقعه * يوم العروبة مطروحا بجعجاع
وفي جلولا أثرنا كل ذي بدع * بكل صاف كلون الملح لماع
في كف كل كريم الجد ذو حسب * حامى الحقيقة للاواء دفاع

قال: ثم رجع هاشم بن عتبة بغنائم جلولاء فوجه بها إلى المدائن إلى عمه سعد بن أبي وقاص.

ذكر مسير المسلمين بعد فتح جلولاء إلى خانقين وغيرهما.

قال: ثم سار المسلمون يريدون خانقين (١) وعلمت الفرس بذلك فرحلوا من خانقين إلى قصر شيرين (٢) فمروا بها ولم يقيموا حتى صاروا إلى حلوان وبها يومئذ يزدجرد ملك الفرس في جماعة من الأساورة والمرازبة، فلما بلغه هزيمة أصحابه بجلولاء وأنهم قد وافوه بحلوان دعا رجلا من قواده من الأعاجم يقال له منوشهر بن هرمزدان (٣) فاستخلفه على حلوان ثم رحل فيمن كان معه من أصحابه هاربا حتى صار

---

(١) قصر شيرين على ستة فراسخ من خانقين، بلد من نواحي السواد. ومن قصر شيرين إلى حلوان ستة فراسخ.

(٢) في فتوح البلدان ص ٢٦٤ أتى جرير بن عبد الله خانقين وبها بقية من الأعاجم فقتلهم. ثم تقدم القعقاع بن عمرو نحو قصر شيرين (الطبري ٤ / ١٨٥).
ووجه جرير نحو حلوان في ثلاثة آلاف، ففتحها جرير صلحا (فتوح البلدان ص ٢٩٩ وفي الطبري ٤ / ١٨٦ القعقاع بن عمرو).

(٣) في الطبري ٤ / ١٨٥ وابن الأثير ٢ / ١٤٥ خسروشنوم.

إلى نهاوند (١)، فنزلها وأمر بخيله فنزلت بأرض همذان وما والاها من نواحيها.
قال: ورحل المسلمون من جلولاء إلى خانقين فنزلوها يومهم ذلك، ثم رحلوا منها إلى قصر شيرين فنزلوها، وكتبوا إلى سعد بن أبي وقاص يستأذنونه في التقدم إلى حلوان ويحثونه على المصير إليهم ليكون لهم ملجأ وسندا يلجؤون إليه ويشاورونه في أمورهم، وقد كان سعد عليلا فتباطأ عنهم ولم يصر إليهم وكتب إليهم يأمرهم بالتقدم إلى حلوان (٢).
قال: فغضب المسلمون لقعود سعد عنهم وإبطائه عن نصرتهم، ثم أنشأ إبراهيم بن حارثة الشيباني يقول في ذلك - شعر:

أما بال سعد خام عن نصر جيشه * لقد جئت يا سعد ابن زهرة منكرا
وأقسم بالله العلي مكانه * لو أن المثنى كان حيا لاصحرا
وقاتل فيها جاهدا غير عاجز * وطاعن حتى يحسب الجون أحمرا
كشداته يوم البجيلة معلما * يريد بما يبلي الثواب الموفرا
وضارب بالسيف الحسام مقدما * جموع الأعادي خشية أن يعيرا
ولكن سعدا لم يرد أجر يومه * ولم يأتنا في يوم بأس فيعذرا

قال: فبلغت سعدا هذه الأبيات فكأنه تحرك للمسير على علته، ثم دعا سلمان الفارسي فاستخلفه على المدائن وأوصاه بحفظ الغنائم وصار فيمن معه من أصحابه حتى لحق بالمسلمين وهم يومئذ نزول بقصر شيرين فنزل معهم يومهم ذلك.
فلما كان من غد نادى في الناس بالرحيل إلى حلوان فرحل ورحل الناس معه، وبلغ ذلك منوشهر بن هرمزدان (٣) المقيم بحلوان، فخرج عن حلوان هاربا حتى لحق بيزدجرد وهو في جمع أصحابه، وأقبل سعد بن أبي وقاص وعلى مقدمته جرير بن عبد الله البجلي (٤) حتى دخل حلوان فأنشأ عبد الله بن قيس الأزدي يقول - شعر:

فأبلغ أبا حفص بأن خيولنا * بحلوان أضحت بالكماة تجمجم

---

(١) في الطبري: نحو الجبال، وفي رواية، نحو الري، وفي فتوح البلدان: هرب إلى ناحية أصبهان.
(٢) انظر الصفحة السابقة الحاشية رقم ٢.
(٣) انظر ما جاء فيه قريبا.
(٤) مر أن سعد أمر جريرا بالتوجه إلى حلوان وقد افتتحها صلحا على أن كف عنهم وأمنهم على دمائهم وأموالهم وجعل لمن أحب منهم الهرب أن لا يعرض لهم (فتوح البلدان ص ٢٩٩).

ونحن دهمناها صباحا بفيلق * جرير علينا في الكتيبة معلم
ونحن أبدنا الفرس في كل موطن * بجمع كمثل الليل والليل مظلم
نقاتل حتى أنزل الله نصره * وسعد بباب القادسية معصم (١)
فابنا وقد أيمت نساء كثيرة * ونسوة سعد ليس فيهن أيم
أولئك قومي إن سمعت بمعشرى * وموضع أيسارى إذا نيل مغنم

قال: واحتوى سعد بن أبي وقاص على جميع ما كان للفرس بأرض حلوان، ثم دعا بالمكشوح المرادي فضم إليه عشرة آلاف رجل من المسلمين ووجه به إلى ما سبذان (٢) وما والاها، ووجه أيضا بخيل له في عشرة آلاف مع عروة بن زيد الخيل الطائي إلى شهر زور (٣) وما يليها، فغنم المسلمون غنائم كثيرة لا تحصى ورجعوا إليه في أسرع وقت وأعجله.

ذكر ما كان من زريب بن برثملا (٤) وكلامه للمسلمين ونضلة بن معاوية الأنصاري

قال: ثم دعا سعد بن أبي وقاص برجل من الأنصار يقال له نضلة بن معاوية فضم إليه ثلاثمائة فارس وأمره بالغارة على جميع رساتيق حلوان، قال: فمضى نضلة حتى انحاز إلى رساتيق حلوان فلم يترك لهم باعثة ولا راعية إلا استاقها.

قال: فبينا المسلمون يسوقون الغنائم بين جبلين من جبال حلوان يريدون سعد بن أبي وقاص إذ حضرتهم الصلاة صلاة العصر، فصرفوا الغنائم إلى سفح الجبل، وتقدم نضلة بن معاوية يؤذن، فلما قال: الله أكبر الله أكبر! إذا بهاتف يهتف من الجبل وهو يقول: كبرت كبيرا يا نضلة! فلما قال: أشهد أن لا إله إلا

---

(١) البيت والذي يليه في الطبري ٤ / ١٤٠ وفتوح البلدان ص ٢٦١ دون نسبة.
(٢) عن الطبري ٤ / ١٨٧ وفتوح البلدان ص ٣٠٤ وبالأصل ما سنيدان خطأ. وهي عدة مدن بين جبال كثيرة وماؤها يخرج إلى البندنيجين (معجم البلدان) وفي الطبري والكامل: ضرار بن الخطاب الفهري كان على الجيش، وفي فتوح البلدان ص ٣٠٤ فتح ما سبذان أبو موسى الأشعري.
(٣) شهرزور: كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمذان (معجم البلدان) فتحها عتبة بن فرقد (الكامل لابن الأثير ٢ / ٢٠٢ وفتوح البلدان ص ٣٢٩).
(٤) عن دلائل النبوة لأبي نعيم، وبالأصل: برثلثا، وفي الإصابة: ثرملا. وقد صححت في كل المواضع.

الله! أجابه الهاتف يقول: أخلصت إخلاصا يا نضلة! فلما قال: أشهد أن محمدا رسول الله! أجابه الهاتف ويقول: ذلك نبي الرحمة بعث لا نبي بعده، فلما قال: حي على الصلاة! أجابه الهاتف وهو يقول: فريضة فرضت فطوبى لمن حفظها وواظب عليها، فلما قال: حي على الفلاح! أجابه الهاتف وهو يقول: الفلاح لأهل الفلاح والصلاح لأهل الصلاح، قال: وفرغ نضلة من أذانه، فلما أخذ في الإقامة وقال: قد قامت الصلاة! أجابه الهاتف وهو يقول: البقاء لامة محمد عليه السلام وعلى رؤوسهم تقوم الساعة، قال: وصلى نضلة بالمسلمين.

فلما فرغ من صلاته وثب قائما على قدميه ثم نادى بأعلى صوته: أيها الهاتف بالخير والكلام... (١) إنا قد سمعنا كلامك وفهمنا جوابك، فإن كنت من ملائكة الله فصلى الله عليك، وإن كنت من الجن فمرحبا بك وأهلا، وإن كنت من الإنس فابرز إلينا حتى نراك، فإنا وفد الله ووفد رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم وآله) ووفد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: فلم يشعر نضلة بن معاوية ومن معه من المسلمين إلا وشيخ قد برز لهم من شعب الجبل أبيض الرأس واللحية، إلى الطوال ما هو، عليه ثوبان من صوف أبيض، وقد حسر عن هامة له عظيمة وفي يده عصا عكاز يتوكأ عليها، فقال نضلة: السلام عليك ورحمة الله وبركاته! من أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا زريب بن برثملا وصى العبد الصالح عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم، دعا لي بالبقاء إلى وقت نزوله من السماء، فاقرأوا على عمر بن الخطاب مني السلام وقل له: فليثبت على ما هو عليه ويقارب ويسدد فقد اقترب الامر، وإن ظهرت في أمة محمد (صلى الله عليه وسلم وآله) خصال لا خير فيها فالهرب الهرب! قال نضلة بن معاوية: أخبرنا رحمك الله بهذه الخصال لنعرف بها ذهاب دنيانا وإقبال آخرتنا، فقال: نعم إذا اكتفت رجالكم برجالكم ونساؤكم بنسائكم، وركن علماؤكم إلى أمرائكم فأفتوهم بالذي يحبون، وكثر طعامكم فلم يزد سعركم إلا غلاء، وكان مستشاركم يومئذ عبيدكم وخصيانكم، وقتل البريء بغير ذنب ليوعظ به العامة، وقل العطاء فلم يأخذه إلا الاسقاط والسفل، وقلت الصدقة فيكم حتى يطوف المسكين فيكم من الحول إلى الحول فلا يصيب عشرة دراهم، واتخذتم القرآن ألحانا ومزامير، وزخرفتم المساجد وطولتم المنار، وكثرت بينكم شهادات

---

(١) مطموس بالأصل.

الزور... (١) المطر فلم يكن إلا غيظا، واستحللتم الزنا وأكلتم الربا، فإ [ذا شهدتم] ذلك فتوقعوا ذهاب الصولة وغضب ربكم.
قال: ثم رجع زريب بن برثملا إلى موضعه من الجبل، وسار المسلمون بالغنائم إلى سعد بن أبي وقاص، فخبروه بما كان من أمر زريب.
قال: فكتب سعد بذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وخبره أنه مقيم بأرض حلوان. قال: فكتب عمر: لله در أبيك يا بن أبي وقاص! انظر إذا ورد عليك كتابي هذا فسر أنت بنفسك حتى تأتي ذلك الجبل فتفحص لي عن أمر هذا الرجل وتكتب لي خبره - والسلام.
قال: فلما ورد كتاب عمر إلى سعد ركب إلى ذلك الموضع الذي نظروا فيه زريب بن برثملا، فأذن سعد وأمر الناس بالاذان من كل جانب فلم يجبهم أحد، ثم أمر بالخيل فطافت في جبال حلوان أياما كثيرة يهتفون بزريب بن برثملا ويطلبونه، فلم يقفوا له على خبر، فرجع سعد إلى حلوان وكتب إلى عمر بن الخطاب بذلك، ثم دعا بجرير بن عبد الله البجلي فضم إليه ألف رجل من بجيلة وغيرهم و... (٢) اليمن وسائر العرب وأمره أن يقيم بحلوان فيكون ردسا للعرب ومصلحة للمسلمين إلى أن يأتيه أمره وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
قال: ثم جمع سعد غنائم حلوان وغنائم جلولاء وخانقين وغنائم المدائن والقادسية وأخرج من ذلك الخمس ليوجه به إلى عمر بن الخطاب وقسم باقي الغنائم في المسلمين.
قال: فتقدم إلى سعد رجل من خثعم يقال له بشر بن ربيعة وكان من الفرسان المعدودين، فطلب من سعد زيادة فلم يزده شيئا فغضب الخثعمي لذلك، ويقال إنه هجا سعد بن أبي وقاص فأنشأ يقول - شعر:

ينوب عن القوم الكرام بجمعهم * وفضل سعد بالعطية خالدا
فان تكرم العذرى بالقسم واصلا * فاجدر برأي السوء للجور زائدا
أتنهب جهلا لا أبا لك حقنا * لقد ضقت ذرعا عن مدى الحق حائدا

---

(١) موضع النقاط غير واضح.
(١) غير واضح بالأصل.

متى كان ميراث ابن خثعم قل لنا * لخالد يا للناس لا كنت جاهدا
لعمري لئن كانت قريش تعطفت * عليك أبا وهب فألفيت رافدا
لقد غمرت آباؤك اللوم دهرها * وألفيت في فهر تحل الوصائدا
قال: فعلم سعد أنه هجاه فدعا به فحمله على حجرة له كريمة ووصله بألف درهم وضم إليه الغنائم ووجه به إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
قال: فوردت الغنائم وخرج المسلمون فنظروا إليها وعجبوا من كثرتها، فقال رجل من المسلمين: يا أمير المؤمنين! أتدخل هذه الغنائم إلى بيت المال؟ فقال: لا، لعمري لا يظلها سقف بيت حتى تقسم في حقها، ثم أمر بالغنائم فأدخلت إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أمر قوما أن يحرسوها ليلتهم تلك.
فلما أصبح عمر رضي الله عنه نادى في المهاجرين والأنصار فجمعهم ثم جعل يعطى الناس على أقدارهم ويفضل من شاء أن يفضل ويعطى كل ذي حق حقه.
قال: فتقدم إليه بشر بن ربيعة الخثعمي الذي جاء بالغنائم فقال: يا أمير المؤمنين! أعطني من هذه الغنائم كما تعطي غيري، قال عمر: أو لم يعطك سعد حقك هناك؟ فقال: بلى، فقد أعطاني، غير أني أنا الذي حفظت هذه الغنائم حتى قدمت بها عليك، وأريد منك الزيادة، فقال عمر: بل الله حفظها لا أنت، قال: ثم أمر له بشئ يسير، فغضب لذلك ولم يرض بما أعطاه عمر رضي الله عنه، قال: فقال له عمر: إنك لشاعر جزل، وأنت لا شك فارس بطل، وأراك واجدا على أميرك سعد بن أبي وقاص، فلماذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين! لأنه فضل علي من لا يدانيني وهو لا ينظر لي، فقال عمر: فما يؤمنني أنك تهجوني بما ليس في. قال: ثم أمر له عمر رضي الله عنه بصلة سنية فأرضاه ثم قال: اللهم خلص عمر مما قلدته سليما غير موزور.
قال: ثم كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص يأمره أن يولي سلمان الفارسي المدائن وما والاها ويرجع هو إلى الكوفة ويأمر الناس بالبنيان والعمارة.
قال: فلما ورد كتاب عمر بن الخطاب على سعد دعا سلمان فولاه المدائن وضم إليه نفرا من المسلمين، ثم إنه رجع إلى أرض الكوفة (١) وأمر الناس بالبنيان،

---

(١) كان ذلك في المحرم سنة ١٧، وقال الواقدي: آخر سنة ١٧ (الطبري ٤ / ١٩٠).

فبنى الناس بها الدور واختطوا الحيطان لقبائل العرب، قال: فسكنت العرب الكوفة من ذلك اليوم والدهر، وأرسل عمر إلى سعد بن أبي وقاص فأمره بعمارة مسجدها.

ذكر ما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه
في مسجد الكوفة.

قال القاسم بن الوليد سمعت أبي يقول (١): كنت ذات يوم في مسجد الكوفة قاعدا إذ رأيت رجلا جاء إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين! إني رجل خلو لا أهل لي ولا ولد، وقد قضيت ما وجب علي من الحج وقد تزودت زادا وابتعت راحلة أأرتحل إلى بيت المقدس فأكون فيه إلى أن يأتيني الموت أم ألزم هذا المسجد؟ فقال له علي عليه السلام: كل زادك وبع راحلتك وعليك بهذا المسجد فألزمه فإنه أحد المساجد الأربعة، ركعتان فيه تعدلان عشرا فيما سواه من المساجد، والبركة بها على عشرة أميال (٢) من حيث ما أتيته وقد نزل أسد ألف ذراع، [و] في زاويته [فار التنور، و] (٣) عند السارية (٤) الخامسة صلى إبراهيم الخليل عليه السلام، وفيه مصلى إدريس ونوح عليهما السلام، وفيه عصا موسى بن عمران عليه السلام، وقد صلى فيه ألف نبي وألف وصي، وفيه هلك يغوث ويعوق وهو الفاروق، ومنه سير جبل الأهواز، ويحشر منه يوم القيامة كذا وكذا ألف (٥) من الناس ليس عليهم حساب ولا عقاب، ووسطه على روضة من رياض الجنة، وفيه ثلاث أعين... (٦) تظهر للمسلمين آخر الزمان: عين [من] ماء وعين من لبن وعين من دهن، جانبه الأيمن ذكر وجانبه الأيسر أنثى، ولو يعلم الناس ما فيه من الفضل لاتوه ولو حبوا. ثم قال: أيها الناس! لا تسبوا الكوفة فإن بها مصابيح الهدى وعمار الذكرى، فيهم يدق الله عز وجل جناح كل فاجر وكافر في آخر
الزمان.

---

(١) الخبر في معجم البلدان عن حبة العرني. (الكوفة).
(٢) في معجم البلدان: اثني عشر ميلا.
(٣) زيادة عن المعجم.
(٤) في المعجم: الأسطوانة.
(٥) في المجعم: سبعون ألفا.
(٦) غير واضح بالأصل. وفي المعجم: ثلاث أعين من الجنة تذهب الرجس وتطهر المؤمنين.

قال: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: الكوفة قبة الاسلام وكنز الايمان وجماجم العرب ورمح الله الأطول وبهم يدق الله عز وجل أجنحة المنافقين.
قال: فلما استقر سعد بن أبي وقاص بالكوفة وجه بخيله إلى ناحية الأنبار وما يليها وهيت (١) وما والاها إلى أرض غابات إلى ما سقى الفرات فافتتح ذلك إلا قليلا.
قال: ثم كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي عبيدة بن الجراح بالشام يأمره بالمسير إلى أهل بيت المقدس (٢) ويأمره بمحاربتهم ومحاربة من يليهم من الكفار.

ذكر فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال: فلما ورد كتاب عمر على أبي عبيدة رضي الله عنهما دعا بسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فولاه دمشق، ثم خرج بمن معه من المسلمين حتى صار إلى بلاد الأردن فنزل هنالك (٣) ثم كتب إلى أهل بيت المقدس كتابا فيه (٤): (بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي عبيدة الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وسكانها، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله العلي الاعلى، أما بعد! فإني آمركم أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله عليه السلام، وأن ما جاء به من عند الله عز وجل حق، والجنة حق والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، فإذا شهدتم بذلك فقد حرمت علينا دماؤكم وأموالكم إلا بحقها، وأنتم إخواننا في ديننا وشركاؤنا في حظنا، (٥) وإن أبيتم ذلك سرت إليكم بقوم هم أحب للموت... (٦) لشرب الخمور وأكل لحم الخنزير، ثم لا أرجع عنكم أبدا إن شاء الله تعالى حتى أقتل مقاتلتكم وأسبى ذريتكم وأقسم أموالكم، فاختاروا

---

(١) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار.
(٢) نسخة الكتاب في فتوح الشام للواقدي ١ / ٢٢٩.
(٣) زيد عند الأزدي ص ٢٤٢: فعسكر بها. وبعث إلى أهل إيلياء الرسل. وقال: اخرجوا إلي أكتب لكم الأمان على أنفسكم وأموالكم، ونف لكم كما وفينا لغيركم. فتثاقلوا وأبوا.
(٤) نسخته في فتوح الأزدي ص ٢٤٣ والوثائق السياسية وثيقة رقم ٣٥٣ / يا. ص ٤٧٩.
(٥) عند الأزدي: وإن أبيتم فأقروا لنا بإعطاء الجزية عن يد وأنتم صاغرون.
(٦) بياض بالأصل، وعند الأزدي: (منكم للحياة و).

واحدة من اثنتين، اعلموا أني في أثر كتابي هذا إليكم إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).
قال: ثم وجه أبو عبيدة كتابه هذا إلى أهل إيلياء، فلما قرأوه أبوا ما عرض عليهم من الايمان ولم يجيبوه إلى شئ، فسار أبو عبيدة إليهم حتى نزل بساحتهم.
قال: وخرج أهل إيلياء إلى حرب المسلمين فاقتتلوا، ووقعت الهزيمة على أهل إيلياء، فقتلهم المسلمون قتلا ذريعا حتى أدخلوهم مدينتهم.
قال: ودام الحرب بينهم أياما كثيرة (١)، فلما لم يجدوا حيلة ولم يكن لهم بالمسلمين طاقة بعثوا إلى أبي عبيدة: إنا قد أحببنا مصالحتكم ولسنا نثق بكم ولكن اكتبوا إلى صاحبكم عمر بن الخطاب حتى يقدم فيكون هو الذي يعطينا الأمان ويكتب لنا العهد فإنا به واثقون وإليه نميل.
قال: فقال أبو عبيدة لأصحابه: ما ترون فيما يقول هؤلاء القوم؟ فقال معاذ بن جبل: أرى أن تكتب إلى أمير المؤمنين وتسأله القدوم إليك فلعله إذا قدم أن يصلح الله عز وجل به باقي بلد الشام إن شاء الله تعالى.

ذكر كتاب أبي عبيدة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بأمر أهل بيت المقدس

فكتب إليه (٣): (بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من عامر بن الجراح، سلام عليك، أما بعد! فإني أخبرك يا أمير المؤمنين أني صرت إلى أهل إيلياء في جماعة من المسلمين حتى نزلت هم وحللت بساحتهم، ثم واقعناهم وقائع كثيرة كانت عليهم لا لهم، وطاولناهم فلم يجدوا في

---

(١) انظر تفاصيل أوردها الواقدي في فتوحه ١ / ٢٣٢ وما بعدها.
(٢) ذكر الأزدي أن أبا عبيدة لم يكتب إلى الخليفة إلا بعد أن أخذ على أهل ايلياء الايمان المغلظة أنه إن قدم عمر وأعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ليقبلن ذلك ويؤدون الجزية ويدخلون فيما دخل فيه أهل الشام. ففعلوا ذلك.
(٣) نسخته في فتوح الأزدي ص ٢٤٨ وفتوح الشام للواقدي ١ / ٢٣٥ والوثائق السياسية وثيقة رقم ٣٥٣ / بز.

مطاولتهم إيانا فرجا، ولم يزدهم الله تعالى بذلك إلا ضعفا ونقصا وذلا وهولا، فلما طال بهم ذلك واشتد عليهم الحصار سألوا الصلح وطلبوا الأمان على أن يقدم عليهم أمير المؤمنين فيكون هو الموثوق به عندهم والكاتب لهم كتابا بأمانهم، ثم إنا خشينا أن يقدم أمير المؤمنين فيغدروا بعد ذلك ويرجعوا (٢)، فأخذنا عليهم العهود والمواثيق والايمان المغلظة أنهم لا يغدرون ولا ينكثون، وأنهم يؤدون الجزية ويدخلون فيما دخل فيه أهل الذمة، فأقروا لنا بذلك، فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن تقدم علينا فافعل، فإن في قدومك من الاجر والثواب ما لا يخفى عليك، آتاك الله رشدك ويسر أمرك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته).

ذكر المشورة التي أشاروا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة.

قال: فلما ورد كتاب أبي عبيدة على عمر رضي الله عنهما (٣) وقرأه أرسل إلى وجوه المهاجرين والأنصار المقيمين معه بالمدينة واستشارهم في الخروج إلى الشام.

قال: فقال له عثمان: يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى قد أذل الروم وأدال عليهم، وأبو عبيدة قد حصرهم وضيق عليهم فهم يزدادون في كل يوم نقصا وذلا وضعفا ووهنا، فإن أنت أقمت ولم تسر إليهم علموا أنك مستخف بأمرهم، مستصغر لشأنهم، حاقر لجنودهم، فلا يلبثون إلا يسيرا حتى ينزلوا على الحكم أو يؤدون الجزية (٤).

فقال عمر: هل عند أحد منكم غير هذا الرأي؟ فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: نعم عندي من الرأي، أن القوم قد سألوك المنزلة التي لهم فيها الذل والصغار، ونزولهم على حكمك عز لك وفتح للمسلمين، ولك في ذلك الاجر العظيم في كل ظمأ ومخمصة، وفي قطع كل واد وبقعة حتى تقدم على أصحابك

---

(١) زيد عند الأزدي: ورجاء.
(٢) زيد عند الأزدي: فيكون سيرك - أصلحك الله - عناء وفضلا.
(٣) ورد الكتاب إلى عمر مع ميسرة بن مسروق العبسي (فتوح الواقدي ١ / ٢٣٥).
(٤) قارن مقالة عثمان في فتوح الواقدي ١ / ٢٣٦ والأزدي ص ٢٤٩ وبين النصوص اختلاف.
(٥) قارن مع الأزدي ص ٢٥٠ وفتوح الشام للواقدي ١ / ٢٣٦.

وجندك، فإذا قدمت عليهم كان الامر (١) والعافية والصلح والفتح إن شاء الله، وأخرى فإني لست آمن الروم إن هم أيسوا من قولك الصلح وقدومك عليهم أن يتمسكوا بحصنهم ويلتئم إليهم إخوانهم من أهل دينهم فتشتد شوكتهم ويدخل على المسلمين من ذلك البلاء ويطول أمرهم وحربهم ويصيبهم الجهد والجوع، ولعل المسلمين أن يقتربوا من الحصن فيرشقونهم بالنشاب أو يقذفونهم بالحجارة، فإن أصيب بعض المسلمين تمنيت أن تكون قد افتديت قتل رجل مسلم من المسلمين (٢) بكل مشرك إلى منقطع التراب، فهذا ما عندي والسلام.

فقال عمر رضي الله عنه: أما أنت يا أبا عمرو! فقد أحسنت النظر في مكيدة العدو، وأما أنت يا أبا الحسن! فقد أحسنت النظر لأهل الاسلام، وأنا سائر إلى الشام إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.

قال: ثم دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فأمره أن يعسكر بالناس. قال: فعسكر العباس خارج المدينة، واجتمع المسلمون من وجوه المهاجرين والأنصار وسادات العرب.

فلما تكامل العسكر وعزم عمر على المسير إلى الشام قام في الناس خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إني خارج إلى الشام للامر الذي قد علمتم، ولولا أني أخاف على المسلمين لما خرجت، وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالمدينة، فانظروا إلى حزبكم أمر عليكم به، واحتكموا إليه في أموركم واسمعوا له وأطيعوا، أفهمتم ما أمرتكم به؟ فقالوا: نعم، سمعا وطاعة. فقال عمر (٣): الحمد لله الذي أعزنا بالاسلام، وأكرمنا بالايمان، وخصنا بالقرآن، ورحمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهدانا به من الضلالة، وبصرنا به من الجهالة، ورفعنا به

من الخمولة، وجمعنا به بعد الشتات والفرقة، وألف بين قلوبنا، ونصرنا على أعدائنا، ومكن لنا في البلاد، وجعلنا به إخوانا متحابين، فاحمدوا الله عباد الله! على هذه النعمة، وسلوه المزيد فيها والشكر عليها، فإن الله يزيد المستزيدين

---

(١) في المصدرين: الامن.

(٢) عند الأزدي: من المسلمين بمسيركم إلى مقطع التراب.

(٣) الأزدي ص ٢٥٠ - ٢٥١. وفتوح الواقدي ١ / ٢٣٦ - ٢٣٧ وفيه أنه كان إذا نزل منزلا لا يبرح منه حتى

يصلي الصبح فإذا انفتل من الصلاة أقبل على المسلمين وقال:

الراغبين، ويتم نعمته على الشاكرين، ألا! وإني راحل غدا إن شاء الله ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله العظيم لي ولكم.
قال: ثم نزل عن المنبر وأمر الناس بالجهاز، وخرج على بعير له، وعلى البعير غرارتان: في إحداهما سويق شعير وفي الأخرى تمر، وبين يديه قربة الماء، ومن خلفه جفنة يصب فيها أحيانا من ذلك السويق ويبله بالماء، وهو مع ذلك صائم، فإذا كان الليل ونزل الناس نزل عمر رضي الله عنه في آخر العسكر كواحد من الناس ليس له زاد أكثر من سويق الشعير والتمر.
فلم يزل كذلك حتى إذا دنا من أرض الشام بلغ ذلك أبا عبيدة والمسلمين، فاستقبلوه، فإذا هو على بعير له وعليه جبة من صوف وعباءة قطوانية قد تقلد بسيفه وتنكب قوسا له عربية، فلما نظر إليه أبو عبيدة نزل عن فرسه إجلالا له، قال: ونظر عمر إليه أنه قد نزل عن فرسه فأناخ بعيره ونزل عنه، ومشى كل واحد منهما إلى صاحبه، فلما دنا منه أبو عبيدة أهوى عمر بيده إليه ليصافحه، فأخذ أبو عبيدة يد عمر ليقبلها تعظيما له في العامة، فلما أهوى أبو عبيدة ليقبل يد عمر أهوى عمر ليقبل رجل أبي عبيدة، فتنحى أبو عبيدة سريعا وقال: مه يا أمير المؤمنين! فتعانقا جميعا ثم افترقا وركبا، فتسايرا وسار الناس معهما حتى صار عمر إلى دمشق فنزل على باب الجابية.
قال: وأقبل إليه الناس قبيلة بعد أخرى، فجعلوا يسلمون عليه، وفيمن أقبل إليه يومئذ بلال وأبو هريرة وأبو الدرداء أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله)،
فأقبل عليه أبو عبيدة فقال: يا أمير المؤمنين! لو ألقيت عنك هذا الصوف ولبست البياض من الثياب لكان أهيب لك في قلوب هؤلاء الكفار، فقال عمر: لا أحب أن أعود نفسي ما لم تعتده، فعليكم يا معشر المسلمين بالقصد! وإياكم وهذه الخيل الهماليج! فإنه ما ركبها أحد قط إلا أعجبته نفسه، وعليكم بهذه الإبل التي أعزكم الله بها ونصركم ببدر وأنتم تقاتلون عليها. قال: ثم أقبل عمر على أبي عبيدة رضي الله عنهما فقال: ما فعل يزيد بن أبي سفيان! ما فعل معاذ بن جبل! أين جماعة المسلمين؟ فقال: يا أمير المؤمنين! العسكر كله نازل على إيلياء ونحن محاصرون أهلها، فقال عمر: ارحلوا إليهم على بركة الله.
قال: فرحل الناس معه إلى إيلياء ومعهم عمر حتى إذا قارب منها استقبله أجل

الناس وفرسان المسلمين (١) عليهم الديباج مما قد أصابوا من غنائم الروم (٢)، فلما نظر إليهم عمر رضي الله عنه على تلك الحالة أمر بهم فنزلوا عن دوابهم، ثم أمر بالتراب فحثي عليهم، وأمر بما عليهم من الديباج فمزق، ثم قال: أتلبسون الديباج وهو عليكم حرام؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين! إنا في جهاد وهذا من آلة الحرب، قال: فلابد لكم من الصلاة والصلاة فيه حرام، إلا أن تلبسوه في وقت الحرب فإذا أردتم الصلاة فانزعوه، فان نبيكم محمدا (صلى الله عليه وسلم وآله) قد نهى عن ذلك، قال: إن الذهب والحرير حرام على ذكور أمتي، حلال لإناثهم.

قال: وأقبل إليه يزيد بن أبي سفيان فقال (٣): يا أمير المؤمنين! إنا في بلد الخصب والدعة، والسعر عندنا بحمد الله رخيص، والخير عندنا كثير من الأموال والدواب والعيش الرفيع، وحال المسلمين كما تحب، فالبس ثيابا بياضا واكسها الناس واركب الخيل (٤) واحمل الناس عليها، فإنه أعظم لك في عيون الكفار، وألق عنك هذا الصوف، فإنه إذا رآك العدو على هذه الحال ازدراك، فقال عمر: يا يزيد (٥)! ما أريد أن أتزيا للناس بما يشيننى عند الله عز وجل، ولا أريد أن يعظم أمرى عند الناس ويصغر عند الله عز وجل، فلا ترادني بعدها في شئ من هذا الكلام.

قال: ثم أقبل حتى نزل على باب مدينة بيت المقدس وأرسل إليهم يأمرهم أن ينزلوا على حكمه وأن يوجهوا إليه من يثقون به حتى يكتب لهم الأمان، قال: فأقبل إليه رجل من المستعربة يكنى أبا الجعيد (٦) فصالحه عن القوم على أداء الجزية والاقرار في البلد، فأجابه عمر رضي الله عنه إلى ذلك وكتب لهم كتابا (٧) يتوارثونه

---

(١) ومنهم أبو الأعور السلمي (فتوح الأزدي ص ٢٥٣).

(٢) في فتوح الواقدي: مما أخذوا من اليرموك.

(٣) فتوح الواقدي ١ / ٢٣٩ وفتوح الأزدي ص ٢٥٣ باختلاف النصوص.

(٤) الأزدي: وركبت من هذه الدواب الغرة.

(٥) زيد عند الأزدي: (لا والله. لا أدع الهيئة التي فارقت عليها صاحبي) وكان عمر لم يترك هيئته على الامر الذي كان عليه في حياة رسول الله (ص) وحياة أبي بكر (رض) حتى خرج من الدنيا.

(٦) كذا بالأصل وفتوح الواقدي، وفي فتوح الأزدي ص ٢٥٤: ابن الجعيد. وفي الطبري ٤ / ١٦٠ والكامل لابن الأثير ٢ / ١٣٢: صالحه العوام من أهل إيليا.

(٧) نسخة كتاب عهد عمر في الطبري ٤ / ١٥٩ ومختصرا في تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٧ والوثائق السياسية وثيقة ٣٥٧ / ألف.

إلى يومنا هذا - والله أعلم.
ذكر إسلام كعب الأحبار (١).
قال: ثم دخل عمر رضي الله عنه إلى بيت المقدس، ونزل في كنيستها العظمى. قال: وأقبل إليه كعب الأحبار يريد الاسلام فعرض عليه عمر الاسلام وقرأ عليه (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا) (٢)، فلما سمع كعب ذلك أسلم من ساعته. ثم قال: يا أمير المؤمنين! مكتوب في التوراة (إن هذه البلاد التي كانت بنو إسرائيل أهلها يفتحها الله عز وجل على يد رجل من الصالحين، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، سره مثل علانيته [وعلانيته مثل سره]، قوله لا يخالف فعله (٣)، القريب والبعيد عنده في الحق سواء، أتباعه قوم من أهل التوحيد رهبان الليل فرسان (٤) النهار، متراحمون متواصلون متباذلون، يغسلون فروجهم ويتزرون على أوساطهم، أناجيلهم في صدورهم وصدقاتهم في بطونهم، ألسنتهم رطبة بالتكبير والتقديس والتهليل، وهم الحامدون الذين يحمدون الله عز وجل على كل حال، وفي سهول الأرض والجبال، أول أمة تدخل الجنة يوم القيامة). قال فقال عمر: ويحك يا كعب! أحق ما تقول؟ فقال كعب: إي والذي يسمع ما أقول. قال: فخر عمر رضي الله عنه ساجدا ثم رفع رأسه فقال: الحمد لله الذي أعزنا وأكرمنا ورحمنا وشرفنا بنبينا محمد صلى الله عليه وآله، ثم أقبل عمر على الناس فقال: يا أهل الاسلام! أبشروا فإن الله عز وجل قد صدقكم الوعد ونصركم على الأعداء وأورثكم البلاد، فلا يكونن جزاؤه إلا الشكر، وإياكم والمعاصي والعمل بها، فإن العمل بالمعاصي يدل على كفر النعمة، وليس من قوم كفروا النعمة ثم لم ينزعوا إلى التوبة إلا سلبهم الله عزهم وسلط عليهم عدوهم.
قال: فأقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمدينة بيت المقدس أياما، وأقبل

---

(١) قارن مع فتوح الشام للواقدي ١ / ٢٤٢ وفتوح الأزدي ص ٢٥٩ باختلاف النصوص وزيادة.
(٢) النساء: ٤٧.
(٣) الأزدي: قلبه.
(٤) الأزدي: أسد.

إليه عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين! إن أهل هذا البلد يأتوننا بعصير لهم قد عصروه من العنب، ثم يأتوننا به مطبوخا حلوا قبل أن يغلى كأنه الرب من شدة حلاوته، قال عمر: قل لهم: فليأتونا بشئ منه حتى ننظر إليه. قال: فأتي بشئ منه في إناء من قوارير حتى وضع بين يديه، قال: فشمه عمر رضي الله عنه ثم قال لأهل البلد: كيف تصنعون بهذا؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين! نعصره في كرومنا ثم نصبه في القدور من ساعته فنطبخه أبدا حتى يذهب منه الثلثان ويبقى الثلث، فقال عمر: إن كان هذا على ما وصفتم فقد ذهب حرامه وبقي حلاله، قال: ثم أدخل عمر إصبعه فيه وذاقه ثم قال: هذا الذي لا شك في حله فاشربوا على بركة الله وكلوا منه ما دام حلوا، فإذا علمتم أنه قد غلى فلا تشربوه.

قال: ثم رفع عمر رضي الله عنه رأسه فجعل ينظر إلى القسيسين والرهبان واجتهادهم فيما هم فيه من العبادة وعليهم المسوح والبرانس، فقال (١): الحمد لله الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء، قال: فسمعه بعض القسيسين قال: إن الله لا يضل أحدا، قال: فلم يفهم عمر ما تكلم به، فأعاد الكلام فقال: الحمد لله الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فقال القس: إن الله لا يضل أحدا، قال: فسمعه عمر فقال: يا عدو الله! أما والله لولا العهد والميثاق الذي كتبته لكم إذا لضربت عنقك! أتزعم أن الله لا يضل أحدا؟ بلى! قد أضلك وختم على قلبك وجعل على بصرك غشاوة ثم إنه يدخلك النار غير ظالم لك، قال: فسكت القس ولم ينطق بشئ خوفا
من عمر.

قال: ثم نادى عمر رضي الله عنه في أصحابه بالرحيل على أن يرجع إلى المدينة، ثم خرج وخرج معه أبو عبيدة وجماعة من المسلمين يشيعونه، حتى إذا خرج من حدود الشام فأمرهم بالرجوع، فرجعوا عنه.

وسار عمر رضي الله عنه يريد المدينة، فبينا هو كذلك إذ مر بماء من مياه العرب من بني جذام (٢) يقال له ذات المنار (٣) فنزل عمر هنالك، فأقبل إليه أهل ذلك

---

(١) جاء قوله هذا خلال خطبة ألقاها بعد وصوله إلى الجابية. انظر فتوح الشام للازدي ص ٢٥٢ وفتوح الشام للواقدي ١ / ٢٣٨ وكان ذلك قبل اتمام صلح بيت المقدس.

(٢) عند الأزدي ص ٢٦٢ (يقال لهم حدس) والخبر في فتوح الواقدي ١ / ٢٣٧ وذكره لما سار عمر بن الخطاب من المدينة إلى الشام.

(٣) ذات المنار: موضع في أول أرض الشام من جهة الحجاز.

الماء فسلموا عليه ورحبوا به وعرضوا عليه فقال عمر رضي الله عنه: ما لي إليكم من حاجة، ولكن إن كانت لكم قبلي حاجة فقولوا! فقال رجل منهم: يا أمير المؤمنين! عندنا ههنا رجل له امرأتان وهما أختان أفيحل ذلك؟ فاشمأز (١) عمر من قوله ثم قال: ويحك وكيف يحل ذلك وقد قال الله عز وجل (وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف) (٢) ثم قال عمر رضي الله عنه: علي بهذا الرجل، فأتي به فقال له عمر رضي الله عنه: ما هاتان المرأتان اللتان عندك؟ فقال الرجل هما امرأتاي، فقال عمر: فهل بينهما قرابة؟ قال: نعم، هما أختان، فقال عمر رضي الله عنه: فما دينك ألست مسلما؟ قال: بلى! قال عمر: أفعلمت أن هذا عليك حرام؟ فقال الرجل: لا والله ما علمت، وما هما على حرام، فقال له عمر رضي الله عنه: كذبت والله يا عدو نفسه وإنه لحرام عليك! ولتخلين إحداهما أو لأضربن عنقك من قبل أن أكلمك كلمة ولكنه إنما حقنت دمك بقولك إنك لا تعلم أنه حرام، قال: فقال له الرجل: أجاد أنت في قولك يا عمر؟ فقال عمر: والله الذي لا إله إلا هو إني لجاد فيما تسمعه! ولتخلين إحداهما أو لأضربن عنقك، فقال الرجل: نزح (٣) الله هذا من دين، فوالله ما أصبت منه خيرا منذ دخلت فيه، قال: فقال عمر: قربوه مني، فأدنوه منه، فخفق عمر رأسه بالدرة خفقات ثم قال: يا عدو الله! أتشتم دين الله الذي ارتضاه لنفسه وملائكته وأنبيائه ورسله وخيرته من خلقه، خل سبيل إحداهما وإلا
قتلتك، قال الرجل: فأيتهما أخلي؟ قال: اقرع بينهما سهمين لكل منهما سهم ثم اضرب، فإذا خرج سهم إحداهما فامسكها عندك وخل سبيل الأخرى.
قال: ففعل الجذامي ما أمر به عمر، فلما خلى سبيل إحداهما دعا به عمر رضي الله عنه فقال: اسمع مني ما أخبرك به، إذا أسلم الرجل ودخل في ديننا هذا ثم رجع عنه قتلناه، فإياك أن يحملك الغضب لما أمرتك أن تفارق الاسلام فتقتل (٤)، وإياك أن يبلغني عنك أنك دخلت إلى هذه المرأة التي فارقتها أو دنوت

---

(١) الواقدي: فغضب.
(٢) النساء: ٢٣.
(٣) الأزدي: قبح.
(٤) في رواية ابن مسعود عن رسول الله (ص) قال: لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة.

منها بعد إذ فرقت بينكما فإنه إن بلغني عنك ذلك رجمتك، فقال الجذامي: قد قبلت وصيتك يا أمير المؤمنين.

قال: ثم سار عمر من هنالك حتى صار إلى وادى القرى، (١) فلما نزل هنالك أقبل إليه أهل البلد فقالوا: يا أمير المؤمنين! عندنا ههنا امرأة قد كنا نعرف لها زوجا واحدا وكان شيخا كبيرا واليوم لها زوج آخر، وهما جميعا يغدوان إليها ويروحان، قال: فتبين الغضب في وجه عمر رضي الله عنه ثم قال: علي بهما وبالمرأة، فأتي بهم فلما وقف الرجلان بين يدي عمر سأل عن دينهما فقالا: مسلمان، قال: فالمرأة؟ قالا: مسلمة، قال: فما الذي بلغني عنكما وعن هذه المرأة أنكما جميعا تغدوان إليها وتروحان؟ أما علمتما أن هذا عليكما حرام؟ فقالا: لا والله ما علمنا أن هذا حرام علينا، فقال عمر للمرأة: أيهما زوجك الأول؟ فقالت: هذا الشيخ، فقال له عمر: ويحك يا شيخ! ما حملك على ما صنعت وما هذا الامر القبيح لم أسمع ببر ولا فاجر فعل مثله؟ فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين! أنا شيخ كبير كما ترى وقد ضعفت ورق جلدي ودق عظمي، وكانت لي إبل كثير فضعفت عن رعيها وسقيها ولم يكن لي ولد ولا أحد أتكل عليه وأثق به في أمرها، فجاءني هذا الشاب يسألني أن أجعل له معي في هذه المرأة نصيبا يكون له يوما وليلة ويكفيني رعي إبلي وسقيها، فقلت في نفسي: هذا رجل له على الرعي والسقي قوة وجلد وأنا ضعيف لا أقدر على ذلك، فكان يكفيني رعي إبلي وله من المرأة ما خبرتك، فإذ قد خبرتني أنه حرام فإني لا أعود إلى ذلك ولا أفعله أبدا، فقال له عمر: أيها الشيخ! خذ امرأتك فإنها لك وليس لاحد معك فيها نصيب ولا له عليها سبيل، قال: ثم أقبل عمر رضي الله عنه إلى الشاب فقال: أما أنت فقد حلفت أنك لم تعلم أن هذا عليك حرام ولكن انظر ما آمرك به، إياك أن يبلغني عنك أنك نازلت هذا الشيخ على ماء من المياه! فوالله لئن بلغني أنك نازلته على ماء أو دنوت من هذه المرأة بعد هذا اليوم لأضربن عنقك، قال فقال الفتى: لست أنزل معهم ولا أقربهم يا أمير المؤمنين.

قال: ورحل عمر بن الخطاب رضي الله عنه من وادي القرى حتى صار إلى المدينة وتلقاه المسلمون يهنئونه بقدومه وسلامته وما أفاء الله عز وجل عليه من أمر فلسطين وما والاها.

---

(١) وادي القرى: واد بين المدينة والشام، من أعمال المدينة كثير القرى.

ذكر خبر جبلة بن الأيهم الغساني وما كان من
إسلامه ورجوعه عن دين الاسلام.
قال: بعد قدوم عمر بن الخطاب من أرض الشام قدم عليه جبلة بن الأيهم الغساني في سبعين ومائة (١) رجل من قومه المتنصرة يريد الاسلام، حتى إذا قرب من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بني عمه من آل جفنة فركبوا الخيل العتاق وقلدوها قلائد
الفضة وعقدوا في نواصيها عقود الجوهر وفي أذنابها ذوائب الحرير، وجبلة يومئذ على فرس له قد زين بمثل تلك الزينة، وعلى رأسه تاج، وفي تاجه يومئذ قرط مارية، ومارية جدته أم أبيه.
قال: وبلغ أهل المدينة قدوم جبلة بن الأيهم عليهم فاستبشرت الأنصار لذلك وتهيؤا لاستقباله واستأذنوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فأذن لهم، قال: ولم يبق بالمدينة بكر ولا ثيب (٢) إلا خرجت للنظر إلى جبلة. قال: وأشرفت جبلة على المدينة في موكب لم ير مثله، ثم إنه دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وشهد بشهادة الحق، فقربه عمر وأدنى مجلسه ورفع منزلته وفرح باسلامه، وأمر الأنصار ببره وكرامته ففعلوا ذلك.
قال: وأقام جبلة بالمدينة إلى أن حضر وقت الحج، فخرج الحاج وخرج معه عمر ليقيم لهم أمر الحج، قال: وخرج جبلة أيضا فيمن خرج إلى الحج، ثم أمر بقبة له ديباجة صفراء فضربت له خارج الحرم، وكان زيه مشهورا بمكة لا ينظر إليه أحد إلا بعين الجلالة.
قال: فبينا جبلة ذات يوم يطوف بالبيت كما يطوف غيره إذ وطئ رجل من فزارة على إزاره فانحل الإزار، والتفت إليه جبلة فضربه يكفه ضربة على وجهه هشم أنفه، فأقبل الفزاري إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودمه يسيل من أنفه، فخبره بقصته.
قال: وبعث عمر إلى جبلة فأحضره ثم قال له: ويحك! ما حملك على ما

---

(١) في الأغاني ١٥ / ١٦٣ (ألف من أهل بيته) وفي رواية أخرى في الأغاني والعقد الفريد ٢ / ٥٦ في خمسمئة.
(٢) في الأغاني: (عانس) وفي العقد: النساء والصبيان.

فعلت بهذا الرجل؟ قال: يا أمير المؤمنين! إنه اعتمد حل إزاري ليبدى سوأتى، ولو لا حرمة (١) هذا البيت لضربته بسيفي، فقال له عمر: أما أنت فقد أقررت بما فعلت ولكن أرض الرجل في حقه وإلا أقدته منك، قال جبلة: أو تفعل هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم والله أفعله، قال جبلة: إنه رجل من السوقة وأنا ملك ابن ملك، والله لقد ظننت أن أكون في الاسلام أعز مني في الجاهلية، قال فقال له عمر: إن الاسلام وعدله بخلاف الجاهلية فأرضه من نفسك، قال جبلة: فإن لم أرضه؟ قال عمر: فإن لم ترضه أمرته أن يهشم أنفك كما هشمت أنفه قصاصا كما فعلت. فإن الاسلام جمعك وإياه، فما تفضله بشئ إلا بالتقوى. قال: فلما رأى جبلة أن عمر لا يأبى إلا القصاص لم يجدا بدا من الاستخذاء في وقته ذلك فقال (٢): نعم يا أمير المؤمنين! غير أني ناظر في أمري ليلتي هذه، فقال عمر: ذلك إليك.

قال: فانصرف جبلة يومه ذلك، فأقبلت الأنصار إلى عمر فقالوا: يا أمير المؤمنين! نحن نرضي هذا الفزاري عن جبلة فإنه رجل من سادات غسان، ونحن نقتدي هذه اللطمة، فقال عمر: والله! لا يقتص الفزاري إلا من جبلة.

قال: فانصرف الناس عن عمر رضي الله عنه، حتى إذا نامت العيون وسكنت الحركات خرج جبلة في قومه الذين قدموا معه وهم سبعون ومائة (٣) إنسان ومضى متوجها نحو الشام، فأصبحت مكة منه ومن بني عمه بلاقع.

قال: ومضى جبلة في قومه الذين قدموا معه إلى بني عمه الذين هم بالشام مقيمون، فخبرهم بذلك ثم أمرهم بالرحيل معه، فرحل القوم وهم خلق كثير، فسار بهم جبلة حتى دخل بهم بلاد الروم ثم أقبل قاصدا إلى القسطنطينية، فدخل على هرقل ملك الروم فتنصر هو وجميع من كان معه من بني عمه، قال: ففرح به هرقل فرحا شديدا ورأى أنه فتح فتحا عظيما، ثم إنه أقطعه وأقطع بني عمه حيث شاؤوا من أرض الروم، ثم إنه جعل جبلة من خواصه ووزيره وصاحب أمره، فأقام جبلة عند

---

(١) الأغاني: لولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف. وعبارة العقد: لولا حرمة هذا البيت لاخذت الذي عيناه.

(٢) الأغاني والعقد: قال: إذن أتنصر. قال: إن تنصرت ضربت عنقك لأنك قد أسلمت، فإن ارتددت قتلتك، فلما رأى جبلة الصدق من عمر...

(٣) انظر ما مر في ذلك.

ملك الروم في أرفع المنازل وأجلها.
قال: ودعا عمر بن الخطاب بحذيفة بن اليمان فكتب معه كتابا إلى ملك الروم يدعوه إلى دين الاسلام ويرغبه فيه.
قال: فسار حذيفة (١) من المدينة إلى الشام، ثم صار من أرض الشام إلى أرض الروم، قال: وعلمت الروم أنه رسول فكانوا يبذرقونه من موضع إلى موضع حتى بلغ إلى القسطنطينية، ثم دخل على هرقل فدفع إليه الكتاب وأبلغه رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأبى هرقل أن يجيب إلى شئ من ذلك، ثم أقبل على حذيفة فقال له: يا عربي! هل أتيت ابن عمك هذا الذي جاءنا راغبا في ديننا زاهدا في دينكم؟ فقال حذيفة: لا ما أتيته بعد، فقال هرقل: فأته فانظر إلى ما هو عليه، فلعل قلبك يصبو إلى ما صبا إليه.
قال حذيفة: فخرجت من عند هرقل حتى أتيت باب جبلة فلم أكن رأيت بباب هرقل ما رأيت بباب جبلة من العبيد والحشم، ثم استأذنت عليه فأذن لي فدخلت عليه فإذا هو جالس على سرير من جوهر الزجاج وللسرير أربعة أركان من الذهب وأربع قوائم من الفضة، وعلى رأسه تاج من الذهب كثير الزبرجد والياقوت، قال: وإذا هو أصهب ذو سبال (٢) وعثنون طويل، وإذا قد وخطه الشيب، وقد أمر بالذهب الأحمر فسحل (٣) ورمي في لحيته، وقد استقبل عين الشمس بوجهه، فما رأيت منظرا أبهى ولا أحسن منه.
قال حذيفة: فلما رآني حياني ورحب بي وأدناني، ثم إنه عاتبني على تركي النزول عليه، ثم سألني عن أمر الناس وألح علي في المسألة عن عمر بن الخطاب خاصة، فجعلت أخبره بما أرجو عطفه ورجوعه إلى دين الاسلام، قال: فرأيته وقد تنفس الصعداء وعرفت الحزن في وجهه. ثم قال: اجلس يا حذيفة! فجلست على شئ لم أتبينه بديا، فلما تأملت فإذا هو كرسي من ذهب، قال: فانحدرت عنه، وتبسم جبلة ثم قال: إذا طهرت قلبك فلا تبال ما لبست وعلام جلست، قال فقلت:

---

(١) في الإصابة: جثامة بن مساحق بن ربيع بن قيس الكناني. (الأغاني ١٥ / ١٦٤).
(٢) السبال جمع سبلة (بالتحريك)، وهي ما على الشارب من الشعر، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية كلها، أو مقدمها خاصة.
(٣) سحالة الذهب: ما سقط منه إذا برد.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره الذهب وقد نهى عنه، ولكن ويحك يا جبلة! ما الذي
أخرجك عن قومك وملكك وبلادك بعد الذي كان منك من الاسلام والحج إلى بيت الله الحرام وقراءة القرآن؟ فقال: ويحك يا حذيفة! أو ما بلغك الذي كان من أمر عمر؟ أراد أن يقتص مني لرجل من السوقة! فقلت: بلى، لعمري لقد بلغني ذلك، وهذا الأشعث بن قيس الكندي وطليحة بن خويلد الأسدي قد كانا أسلما ثم رجعا عن دين الاسلام ومنعا الزكاة وحاربا وقتلا من المسلمين ثم إنهما رجعا تائبين إلى دين الاسلام، قبل ذلك منهما، فقال جبلة: ذر عنك هذا يا حذيفة!
ثم أشار إلى خادم واقف بين يديه فخرج الخادم ولم أشعر إلا وغلمان قد أقبلوا يحملون صناديق الأطعمة حتى وضعت، ثم وضعت مائدة من ذهب بين يدي سريره، فنزل عن السرير وجلس على بساط بين يدي السرير ثم دعاني، فاستعففت من ذلك وأن آكل على مائة من الذهب، فأمر لي بمائة من الخلنج (١) فوضعت بين يدي، ثم سعى إلينا بكل حار وبارد من طعام ما رأيت ولا سمعت بمثله. قال حذيفة: فكان يوضع بين يديه صحفة من ذهب، ويوضع بين يدي قصعة من خلنج أو جام من قوارير (٢) وفيه من ذلك الطعام الذي يوضع بين يديه، قال: ثم أتي بالخمر، فقلت له: إني رأيت أن تعفني من دورها على المائدة، ففعل، ثم رفعت المائدة وأتي بالوضوء فقدم إليه طشت من ذهب، فلما أخذ في غسل يده قمت فغسلت يدي ناحية من الدار على الأرض - أو قال: في بركة ماء كانت في الدار، ثم رجعت إلى موضعي فجلست فيه.
قال: فدعا بقدح إلى أطول ما هو، فشرب فيه خمسا أو ستا أعد ذلك عليه، ثم أشار بعينه إلى خادم له واقف بين يديه، قال: فخرج الخادم فما كان بأسرع أن نظرت إلى عشر جوار قد أقبلن كأنهن التماثيل يحملن كراسي العاج والابنوس مغشاة بجلود النمور وجلود الجرو السمور حتى وضعت عن يمينه ويساره، ثم نظرت وإذا بعشر جوار عليهن الوشي والديباج المذهب وهن يتبخترن في الذهب والجوهر، فأقبلن حتى جلسن على تلك الكراسي وعيدانهن في حجورهن، قال: وإذا بجارية أخرى قد أقبلت وفي يدها إناء من ذهب مملوء بالمسك والعنبر والكافور المسحوق،

---

(١) الخلنج شجر تتخذ من خشبة الأواني ونحوها.
(٢) جام: إناء، وهو كما ذكر اللغويون من فضة. والقوارير: الزجاج.

وفي يدها اليسرى جام من فضة مملوء بماء الورد على رأسها طائر أبيض كأنه الثلج بياضا، حتى وقفت بين يدي جبلة، ثم صفرت للطائر فانفض من فوق رأسها حتى سقط في جام ماء الورد، فأخذ ما فيه بريش ذنبه وجناحه، ثم صفرت ثانية فطار حتى سقط في جام المسك والعنبر فأخذ ما كان فيه، ثم صفرت ثالثا فطار الطائر حتى سقط على صليب في تاج جبلة، ثم جعل يذر ما بريشه وجناحيه على تاج جبلة ورأسه ووجهه ولحيته، ثم رجع إلى موضعه وتنحت الجارية.

ثم دعا جبلة بكأس عظيم مترع بالخمر فشربه، فلما استوفاه التفت إلى الجواري اللاتي كن عن يمينه فقال لهن: هاتن فأطربنني، قال: فخطفن (١) عيدانهن فاندفعن بصوت واحد. قال: وكان جبلة كلما سمع بيتا من الشعر (٢) فرح واستبشر وتهلل وجهه ثم قال: لله در قائل هذا الشعر! ولله موضع قوم وصف.

قال: ثم دعا بكأس مترع من الخمر فشربه، فلما استوفاه التفت إلى الجواري اللاتي عن يساره، فقال: هاتن فأحزنني، قال: حركت الجواري. أوتار عيدانهن وأمسكن من ضرب عيدانهن، فبكى جبلة حتى تحدرت دموعه على لحيته وخده، وإذا بجارية قد أقبلت ومعها منديل من ديباج أو حرير فمسحت وجهه ولحيته ثم تنحت.

قال حذيفة: فأقبل علي جبلة فقال: يا حذيفة! أتعرف هذه المنازل اللاتي ذكرن هؤلاء الجواري؟ (٣) قال فقلت: أعرف بعضها وأنكر بعضها، فقال: هذه والله منازلنا (٤) بالغوطة من أرض دمشق! ولكن هل تعرف الشعر الأول والثاني؟ فقلت: لا، قال: هذا شعر حسان بن ثابت الأنصاري، كان كثيرا ما يزورنا في

---

(١) في الأغاني: فخفقن بعيدانهن.

(٢) الشعر في الأغاني ١٥ / ١٦٦ والعقد ٢ / ٥٩ - ٦٠.

(٣) ومما غنين: (عن الأغاني ١٥ / ١٦٦ والعقد ٢ / ٦٠):

لمن الدار أقفلت بمعان * بين شاطئ اليرموك فالصمان

فحمى جاسم فأبنية الص * - غر مغنى قنابل وهجان

فالقريات من بلاس فدار * يا فسكاء فالقصور الدواني

ذاك مغنى لآل جفنة في الد * ار وحق تعاقب الأزمان

قد أراني هناك حقا مكينا * عند ذي التاج مقعدي ومكاني

(٤) في الأغاني: في ملكنا بأكناف دمشق.

سالف الدهر، قال حذيفة: فقلت: ما أكثر ذكره لك؟ فقال: ويحك أيعيش حسان؟ فقلت: نعم وقد كف بصره فليس يهتدي برا ولا بحرا، قال: فدعا بخمسمائة دينار وخمس ديباجات وخمسة أثواب حرير ومثلها بزيون (١) فقال: أحب أن توصل هذه إلى حسان، قال: وأراد أن يأمر لي بمثل ذلك فأبيت عليه، فلما أردت الرحيل أقبلت حتى دخلت عليه فقلت: يا جبلة! هل توصيني بشئ أبلغه عنك أمير المؤمنين؟ فقال جبلة: وما عسى أن تكون وصيتي وحاجتي إلى عمر وقد أراد أن يقتص مني بلطمة لرجل من السوقة! قال فقلت: إن عمر أراد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، وإنما أراد أخذ الحق، فقال: صدقت يا حذيفة ولكن اللجاج والشقاء غلب علي فأحلني هذا المحل، ولوددت أني مت قبل ذلك، ولوددت أني في ديار قومي في أسوء حالة تكون.

قال: فحفظت عنه أبياتا (٢)، ثم رحلت إلى بلاد الشام، ثم صرت إلى المدينة فحدثت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بما كان من مرد هرقل ملك الروم علي، ثم حدثته بما كان من أمر جبلة بن الأيهم وأنشدته ما سمعته من شعره، قال: ويحك يا حذيفة! ورأيته يشرب الخمر بعد الاسلام والحج والقرآن؟ فقلت: نعم، يا أمير المؤمنين! قال: ورأيت الصليب على رأسه؟ فقلت: نعم، فقال عمر: أبعده الله! فقد تعجل فانية بباقية فما ربحت تجارته فضل فما اهتدى.

قال فقلت: يا أمير المؤمنين! إنه قد بعث معي إلى حسان بن ثابت بكذا وكذا، ثم جئته به حتى وضعته بين يديه، فقال عمر لرجل من المجلس: انطلق فادع لنا حسانا ولا تعلمه بشئ من هذا، قال: فمضى الرجل فما كان بأسرع أن أقبل حسانا وقائده يقوده، فلما دخل قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته! إني لاجد ريح آل جفنة بين يديك، قال: فتبسم عمر وأهل المجلس ثم قال: نعم يا أبا الوليد! لقد آتاك الله عز وجل منه بمعونة وبر حسن على رغمه أنفه،

---

(١) بالأصل بربون. والبزيون: الديباج الرقيق. وفي العقد: فأمر لي بكسوة ومال، ونوق موقرة برا، ثم قال: فادفع إليه هذه الهدية وإن وجدته ميتا، فادفعها إلى أهله وانحر الجمال على قبره.

(٢) منها: (الأغاني - العقد).

تنصرت الاشراف من عار لطمة * وكان فيها لو صبرت لها ضرر
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني * رجعت إلى الامر الذي قال لي عمر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة * أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

فأحمد الله تعالى على ذلك وأشكره إذ نزع لك هذا منه، قال: فقبض حسان ذلك.
ذكر الطاعون الذي وقع بالشام ومن مات
هنالك من المسلمين.
قال: ثم وقع الطاعون بالشام بأرض يقال لها عمواس (١) من بلاد فلسطين،
قال: وعمواس قرية من قرى مدينة الرملة، قال: فمات من ذلك بشر كثير من المسلمين ممن كان مع أبي عبيدة بن الجراح من أمراء الأجناد وغيرهم، قال: ونزل بأبي عبيدة ما نزل بغيره، فلما حضرته الوفاة بعث إلى وجوه المسلمين فدعاهم، فلما دخلوا عليه وجلسوا إليه أقبل عليهم بوجهه فقال: أيها الناس! إني موصيكم بوصية فاقبلوها فإنكم لن تزالوا بخير ما بقيتم متمسكين بها وبعد موتكم، أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا وتصدقوا وحجوا وتواضعوا وتباذلوا وتواصوا وانصحوا (٢)
أمراءكم ولا تغرنكم الدنيا (٣)، فإن أحدكم لو عمر ألف سنة ما كان له بد من أن يصير
إلى مثل مصيري (٤) هذا الذي ترون، لان الله عز وجل قد كتب الموت على بني آدم فهم متوفون، وأكيسهم أطوعهم لربه وأعملهم ليوم معاده.
قال: ثم التفت أبو عبيدة إلى معاذ بن جبل فقال: أبا عبد الرحمن! صل بالناس رحمك الله! فقد استخلفتك عليهم من بعدي. قال: ثم توفى أبو عبيدة رحمة الله عليه بالأردن من أرض الشام، وبها قبره.
قال: وقام معاذ بن جبل بعد أبي عبيدة بأمور المسلمين، فخطب الناس بعد وفاة أبي عبيدة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! توبوا إلى الله توبة نصوحا، فليس من عبد يلقى الله وهو غير تائب من ذنبه إلا كان حقيقا على الله أن لا يغفر له إلا أن تتداركه الرحمة، وانظروا! من كان عليه منكم دين فليقضه، فإن العبد

---

(١) عمواس: رواه الزمخشري بكسر أوله، وسكون ثانيه، وهي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس. وضبطها ياقوت بكسر أوله وفتح ثانيه: وقيل هي قرية صغيرة بين القدس والرملة.
(٢) عند الأزدي ص ٢٦٧ واصدقوا أمراءكم، ولا تغشوهم.
(٣) الأزدي: ولا تلهكم الدنيا.
(٤) الأزدي: مصرعي.

مرتهن بدينه، ومن أصبح منكم مهاجرا (١) لأخيه المسلم فليلقه وليصافحه فإنه لا ينبغي للمؤمن أن يهجر أخاه أكثر من ثلاثة أيام (٢)، أيها الناس! إنكم قد فجعتم برجل، والله ما أعلم أني رأيت عبدا من عبيد الله أعلن (٣) أمرا ولا أبر صدرا ولا أبعد من الغائلة ولا أشد حبا للعافية ولا أنصح لعامة المسلمين (٤) منه، فرحمة الله على أبي عبيدة! فوالله (٥) لاثنين عليه ما حييت ثناء صادقا، ولا أقول فيه باطلا، ولا أخاف أن يلحقني في ذلك من الله تبارك وتعالى مقت ولا غضب، كان والله - ما علمت - من
المخبتين المتواضعين الذين يرحمون اليتيم والمسكين ويبغضون الجبارين والمتكبرين.
قال: فقال عمرو بن العاص لرجل كان إلى جنبه: لعمري لقد استعمله أبو
عبيدة فرضي عنه وأحسن الثناء عليه، قال: فجاء ذلك الرجل إلى معاذ فخبره بمقالة عمرو، فأرسل إليه معاذ فدعاه ثم قال: يا عمرو! أتزعم أن ثنائي على أبي عبيدة بن الجراح لأنه ولاني هذا الامر من بعده؟ إن كنت صادقا فأماتك الله بمثل هذه الموتة التي [توفي] فيها أبو عبيدة، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله قد خبرنا أنها ميتة الصالحين (٦)، وإن كنت كاذبا فأماتني الله بها وأبقاك إلى الفتنة فإنك تحب الإمارة جدا ولعلك أن تعطي فيها سؤلك يا عمرو! قال: فقال عمرو بن العاص: أقسمت عليك أبا عبد الرحمن أن لا تغضب ولا تقل إلا خيرا! فوالله ما أردت بك مساءة قط! قال: فسكت معاذ فلم يرد عليه.
ثم كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتابا فيه (٧): بسم الله الرحمن

---

(١) الأزدي: مصارما مسلما فليلقه وليصالحه إذا لقيه ويصافحه.
(٢) زيد عند الأزدي: والذنب في ذلك عظيم عند الله.
(٣) الأزدي: أقل غمرا.
(٤) زيد عند الأزدي: ولا أشد عليهم تحننا وشفقة.
(٥) هذا القول لمعاذ جاء عند الأزدي ص ٢٦٨ بعدما دفن أبو عبيدة، انظر مقالته كاملة عنده بعدما وضعوه في قبره وسفوا عليه التراب.
(٦) إشارة إلى حديث رواه أحمد في مسنده ٣ / ٤٣٧ قال (ص): اللهم اجعل فناء أمتي في سبيلك بالطعن والطاعون. وفي رواية أخرى عنده ٤ / ٣٩٥ قال (ص): اللهم اجعل فناء أمتي بالطعن والطاعون.
(٧) نسخة كتابه في فتوح الأزدي ص ٢٧٣ والوثائق السياسية وثيقة رقم ٣٥٧ / ج ص ٤٨٩.

الرحيم (١)، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من معاذ بن جبل، سلام عليك، أما بعد! فإنا ننعي إليك رجلا عندنا أمينا، وكان الله عز وجل في عينه عظيما، وكان عليك وعلينا عزيزا، أبا عبيدة بن الجراح، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر! فإنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله عز وجل نحتسبه ونحتسب أنفسنا من بعده، وكتبت إليك يا أمير المؤمنين كتابي هذا وقد فشا هذا الموت في الناس وكثر الوباء جدا، ولن يخطئ الموت أحدا، ومن لم يمت فسوق يموت، جعل الله عز وجل ما عنده خيرا من هذه الدنيا الدنية! (٢) وجزاك الله عن خاصتنا وعامتنا خير الجزاء! فنعم أخو الإسلام أنت لنا شاهدا وغائبا، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال: فلما ورد كتاب معاذ بن جبل على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقرأه استعبر باكيا، ثم نعاه إلى جلسائه فجزعوا عليه وبكوا بكاء شديدا وترحموا على أبي عبيدة.

قال: واشتد الطاعون بالشام وفشا الموت في الناس، فقال عمرو بن العاص: أيها الناس (٣)! إن هذا الوباء قد وقع فيكم. إنما هو وخز من الجن، فمن أقام به هوى ومن انحاز عنه نجا.

قال: فبلغ قوله معاذ بن جبل فكأنه غضب لذلك ثم قال: ويح عمرو بن العاص! إنه ليقول ما ليس له به علم، أتراه قد صار؟

ثم نادى معاذ بن جبل في المسلمين فجمعهم حتى تكاملوا عنده فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إنه قد بلغني كلام عمرو بن العاص في هذا الوباء الذي يبتلي الله عز وجل به من يشاء من خلقه، والله لقد أسلمنا وصلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن عمرا يومئذ لاضل من حمار شارد عن أهله، وليس الامر في الوباء كما قال عمرو بن العاص، لكنها رحمة من ربكم ودعوة نبيه صلى الله عليه وسلم وميتة الصالحين من قبلكم (٤). ثم قال: اللهم! أعط معاذا وآل معاذ من هذا

---

(١) سقطت البسملة عند الأزدي والوثائق.

(٢) عند الأزدي: وإن أبقانا أو أهلكنا فجزاك.

(٣) في الطبري ٤ / ٢٠٢ إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتغل اشتعال النار. وعند الأزدي ص ٢٦٩ إن هذا الطاعون هو الرجز الذي عذب الله به بني إسرائيل مع الجراد والقمل والضفادع والدم.

(٤) راجع الصفحة السابقة حاشية رقم ٦. وانظر مسند أحمد ٤ / ١٩٥ - ١٩٦.

الوباء الحظ الأوفر، إنك على كل شيء قدير.
ذكر وفاة معاذ وولده عبد الرحمن.
قال: ثم انصرف معاذ بن جبل إلى منزله فإذا بابنه قد نزل به الطاعون، فلما نظر إليه معاذ على تلك الحالة (١) قال: يا بني (الحق من ربك فلا تكونن من الممترين)، فقال عبد الرحمن: يا أبة (ستجدني إن شاء الله من الصابرين). (١) قال: ثم مات عبد الرحمن بن معاذ رحمة الله عليه، فأمر بغسله وكفنه وحنوطه، ثم صلى عليه ودفنه.
فلما رجع إلى منزله نزل به ما نزل بابنه من الطاعون، فسقط على فراشه، فجعل المسلمون يختلفون إليه ويدعون له بالسلامة والعافية ويخافون عليه من الموت، فكان لا يدخل عليه قوم منهم إلا وعظهم وقال: أيها الناس! اعملوا وأنتم (٢) تستطيعون العمل (٣) من قبل أن تتمنوا العمل فلا تجدون إلى ذلك سبيلا، أيها الناس! أنفقوا مما عندكم ليوم معادكم من قبل أن تهلكوا وتذروا ذلك كله ميراثا، واعلموا أنه ليس لكم من أموالكم إلا ما أكلتم فأفنيتم، ولبستم فأبليتم، وأنفقتم وأعطيتم ما مضيتم، وما سوى ذلك فللوارثين.
قال: فقال رجل من الصحابة: يا أبا عبد الرحمن رحمك الله! عظني (٣) موعظة لا أحتاج فيها إلى غيرك، فقد علمت أني لا أذهب إلى أحد مثلك، قال: فنظر إليه معاذ وقال: يا هذا! إن صلحاء المسلمين كثير، ولن يضيع الله عز وجل أهل هذا الدين، ولكن خذ عني ما آمرك، كن من الصائمين بالنهار، القائمين بالليل، المستغفرين بالاسحار، الذاكرين الله كثيرا على كل حال، ولا تشرب الخمر، [ولا تزنين] ولا تعق والديك، ولا تأكل مال اليتيم، ولا تقذف المحصنات، ولا تفر من الزحف، ولا تأكل الربا، ولا تدع الصلاة المكتوبة، ولا تمنع الزكاة المفروضة، وصل رحمك، وكن بالمؤمنين رحيما، [ولا تظلم مسلما، وحج، واعتمر، وجاهد] (٤)، فإذا فعلت ذلك فأنا زعيم لك بالجنة.

---

(١) سورة آل عمران: ٦٠.
(٢) عند الأزدي ص ٢٦٩ وأنتم في مهلة وحياة، وفي بقية من آجالكم.
(٣) الأزدي: علمني شيئا ينفعني الله بك قبل أن تفارقني فلا أراك ولا تراني، ولا أجد منك خلفا، ثم لعلي أن أحتاج إلى سؤال الناس عما ينفعني بعدك.
(٤) ما بين معكوفتين زيادة عن الأزدي.

قال: ثم غمى عليه ساعة، فإذا أفاق من غشيته قال: اللهم اغفر لي ذنوبي فيما مضى من عمري! فأنا أشهد أنك تعلم أني أحبك.
قال: وأغمي عليه ثانية فقام الناس وخرجوا من عنده، وجاءه الليل واشتد به الامر فقال لجاريته: يا فلانة! انظري هل أصبحنا، فنظرت الجارية ثم قالت: لا، فسكت ساعة ثم قال: يا جارية! انظري هل أصبحنا، فنظرت الجارية وقالت: لا، فسكت ساعة ثم قال: يا جارية! انظري هل أصبحنا، فنظرت ثم رجعت فقالت: نعم، فقال معاذ: أعوذ بالله من ليلة يكون صباحها إلى النار! ثم قال: مرحبا بالموت! مرحبا به زائرا جاء على فاقة! لا أفلح بعد الممات من ندم، اللهم! إنك تعلم أني لم أكن أحب هذه الدنيا لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن (١) كنت أحبها لمكابدة الساعات (١) وظمأ الهواجر ومزاحمة العلماء في حلق الذكر.
فقال له رجل من الصحابة (٢): يا أبا عبد الرحمن! زدنا رحمك الله! زدنا من مواعظك وأوصنا بوصية نأخذها عنك، فإنا لا نلتقي في هذه الدنيا، فقال معاذ: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها ليست ساعة الكذب هذه الساعة، إنه لا يموت عبد من عبيد الله وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور (٣) إلا وأدخله عز وجل الجنة وحرم عليه النار.
قال: فقال له عبد الرحمن بن غنم الثمالي: زدنا رحمك الله! فقال معاذ: نعم، عليكم بطلب العلم، فاطلبوه وتعلموه، فإن طلبه عبادة، وتعلمه لله خشية، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل الجنة، والانس في الوحشة والمحدث في الخلوة، والصاحب في الغربة، والسلاح على الأعداء، والتزين عند الاخلاء، والتقرب والدليل على السراء والضراء، يرفع الله عز وجل به أقواما فيجعلهم في الخير قادة يقتدى بهم، وأئمة في الخير يقتص آثارهم ويهتدي بهدايتهم وأفعالهم، وينتهي إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلتهم، [و] بأجنحتها

---

(١) عند الأزدي ص ٢٧١: ولكني كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل وطول الساعات في النهار.
(٢) هو عبدا لله بن الديلمي كما في فتوح الأزدي ص ٢٧١.
(٣) زيد عند الأزدي: ويؤمن بالرسل، وبما جاءت به أنه حق، ويؤمن بالجنة والنار.

تمسحهم، وفي صلاتها يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه، لان العلم حياة القلب من العمى، و [نور] الابصار من الظلمة، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ العبد بالعلم منار الأبرار ومنازل الملوك والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، الفكرة فيه تعدل بالصيام ومدارسته تعدل بالقيام، به يطاع ربنا ويعبد، وبه يعمل له ويحفد، وبه توصل الارحام، ويعرف الحلال من الحرام، يرزقه الله عز وجل السعداء ويحرمه الأشقياء، ألا! وإن المتقين سادة، والفقهاء قادة، والنظر إليهم عبادة، والجلوس إليهم بركة وزيادة.

قال: ثم شهد معاذ بن جبل شهادة الحق وتوفي - رضي الله عنه -. وقد استخلف على المسلمين عمرو بن العاص، وهو الذي صلى عليه وأدخله قبره في رجال. فلما خربوا وحثوا عليه التراب قال عمرو بن العاص: رحمة الله عليك يا معاذ! فلقد (١) كنت ناصحا للمسلمين عظيم الغني عن جماعتهم (١)، كنت مؤدبا للجهال، شديدا على الفاجر [وأيم بالمؤمنين] (٢) وأيم الله لم نجد بعدك مثلك أبدا.

قال: ثم كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما (٣):

بسم الله الرحمن الرحيم (٤)، لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من عمرو بن العاص، سلام عليك، أما بعد! فإنه قد حدث من قضاء الله الذي كتبه على عباده أن توفي معاذ بن جبل رحمة الله عليه، فعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في معاذ وأجرنا معك! وقد استأذني المسلمون في التنحي عن القرى والمدن إلى البراري والفلوات فأذنت لهم في ذلك وعلمت أن إقامة المقيم لا يفوته شئ من أجله، وكذلك الهارب (٥) لا يفوت ربه ولا (٦) يتعدى ما قدر عليه، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

---

(١) عند الأزدي ص ٢٧٢ فقد كنت ما علمناك من فصحاء المسلمين، ومن خيارهم ومن أعلامهم.
(٢) عن الأزدي.
(٣) نسخته في فتوح الأزدي ص ٢٧٣ والوثائق السياسية وثيقة رقم ٣٥٧ / د. ص ٤٩٠.
(٤) سقطت البسملة عند الأزدي والوثائق.
(٥) عند الأزدي: لا يباعده من أجله.
(٦) عند الأزدي ولا يدفع به قدره.
(٧) من هنا سقطت العبارة من الأصل وقد أثبتنا بين معكوفتين ترجمة الفارسية لهذا الكتاب ص ٧٣ - ٧٦.

[حين وصلت رسالة عمرو بن العاص إلى عمر رضي الله عنه حول وفاة معاذ بن جبل الذي قضى على إثر أبي عبيدة، بكى كثيرا (١)، كما تحسر المسلمون على ذلك. ثم قال عمر: رحم الله معاذا فقد كان رجلا عالما وزاهدا، ولقد كانت وفاته أوجدت ثغرة كبيرة في المسلمين، وقد حرم الناس من علمه وفضله فقد كانوا يشاورونه في أمهات المسائل وكان يفيدهم بعلمه وفضله الشيء الكثير. جعل الله جزاءه أفضل ما جازى به العباد الصالحين وجعل مقره في جنات النعيم. ثم رأى أمير المؤمنين أن المصلحة في تفويض الامارة ليزيد بن أبي سفيان على سائر المدن التي فتحها المسلمون وجميع الجيوش الموجودة في الشام وأن يفعل ما يراه صالحا ثم كتب له رسالة بهذا المضمون (٢):

بسم الله الرحمن الرحيم... (٣)

من أمير المؤمنين عمر إلى يزيد بن أبي سفيان:

اعلم أنه بعد أن مات كل من الامراء: أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل وخالد بن الوليد، فإن زمان أمور جيش المسلمين قد سلمت لك. فنفذ ما جاء في هذه الرسالة كما هو معهود بك من شهامة كاملة وحصافة في الرأي حتى يفرغ بالنا عن

هذا الثغر، ولقد أرسلت الرسائل إلى بقية وجوه الجيش بأن يتبعوا يزيد بن أبي سفيان (٤) وأن لا يخالفوه في قول أو فعل. وحين تصل إليك هذه الرسالة، اجمع الجيش ثم انطلق به وبأصحابك نحو قيسارية واجتهد بألا تغادر تلك المدينة حتى تفتحها، فإنك بذلك تقطع طمع هرقل في ولاته الشام، فأدرك هذا المعنى ثم سر على بركة الله.

ولما وصلت رسالة أمير المؤمنين إلى يزيد بن أبي سفيان والامراء وقادة

---

(١) عند الأزدي: جزع عليه جزعا شديدا، وبكى عمر رحمه الله والمسلمون، وحزنوا حزنا شديدا.

(٢) نسخة الكتاب في فتوح الأزدي ص ٢٧٦ والوثائق السياسية وثيقة رقم ٣٥٧ / و، ز باختلاف النصوص.

(٣) سقطت البسملة عند الأزدي.

(٤) نص رسالة عمر إلى أمراء الأجناد - نسخة واحدة عن الأزدي ص ٢٧٦ أما بعد، فقد وليت يزيد بن أبي سفيان أجناد الشام كله، وأمرته أن يسير إلى قيسارية، فلا تعصوا له أمرا ولا تخالفوا له رأيا، والسلام.

الفرسان، اطلعوا على مضمونها. سروا بإمارة يزيد وأطاعوا أمر أمير المؤمنين وبناء على إشارة أمير المؤمنين (١) جمع الجيش واتجه صوب قيسارية، ثم نزل في منزل يقال له (الكسوة) من أطراف دمشق. وأقاموا هناك عديدة أيام حتى تجتمع الجنود. ثم وقف يزيد بن أبي سفيان خطيبا في الجيش فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم قال (٢): أيها الناس، إن أمر أمير المؤمنين قد وصل إلي وفيه يأمرني بأن أسير بكامل الجيش نحو قيسارية وأن أدعو أهل تلك المنطقة إلى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام. فإن قبلوا الاسلام والايمان فهو المراد وإلا فسنحاربهم ونستعين بالله على فتح تلك البلدة. هذا هو الحال لتعلموا وتوطئوا قلوبكم على الغزو والجهاد، وتستبشروا بالغنيمة والفتح والثواب والشهادة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وحين فرغ يزيد من خطبته، اتجه الجيش إلى قيسارية، وحين وصلوها وجدوا كبار الروم وبطارقتهم وقواد هرقل مع جيش كثيف فانطلق حبيب بن مسلمة الفهري الذي كان على مقدمة جيش يزيد بن أبي سفيان ونزل قرب قلعة قيسارية وأخذ في الحصار. فرأى أن الجيش قد خرج من القلعة واتجهوا للقتال ضده وحملوا على حبيب وجيشه وهزموهم إلى معسكر يزيد. وحين رأى يزيد الحال أخذ في تعبئة الجيش فأعطى الميمنة (٣) للأشتر النخعي وجعل على الميسرة الضحاك بن قيس الفهري، كما أعطى الجناح لعبادة بن الصامت، وعلى هذا الأساس انطلق حتى وصلوا إلى بوابة قلعة قيسارية فخرج إليهم جيش الروم والتحموا معا حتى التقت رؤوس الخيل فنادى يزيد بن أبي سفيان: أيها المسلمون: اثبتوا وحاذروا من الفرار الذي يوصل الانسان إلى نار جهنم، وبالخسارة للدنيا والآخرة. وحين سمع المسلمون هذا الكلام اشتدت عزيمتهم على الحرب وظلوا يحاربون من طلوع الشمس إلى غروبها حتى أظفرهم الله على عدوهم، فهرب الروم من أمامهم فلحق بهم المسلمون فقتلوا منه خلقا كثيرا وبعضهم التجأ إلى القلعة فنزل يزيد على بوابتها

---

(١) كتب يزيد بن أبي سفيان إلى أمراء الأجناد - نسخة واحدة (عن الأزدي ص ٢٧٦): أما بعد فإني قد ضربت على الناس بعثا، أريد أن أسير بهم إلى قيسارية فأخرجوا من كل ثلاثة رجلا، وعجلوا أشخاصهم إلي، والسلام.

(٢) قارن مع الأزدي ص ٢٧٨ وفيه اختلاف.

(٣) عند الأزدي: عبادة بن الصامت الأنصاري على الميمنة. ورد حبيب بن مسلمة على الخيل.

وأخذ يناوشهم، وهكذا قاتل الروم أكثر من مرة وكان النصر حليفا للمسلمين. ولما رأى الروم أن الحرب تجري على منوال واحد لم يخرجوا من القلعة. فجمع يزيد بن أبي سفيان عدة من وجوه الجيش وذوي الرأي وشاورهم حول الموقف قائلا: إننا في هذا المكان نعاني من قلة العدد في الدواب وجيشنا كبير ونحن عاجزون عن تأمين العلف ويتعذر علينا البقاء هنا وليست هناك حاجة لجميع الجيش فالرأي عندي أن يبقى جماعة من الجيش على حصار هذه القلعة فإن خرجوا إليهم قاتلوهم وإلا ظلوا محبوسين داخل القلعة، ثم يذهب القسم الآخر إلى دمشق فأجابوه: الرأي هو ما رأيت ولا نزيد عليه شيئا. حينئذ دعى يزيد شقيقه معاوية وسلمة أربعة آلاف فارس من خيرة الجنود وأمره بأن يقيم حول القلعة فإن خرج إليه أحد من أهلها قاتله وإلا فإنهم يظلون محصورين إلى أن يأذن الله بوسيلة لهذا الامر. فقبل معاوية ذلك فتركه يزيد هناك وانطلق ببقية الجيش نحو دمشق. وحين رأى جيش الروم أن يزيد قد عاد وأن معاوية ليس معه سوى عدد قليل من الجند، رأوا أن الوقت قد حان لإزالتهم. فغلبهم الطمع وخرجوا من القلعة بجيش مرتب وعدد كبير وشرعوا بالحرب فقابلهم معاوية بجيشه ووقعت حرب شديدة ولكن العاقبة كانت لصالح المسلمين، وقتل من الروم أكثر من عشرة آلاف وفر الباقون والتجأوا إلى القلعة، ثم فكروا بأنهم لا طاقة لهم بالحرب فالمسلمون أشجع منهم وشوكتهم وقوتهم أكثر منهم. والدولة أيضا لهم، وأن المصلحة في إجراء الصلح معهم.

في اليوم الثاني أرسلوا شخصا إلى معاوية وطلب الصلح على أساس أن يترك معاوية البلد ويقدموا له عشرين ألف دينار نقدا ويقدموا الجزية وبعد ذلك يصبحون مطيعين: فكتب معاوية إلى أخيه رسالة شرح له فيها الوقائع التي حصلت ومطلب أهل قيسارية حول الصلح فأجابه يزيد بالموافقة على الصلح. حينئذ، كتب معاوية عهد الصلح (١) ثم أدى أهل البلد المبلغ المقرر، ثم سار معاوية مع الجيش إلى

---

(١) كذا بالأصل، وفتوح البلدان ص ١٤٦. أما بالنسبة إلى قيسارية فقد اختلفوا في سنة فتحها وعلى يد من فتحت؟

قيل فتحت سنة ١٥ وقيل سنة ١٩ وقيل سنة ٢٠ وقد ذكر الطبري وابن الأثير فتحها سنة ١٥. وذكر اليعقوبي فتحها سنة ١٨.

وفيمن فتحها أقوال: فالطبري وابن الأثير واليعقوبي وابن كثير فتحها معاوية بن أبي سفيان بأمر مباشر من عمر بن الخطاب. وذكر في الطبري ٤ / ١٥٦ كتاب عمر إليه: أما بعد فقد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا نعم المولى ونعم النصير.

وقال الواقدي: اختلف علينا في أمر قيسارية، فقال قائلون: فتحها معاوية، وقال آخرون بل فتحها عياض بن غنم، وقال قائلون: بل فتحها عمرو بن العاص، (انظر فتوح الشام للواقدي ٢ / ٣٥ وفتوح البلدان ص ١٤٦).

قال الواقدي: صالح أهل قيسارية عمرو بن العاص على أن يسلموا له المدينة فصالحهم على مائة ألف

درهم وما ترك الملك من خزائنه ورجاله فأجابوه إلى ذلك، وكتب لهم كتاب الصلح. ودخلها يوم الأربعاء في العشر الأول من رجب الفرد سنة تسع عشرة. وهو الثبت قاله البلاذري.

دمشق وانتقى أمر قيسارية على هذا النحو. ثم كتب يزيد رسالة إلى أمير المؤمنين (١)، عمر، رضي الله عنه، ذكر فيها الوقائع التي جرت مع أهل قيسارية والصلح الذي انتهوا إليه كما أرسل إليه خمس المال. وحين اطلع أمير المؤمنين على ما جرى، سر سرورا عظيما وشكر الله على ذلك وأجاب على رسالة يزيد بما يلي (٢):

أما بعد، فاعلم بأن رسالتك قد وصلت وفهم مضمونها وسررت بخبر فتح قيسارية وحمدت الله على ذلك الذي أراح بالي من هذه المهمة ووسع عليكم في الرزق وقهر عدوكم وحقق آمالكم فاشكروا الله على نعمه الذي تزداد نعمه بالشكر، وتدوم السعادة (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها). والسلام عليكم ورحمة الله.

ثم جاء الخبر إلى أمير المؤمنين بأن الروم قد جمعوا جيشا عظيما في منطقة الجزيرة. وقد اجتمعت عدة عظيمة من الفرسان والرجالة ومعهم الآلات والعدد الوفيرة، فجمع أمير المؤمنين الأنصار والمهاجرين وكبار الصحابة وأخبرهم بما جرى وقال: إن بلاد الشام لا يمكن فصلها عن منطقة الجزيرة، وما لم نحكم الجزيرة فلن يحصل لنا مقصود وعيشنا سيكون منغصا، وقد التقى الروم هناك وقد عزموا على التحرك، وإني قد دعوتكم لتفكروا بهذا الامر وأن تخبروني بما تروه صالحا وصائبا في هذا الموضوع. ومن ترونه أهلا للقيام بهذا الامر حتى يستريح خاطرنا من هذه الجهة فلقد توفي في الشام معظم القادة العظام الذين كانوا هناك ولم يبق منهم سوى يزيد بن أبي سفيان وهو من رجال المهمات العظيمة وهو الان في دمشق. وتلك

---

(١) نسخة الكتاب في الوثائق السياسية وثيقة رقم ٣٥٧ / ط، ي، ص ٤٩٢ - ٤٩٣ باختلاف، وبعث الرسالة مع رجلين من جذام (اليعقوبي ٢ / ١٥١).

(٢) الوثائق السياسية وثيقة ٣٥٧ / ط، ي.

الولاية منضبطة بسببه ولا يمكن تركها بدون أن يقوم بأمورها شخص رشيد مثله. فسموا لي رجلا موصوفا بالشجاعة والعقل والتقوى ويكون قادرا على إنجاز هذه المهمة لكي أبعث به لفتح بلاد الجزيرة. وبعد التفكر الدقيق قر رأيهم على أن عياض بن غنم الفهري هو الشخص المطلوب لمثل هذه المهمة، فهو رجل فارس مشهور وتقي فقبل به عمر ورآه رجل الساعة، ومن ثم أرسل له رسالة (١).

بسم الله الرحمن الرحيم...

هذا كتاب من عبد الله عمر، أمير المؤمنين إلى عياض بن غنم الفهري أما بعد، سلام عليك.

لقد وجدناك حريصا على مصلحة المسلمين ورأيناك تنصح المسلمين وتحرضهم على اتباع طريق الخير وإحياء معالم الطاعة، كما أن أسلافك على نفس هذا النهج الممدوح المقبول، فبشرى لك بالثواب الجزيل والثناء الجميل في الدنيا والآخرة وبما أن سيرتك وسريرتك على هذا الأساس فإني أرجو لك أن تحقق آمالك في الدين والدنيا وأن يكون ذكرك حسنا وخالدا إن شاء الله. واعلم الآن بأن قواد الروم قد اجتمعوا في بلاد الجزيرة، لذا فإنني عازم على إرسال جيش لمقابلتهم وأحتاج إلى قائد شجاع وعاقل يخاف الله وقد تذاكرنا حول هذا الموضوع وتشاورنا مع وجهاء الصحابة فأجمعت الآراء على انتخابك أنت لهذه المهمة، وظننا أنك كفوء لهذا الامر. فمتى وصلك كتابي هذا، اختر قسما من جيش يزيد بن أبي سفيان، ثم توجه إلى بلاد الجزيرة واجعل التقوى شعارك. واتق الله في السر والعلن، واجعل في الأمور المهمة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسنة خليفته الصديق إماما لك في جميع أمورك] انتهى (٢).

بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وسنة الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد رأيت وشاهدت ما فتح الله عز وجل من أرض الشام في

---

(١) كذا وعند الطبري ٤ / ١٩٦ أن عمر بن الخطاب أرسل كتابا إلى سعد بن أبي وقاص أن يرسل جيشا إلى الجزيرة ويؤمر عليهم أحد ثلاثة... أو عياض بن غنم... فخرج عياض إلى الجزيرة.

وفي فتوح الشام للواقدي ٢ / ٩٧ أن عمر بن الخطاب أرسل إلى أبي عبيدة كتابا وفيه... فاعقد عقدا لعياض بن غنم الأشعري! وجهز معه جيشا إلى أرض ربيعة وديار بكر.

(٢) إلى هنا ينتهي ما سقط من الأصل واستدركناه عن الترجمة الفارسية.

القلة والكثرة من عدوكم، وقد سمعت ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق إذ أقبل علينا فقال: (ليفتحن عليكم أرض كسرى وقيصر وليغنمنكم الله أموالها) (١)، فقد رأيت ذلك يا عياض وشهدت منه ما شهدت، وقد صدق الله عز وجل قول نبيه عليه السلام في ذلك وأظهركم على عدوكم، فصاروا ذمة لكم يؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون، وقد هربت رئيس الكفرة (١) هرقل صاحب الروم خائفا وجلا منكم، حتى صار إلى أقاصي الروم فزعا مرعوبا شريدا طريدا، وذلك بفضل الله ونعمته وحوله وطوله، فإني قد كتبت إلى يزيد بن أبي سفيان أن يمدك بجند تقوى بهم إن شاء الله تعالى ولا قوة إلا بالله.

فلما ورد كتاب عمر على عياض بن غنم نادى في المسلمين وأقرأهم الكتاب ثم ندبهم إلى المسير إلى بلاد الجزيرة، فأجابوه إلى ذلك سراعا، قال: فانتخب عياض خمسة آلاف رجل من عسكر يزيد بن أبي سفيان من أهل البأس والشدة على دواب فره وسلاح شاك وعدة كاملة وتعبية حسنة، ثم خرج من الشام يوم الخميس للنصف من شعبان (٢)، وعلى مقدمته ميسرة بن مسروق العبسي، وعلى ميمنته سعيد بن عامر بن حذيم، وعلى ميسرته (٣) عبد الله بن سعيد السعدي، وعلى ساقته صفوان بن المعطل السلمي، وسار حتى صار إلى الرقة (٤).

ذكر فتح مدينة الرقة من بلاد الجزيرة.

قال: وبالرقة يومئذ جمع من الروم عظيم، فنزل عياض بن غنم قريبا من سورها، ثم بث السرايا حولها، فغنم المسلمون غنيمة حسنة.

قال: وأشرفت الروم من حيطان الرقة، فجعلوا يرمون بالحجارة والنشاب،

---

(١) روى أحمد في مسند روايتين بهذا المعنى ٤ / ١٢٨ و ٥ / ٢٨٨.

(٢) وذلك سنة ١٨ كما في فتوح البلدان ص ١٧٧. وفيما نقله الطبري عن سيف بن عمر سنة ١٧، وقال ابن إسحاق سنة ١٩.

(٣) في فتوح البلدان: على ميسرته صفوان بن المعطل السلمي وكان خالد بن الوليد على ميسرته (كذا) ويقال إن خالد لم يسر تحت لواء أحد بعد أبي عبيدة (فتوح البلدان ص ١٧٧).

(٤) الرقة: مدينة مشهورة على الرقة. قال ياقوت: أرسل سعد والي الكوفة في سنة ١٧ جيشا عليه عياض بن غنم فقدم الجزيرة، فبلغ أهل الرقة خبره... فبعثوا إلى عياض في الصلح فقبله منهم (معجم البلدان).

فلما كان الليل خرج عياض بن غنم في قريب من ثلاثمائة فارس، حتى صار إلى باب يقال له باب جروان (١)، وذلك بعد ثلاث ساعات من الليل أقل أو أكثر. قال: وإذا بجماعة من الروم على ذلك الباب وقد أوقفهم صاحب الرقة عليه وأمرهم بحفظه، قال: وقد شرب القوم شرابا فسكروا. فلما أشرفت عليهم خيل المسلمين في جوف الليل فزعوا لذلك ثم وثبوا إلى أسلحتهم ودوابهم، وعاجلهم المسلمون فقتلوا منهم من قتلوا. وأسروا الباقين فكتفوهم وأتوا بهم إلى عسكرهم في وقت السحر.

قال: وأصبحت الروم وقد بلغهم ذلك، فأشرفوا على أبراج المدينة، فنظروا إلى أصحابهم مأسورين وقد قتل منهم من قتل، فجزعوا لذلك جزعا شديدا.

قال: ثم أرسل بطريق الرقة إلى عياض بن غنم: إن رأيت أن تأذن لي في كلامك! فأرسل إليه عياض بن غنم: إن أردت كلامي فانزل إلى وكلمني، قال البطريق: إني أخاف أن أقتل من قبل أن أصل إليك، فأرسل إليه عياض: إنك آمن على نفسك حتى ترجع إلى مأمنك، قال: فاكتب لي أمانا يكون لي ولعشرة معي، قال: فكتب له عياض أمانا وبعث إليه منشورا قد ختمه بخاتمه.

قال: فنزل بطريق الرقة ومعه عشرة من بطارقته، عليهم الحرير والديباج، وفي أوساطهم مناطق الذهب المرصعة بالجوهر، حتى وقفوا بين يدي عياض، قال: فرفع عياض رأسه فنظر إلى بطريق الرقة في زيه ذلك، فقال له: ما اسمك؟ قال: اسمي بنطس (٢)، فقال عياض: قل ما تشاء وسل ما بدا لك! قال بنطس: أيها الأمير! ما اسمك؟ قال: اسمي عياض، قال: ابن من؟ قال ابن غنم: قال: فحرك البطريق رأسه ثم نظر إلى أصحابه وتبسم، ثم قال: إلى ما تدعو؟ قال عياض: أدعو إلى قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، فإذا قلتم ذلك وصمتم وصليتم وأديتم زكاة أموالكم وأحللتم ما أحل الله لكم وحرمتم ما حرمه عليكم فقد حرمت علينا دماؤكم وأموالكم إلا بحقها، وحسابكم على الله.

قال بنطس: فان لم نقل ذلك؟ قال عياض: فإن لم تقولوا ذلك فأدوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون وكونوا لنا ذمة وقروا في دياركم على دينكم ونحن نذب عنكم من بغاكم من أعدائكم، قال بنطس: أيها الأمير! فإني أقيم على ديني ولا أفارقه

---

(١) كذا، ولم نجده.

(٢) في فتوح الشام للواقدي ٢ / ٩٨ (يوحنا).

وأصالحك على ما تريد.
قال: فصالحه عياض على عشرين ألف دينار عاجلة، وعلى أنه وضع على كل محتلم منهم في كل سنة أربعة دنانير، (١) وكلما أدرك منهم غلام يلحق بالجزية، وعليهم بعد ذلك العشر في مواشيهم، وعليهم الضيافة للمسلمين إذا نزلوا بهم ثلاثة أيام، فما كان بعد ذلك فلا يؤخذ منهم شئ إلا بثمنه. قال: فرضى بذلك بنطس بطريق الرقة بما صالحه عليه، وأشهد عليه المسلمين وختمه بخاتمه ودفعه إليه (٢).
ثم قال لبنطس: أسألك عن شئ فخبرني! قال بنطس: وما ذاك أيها الأمير؟
فقال: رأيتك سألتني عن اسمي وأخبرتك، ثم استخبرتني عن اسم أبي فأخبرتك، فالتفت إلى أصحابك وتبسمت. فلماذا كان ذلك؟ قال بنطس: إن الصدق لا يعدله شئ، والكذب عندنا أقبح الأشياء، أيها الأمير! إني أنا بطريق هذه المدينة وابن بطارقتها، وكذلك آبائي وأجدادي ما زالوا يتوارثون بطرقة هذه المدينة في الزمن القديم، غير أن الفرس قد كانوا تغلبوا علينا وقهرونا وتولوا علينا في مدينتنا هذه، وقد كان غضب علينا هرقل ملك الروم فأرسل إلينا القبط، فنزلوا علينا وآذونا غاية الأذى، وقد كنا على يقين أن ملكنا يعود إلينا للذي أصبناه في كتبنا أن مدينتنا هذه لا يغلب عليها أحد ولا يعطون لاحد الطاعة إلا لرجل عربي يقال له غنم أو ابن غنم، فلما سألتك عن اسمك وخبرتني به ظننت أنك صاحبنا فأشرت إلى أصحابي وخبرتهم بما يعلمون، فقال له عياض: ويلك يا بنطس! فأنتم أهل الكتاب وعلم وتجدون عندكم نعت نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم وآله) وصفته أفلا تتبعونه؟ قال: فقال بنطس: إي والمسيح ابن مريم! لقد بشرنا في النجيل باسم محمد [صلى الله عليه] وآله وصفته، وإنه لعربي وهو خير الأنبياء، وأمته خير الأمم يوم القيامة، وهو الذي يركب الحمار ويلبس الشملة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وما نظنه إلا من بني إسرائيل، فقال عياض: تظنونه من بني إسرائيل وأنتم تجدونه في كتبكم عربيا؟ قال بنطس: إنا ظننا أنه يتكلم بالعربية ولا يكون عربيا، وأعلمك أيها الأمير أني دعوت

---

(١) في فتوح البلدان ص ١٧٧. دينار في كل سنة، ويقال: أربعة دنانير.
(٢) نسخة كتاب عهد عياض إلى أهل الرقة (عن فتوح البلدان ص ١٧٨):
بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عياض بن غنم أهل الرقة يوم دخلها، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم لا تخرب ولا تسكن إذا أعطوا الجزية التي عليهم ولم يحدثوا مغيلة وعلى أن لا يحادثوا كنيسة ولا بيعة ولا يظهروا ناقوسا ولا باعوثا ولا صليبا. شهد الله. وكفى بالله شهيدا.

قومي هؤلاء من أهل الرقة إلى دينكم فأبوا علي وقالوا: إن قلت هذا الكلام قتلناك، فلذلك خفتهم على نفسي، فهذه قصتي وهذا حالي. فعجب عياض بن غنم من صدق البطريق، وأقام بالرقة أياما ثم رحل منها.

ذكر فتح مدينة الرهاء من بلاد الجزيرة.

قال: وأهل الرهاء قد بلغهم يومئذ خبر عياض بن غنم وفتح الرقة فجزعوا لذلك جزعا شديدا، وقد جمعوا الأطعمة والأشربة والعلوفة إلى مدينتهم وهم على خوف شديد من المسلمين، قال: وقد هيئوا العرادات على أبرجة المدينة وقد جمعوا الحجارة وعزموا على حرب المسلمين.

قال: فلم يشعروا إلا والخيل قد وافتهم بالتكبير والتهليل، فلما سمع أهل الرهاء ذلك أخذهم الخوف وهم في ذلك يتجلدون ويتشجعون، قال: وتفاربت خيل المسلمين من المدينة، قال: وتقدمت الرايات والألوية، فجعل أهل الرهاء يقول بعضهم لبعض: القوم في عشرين ألفا أو يزيدون وما نظن أن لنا بهم طاقة.

قال: وأقبل عياض بن غنم والكتائب عن يمينه وشماله يتلو بعضهم بعضا، حتى نزل وضرب عسكره على الباب الأعظم من أبواب الرهاء - وهو الباب الذي يخرج منه إلى أرض الروم. قال: والتحم الامر بين الفريقين، فاقتتلوا خمسة عشر يوما لا يقرون ليلا ولا نهارا. قال: وجعل أهل الرهاء ينظرون إلى رجال أبطال فرسان في متون الخيل، فعلموا أنه لا طاقة لهم بالمسلمين، فاستغاثوا إلى بطريقهم الأكبر - واسمه ميطولس - فقالوا: أيها البطريق! إنه لا طاقة لنا بهؤلاء العرب، فإما أن تصالحهم كما فعل أهل الرقة وإلا سلمنا إليهم المدينة.

قال: فلما نظر البطريق إلى الجزع والفشل أرسل إلى عياض بن غنم يسأله الصلح على أن يعطيه ما أعطاه أهل الرقة، فأجابه عياض إلى ذلك، فكتب له (٢) ولأهل المدينة كتابا بالصلح (٣) وأشهد عليه المسلمين. ثم نادى عياض في عسكره:

---

(١) الرهاء: بضم أوله، والمد، والقصر، مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام.

(٢) نسخة كتاب عياض بن غنم لاسقف الرها في فتوح البلدان ص ١٧٨ والوثائق السياسية وثيقة رقم ٣٦٠.

(٣) نسخة كتاب عياض بن غنم لأهل الرها في فتوح البلدان ص ١٧٩ والوثائق السياسية وثيقة رقم ٣٦١.

ألا! إن أهل الرهاء في ذمتنا وعهدنا، فلا تؤذوهم ولا تدخلوا عليهم في منازلهم إلا بإذن. قال: فكف المسلمون عن محاربة أهل الرهاء، وأخذ عياض منهم ما صالحهم عليه، وأعجبته المدينة وأقام بها أياما.

قال: واصطنع له ميطولس بطريق الرهاء طعاما كثيرا ثم جاء إليه فقال: أيها الأمير! إني قد فرشت الكنيسة العظمى وقد أحببت أن تتغذى عندي أنت ومن شئت من قومك، وتكرمني بإجابتك إياي إلى طعامي، حتى ترى أصحابي إكرامك لي، قال فقال عياض: يا ميطولس! لو فعلت ذلك بأحد من أهل دينك لفعلته بك، غير أني رأيت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دخل بيت المقدس اصطنع له البطريق طعاما ودعاه إليه فلم يجبه عمر إلى ذلك، وأنا أيضا لا أحب أن أفعل ما لم يفعله عمر، قال ميطولس: أيها الأمير! فمر أصحابك يجيبوني إلى ذلك، قال: ما كنت بالذي آمرهم ولا أنهاهم.

قال: فبقى البطريق واقفا بين يدي عياض لا يدري ما يقول، فقال له عياض: أيها البطريق! إنما أنت تفعل بنا ذلك خوفا على أرضك، وإنما يجب عليك أن تفعل هذا بمن يأتيك من بعدنا، فأما نحن فقد وفينا لك بالصلح، فلا تخف منا ظلما ولا أن نحملك ما لا تطيق! قال: فانطلق البطريق إلى أصحابه وهو يقول: هذا أفضل رجل يكون.

قال: وإذا امرأة نصرانية قد أقبلت على عياض بن غنم مع ابن عم لها فاختصمت إليه في شئ كان بينهما، قال: فقضى عياض للرجل على المرأة بالحق، ثم إنه نظر إليها وتأملها فرأى لها حسنا وجمالا فقال لها: لك زوج؟ فقالت: لا، فقال: هل لك في زوج؟ فقالت: ما أحوجني إلى ذلك إن كان الزوج على ما أريد، قال عياض: فإن كان الزوج على ما تريدين أتخرجين من دين النصرانية وتدخلين في دين الاسلام؟ فقالت له: ما أفارق دين النصرانية أبدا، وما على الزوج مني؟ له دينه ولي ديني، قال: فهم عياض أن يتزوجها، ثم قال: أمير قوم يتزوج بكافرة، هذا ما لا يحسن، فأعرض عنها وتركها. فجاءها رجل من أصحاب عياض فخطبها، فقالت: أنا خطبة أميرك وليس لي في غيره من حاجة، قال: ثم إن هذه المرأة اصطنعت لعياض طعاما كثيرا وأرسلت به إليه، فقبله منها ووهب لها جارية مما صار إليه من سهمه.

خبر بسر (١) بن أرطاة وعياض بن غنم.
قال: فبينما عياض بن غنم بالرهاء وقد فتحها ووضع الجزية عليها والناس آمنون والسوق قائمة إذ وقعت الصيحة، ففزع الناس وبادر عياض إلى سلاحه فلبسه وركب فرسه، ونادى في الناس، فلبسوا أسلحتهم واستووا على خيولهم وخرجوا من المدينة، فإذا عسكر لجب وراية بيضاء فظن المسلمون أنهم من طاغية الروم، وإذا هم مدد وجه بهم يزيد بن أبي سفيان من الشام بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهم ألف رجل أميرهم يومئذ بسر بن أرطاة الفهري، فنزلوا وقالوا: أشركونا في المغانم، فقال: أما ما فتحه المسلمون وأحرزوا غنائمه فلا حق لكم فيه، وأما ما بقي من البلاد التي تفتح فأمرنا وأمركم فيه واحد، ما غنمنا من شئ فهو لنا ولكم،
قال: فلم يرض القوم وغالظ بسر (١) بن أرطاة عياض بن غنم وتطاول عليه، فقال له عياض: أيها الرجل! اكفف عنا أذاك والحق بصاحبك، فما أغنانا عنك.
قال: فغضب بسر بن أرطأة ورجع إلى الشام وأصحابه، فخبر يزيد بن أبي سفيان بما كان من عياض.
قال: وكتب عمر إلى يزيد بن أبي سفيان أن إياك والتعرض إلى عياض بن غنم فيما يفعله، فإن عياضا له من الاسلام مكانا ينبغي لك ولنا أن لا نضيعه – والسلام.
وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عياض بن غنم الفهري.
ذكر كتاب عمر بن الخطاب إلى عياض (٢).
[كتب أمير المؤمنين، عمر رضي الله عنه، رسالة لعياض بن غنم، بأنه قد بلغني أن يزيد بن أبي سفيان قد أرسل إليك مددا بقيادة بشر (٣) بن أرطاة من الشام فأعدتهم من حيث أتوا وإن الغرض من إرسال هذا الجيش نحوك إنما كان من أجل إمدادك وزيادة عسكرك وجاهك وشأنك. ولكي يعلم العدو أن الامداد متواترة إليك فتنكسر قلوبهم ويسارعون إلى طاعتك. فلا أعلم لماذا رددت ذلك الجيش ويلزم أن

---

(١) بالأصل: بشر. وما أثبتناه عن أسد الغابة ١ / ١٧٩ وبسر بضم الباء وسكون السين. واسم أرطاة (قبل أبي أرطأة) عمرو وقيل عمير. وقد صحح (بسر) في الخبر كله.
(٢) من هنا سقطت العبارة من الأصل. وقد أثبتنا ترجمة النص الفارسي المأخوذ من المخطوطة الموجودة في مكتبة سالار جنك رقم ١٤٤ و ١٤٥ تاريخ.
(٣) كذا بالترجمة الفارسية، انظر ما مر بشأنه.

تخبرني بوجهة نظرك حتى أقف على حقيقة الامر، والسلام. وحين وصل خطاب أمير المؤمنين إلى عياض بن غنم ووقف على مضمونه كتب إليه رسالة بما يلي:

إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عياض بن غنم:

سلام عليك، أما بعد، فقد وصلني خطابك وفهمت محتواه. فإنه قبل وصول بسر بن أرطأة قد تم فتح المدينة الرقة والرها على يد المسلمين وقد وزعت الغنائم بينهم وتصرف كل بنصيبه منها فطالبني بسر بجزء من تلك الغنائم فأجبته بأن هاتين المدينتين قد فتحتا قبل وصولك فلا حق لك بالغنائم فإذا يسر الله لنا الفتوح في مكان آخر فنحن شركاء فيما نغنمه معا. فلم يرض بسر بهذا وخشيت أن يحصل شيء من التمرد أو تختلف قلوب العساكر ولما كنت غنيا عن مدده، اعتذرت إليه وأمرته بالعودة. هذا هو السبب في إعادته جعل الله تعالى السعادة قرينة لأحوال أمير المؤمنين. وحين عاد جواب عياض بن غنم إلى أمير المؤمنين عمر. أثنى على حصافة رأيه وكتب إليه.

لقد وصلت رسالتك وفهم مضمونها وعلمنا السبب في إعادة بسر بن أرطأة وجيشه إلى الشام وكان ذلك صوابا، جزاك الله خيرا عن الاسلام والمسلمين. وأرجو الله تعالى أن لا تعزل عن عملك ما دمت حيا. وإنني أوصي الخليفة من بعدي بأن لا يغيرك عن موضعك ولا يعزلك عن عملك. أقر الله عينك. واستمر على ما أنت فيه من الجهاد والسلام.

ولما وصل خطاب أمير المؤمنين إلى عياض وقرأه، حمد الله وقال: يا رب لا أطلب مزيدا من الحياة بعد عمر فإن هو مات وبقي في أجلي شيء فلا تمهلني أكثر من يوم واحد بعد. إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

ذهاب عياض بن غنم نحو حران (١)

في هذه الأثناء سمع عياض بن غنم أن الروم قد جمعوا جيشا في (حران) يقدر بعشرين ألف رجل فأمر مناديا ينادي في الجيش بالاستعداد ثم سار به إلى أطراف حران فوقع الرعب في قلوب الأهالي فأرسلوا إليه شخصا يطلب الصلح فأجابهم إليه

---

(١) حران: قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها يوم، وبين الرقة يومان.

على النحو الذي صالح به أهل الرقة والرها. وكتب لهم بذلك عهدا ثم فتحت بوابة حران ودخل المسلمون البلد. وقد حصلت هذه الوقعة يوم الاثنين في شهر محرم عند صلاة العصر (١). وبقي عياض بضعة أيام هناك وقبض الأموال المقررة ثم توجه نحو بلدة رأس العين (٢). ويقال إن أهل رأس العين كان لديهم رجل حاد النظر يستطيع أن يرى من مسيرة يوم ومن حسن الاتفاق أن جيش المسلمين حين اقترب من تلك المدينة، وأصبح على مسافة يوم منها قد ظهر غبار أسود وغيوم مظلمة فلم ير ذلك الرجل شيئا فسأله أهل البلد، هل ترى أثر جيش غريب فقال الحارس: بسبب الغبار وظلمة الجو لا يبدو لي شيء، فإن أردتم أخرجوا دوابكم إلى الصحراء. فإنني إن كنت بسبب الضباب لا أرى أثر الجيش ولكن يمكنني أن أدركه بسبب الجلبة التي يحدثونها فأخبركم. فأخرج أهل البلد جميع مواشيهم من الخيول والجمال والبقر والغنم إلى الصحراء وحين وصل عياض بن غنم مع جيش المسلمين قرب رأس العين صار الهواء صافيا وظهرت الشمس وإذ وجدوا تلك المواشي استولوا عليها فصاح الحارس وأخبر الناس الخبر فأغلقت أبواب المدينة، وصعدوا إلى الأبراج ووصل جيش المسلمين قرب جدار القلعة وشرع أهل البلد بإلقاء الحجارة والسهام على المسلمين فمات منهم عدة أشخاص. ثم صعد أحد البطارقة على جدار القلعة وأخذ يشتمهم ويقول:

يا من تأكلون خبز الشعير وتلبسون الصوف لا تظنوا أننا مثل أهالي الرقة والرها وحران فأولئك قوم ضعاف ولقد جئتم بأنفسكم لاستقبال الموت هنا، فاقترب منه أحد المسلمين وقال له: لا تهرف بما لا تعرف فلقد استولينا على عدد من القلاع الحصينة قبل الرقة والرها وحران وقاتلنا اليهود وعباد الأصنام والمجوس واستنزلناهم من قلاعهم وأرسلناهم إلى جهنم. وإن مثلك ومثل هذه القلعة بالنسبة إلينا كمثل أعرابي استظل

---

(١) وذلك في سنة ١٩. وعلى رواية سيف بن عمر يكون فتحها تم سنة ١٨. (انظر ما سبق بشأن توقيت توجه عياض بن غنم إلى الجزيرة).

(٢) رأس العين: مدينة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين بين رأس العين ونصيبين ١٥ فرسخا. في فتوح البلدان ص ١٨١ أن عمر بن الخطاب أمر عياض أن يوجه عمير بن سعد إلى عين الوردة (وهي رأس العين). وفي الطبري ٤ / ١٩٧ وجه عياض عمر بن سعد إلى رأس العين في خيل ردأ للمسلمين.

وقيل إن عمر أرسل أبا موسى الأشعري إلى رأس عين بعد وفاة عياض.

بظل خيمة من شعر الغنم وجلس تحتها والتجأ إليها وأنت أيها العلج ليس عندك خبر عن أحوالنا فقل ما يشاء وسترى بعد ساعة أن الحقيقة غير ما تظن ولن ينفعك الندم عند ذلك شيئا فغضب البطريق وقال لمن حوله: أنزلوني للأسفل لكي أقابل هؤلاء الصغار. فأنزلوه في زمبيل حتى وصل إلى الأرض ثم خرج وقد لبس الدرع ووضع على رأسه قلنسوة مطرزة بالذهب وقد وضع نطاقا على وسطه من الذهب وحمل بيده سيفا لماعا ووقف على باب القلعة ثم طلب المبارزة فبرز إليه رجل من بني مزينة حسن الصورة ومعه ترس من ليف النخل وبيده سيف وعلى رأسه عمامة بالية سوداء فنظر إليه البطريق بعين الاحتقار ثم حمل عليه وألقى عليه السيف فتلقاه المزني بترسه ثم ضربه بنفس السيف على ساقيه فقطع ساقيه فأسرع إليه العربي واحتز رأسه وأخذ في سلبه. وانهالت عليه الحجارة من أعلى القلعة فلم يبال بها حتى جمع سلاح ولباس البطريق وتركه في مكانه مجردا، ثم رجع سالما غانما.

وبما أن البطريق قد أصيب على تلك الحال، خاف أهل البلد وتوقفوا عن الحرب ذلك اليوم.

في اليوم الثاني خرجوا من البلد وحاربوا بكل شدة حتى أنه استشهد من المسلمين عدة رجال، فأمر عياض الجيش بأن يتراجع قليلا لكي يتوهم العدو بأنهم قد هزموا، حينئذ لحق بهم أهل البلد إلى مسافة معينة ثم أمر عياض الجيش بالكرة عليهم فقتلوا منهم جمعا كثيرا ومن بقي منهم التجأ إلى القلعة حينذاك أيقنوا بأنه لا يمكنهم مقاومة جيش المسلمين، فأرسلوا شخصا بطلب الصلح إلى عياض فأجابهم إليه بشرط أن يدفعوا نقدا ثلاثين ألف دينار وعلى كل شخص منهم الجزية أربعة دنانير تؤدى في وقتها. وعلى هذا تم الصلح وكتب لهم بذلك وثيقة (١).

إرسال عياض بن غنم لميسرة بن مسروق العبسي
إلى أطراف ولاية الخابور.

وبعد ذلك استدعى عياض بن غنم ميسرة بن مسروق العبسي (٢) وسلمه ألف

---

(١) في فتوح الشام للواقدي ٢ / ١٥٢ (ولم يؤخذ من ديار بكر بالسيف إلا رأس العين). وبعد الاستيلاء على رأس عين أخرج عياض الخمس من المال وأرسله إلى الخليفة عمر وكتب إليه كتابا (نسخته في فتوح الشام للواقدي ٢ / ١٥٣ يعلمه فيه عن فتوحاته) وأرسله مع عبد الله بن جعفر الطيار.

(٢) في فتوح البلدان ص ١٨٠ وجه عياض حبيب بن مسلمة الفهري إلى قرقيسيا وفي معجم البلدان (قرقيسياء): وجه سعد سنة ١٦ إلى هيت وقرقيسياء، جيشا رئيسهم عمرو بن مالك الزهري، وفيه رواية أخرى تبع فيها البلاذري.

وفي فتوح الشام للواقدي: ٢ / ١٠٧ أمر عياض عبد الله بن غسان وسهل بن عدي أن ينزلا على قرقيسياء.

فارس من نخبة الجيش وأرسله إلى ولاية الخابور. فسار ميسرة إلى تلك الناحية وفتح المواضع التي في طريقه وأرسل الأموال التي حصل عليها إلى عياض حتى أتم فتح تلك الناحية ووصل إلى سواحل الفرات ونزل عند مدينة قرقيسياء ووقعت معارك بينه وبين أهل القلعة وقتل من الطرفين عدة رجال. وفي النتيجة استولى على البلد وقتل المقاتلة وسبى النساء والذراري ثم عفى عنهم وقبض منهم ثلاثة آلاف دينار وقرر عليهم الجزية على القاعدة المعروفة (١) وترك لهم البلد وعاد إلى عياض ومعه الأموال والغنائم فسلمها إليه. عند ذلك انتقل عياض من مكانه وسار نحو نصيبين ففر الروم من أمامه والتجأوا إلى قلعة نصيبين. وأمر الجيش بمحاصرة البلد من جهاتها الأربع وكان لها أربعة أبواب، يسمى الباب الأول، بوابة الجبل، والثاني بوابة السوق والثالث بوابة سنجار والرابع بوابة الروم. وعلى كل بوابة استقر فوج من المدافعين فأنشبوا معهم الحرب واجتهد الطرفان في الحرب. ولما رأى عياض أن القلعة حصينة وقد عجز عن فتحها (٣). قرر الإقامة هناك. ومن ثم أرسل عمير بن سعد الأنصاري إلى مدينة سنجار (٤) لفتحها فذهب عمير إلى هناك وقاتل أهل سنجار لمدة يوم واحد ثم طلب منه أهلها الأمان فصالحهم على ثلاثة آلاف دينار نقدا وعلى أن يدفع كل رجل منهم أربعة دنانير. وعاد بعد ذلك إلى عياض. ثم أرسل عياض بن مالك الأشتر

---

(١) في فتوح البلدان ص ١٨٠ فتحها صلحا على مثل صلح الرقة. وفي معجم البلدان فتحها - كما مر - عمرو بن مالك الزهري فقال عند ذلك - ويفهم من قوله أنه فتحها صلحا:

وسرنا على عمد نريد مدينة * بقرقيسيا سير الكماة المساعر
فجئناهم في دارهم بغتة ضحى * فطاروا وخلوا أهل تلك المحاجر
فنادوا إلينا من بعيد بأننا * ندين بدين الجزية المتواتر
قبلنا ولم نردد عليهم جزاءهم * وحطناهم بعد الجزا بالبواتر

(٢) في الطبري / ١٩٧ وابن الأثير أن عبدا لله بن عبد الله بن عتبان عبر حتى أتى نصيبين فلقوه بالصلح كما صنع أهل الرقة. (وانظر فتوح البلدان ص ١٨٠) وفي تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٥٠ كان فتح نصيبين على يد عياض صلحا.

(٣) سنجار: بكسر أوله. مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام (معجم البلدان).

النخعي وأعطاه ألف فارس وأرسله إلى ناحية (آمد) و (ميافارقين).
مسير الأشتر النخعي نحو (آمد) و (ميافارقين).
وحين وصل مالك مع الجيش إلى آمد (١) تبين له أن القلعة تبين له أن القلعة حصينة جدا فأخذ
يفكر بالامر وأن مقامه سيطول هناك. ولما اقترب من آمد وعاين بنفسه قوة الحصن، أمر الجيش بأن يكبروا معا تكبيرة واحدة بأعلى صوت. فخاف أهل آمد وتزلزلت أقدامهم وظنوا أن المسلمين يبلغون عشرة آلاف وأنهم لا قبل لهم بحربهم فأرسلوا شخصا إلى الأشتر فأجابهم الأشتر إلى الصلح وتقرر أن يدفعوا خمسة آلاف دينار نقدا وعلى كل رجل أربعة دنانير جزية ورضي حاكم البلد بهذا الصلح وفتحوا الأبواب ودخلها المسلمون صباح يوم الجمعة، فطافوا فيها ساعة ثم خرجوا وأقاموا على بوابة البلدة. وبعد أن قبض الأشتر المال اتجه نحو (ميافارقين) (٢) ولما وصل إليها أرسل إليه بطريق البلد ويسمى فطوس (٣). أرسل شخصا إلى الأشتر يلتمس الصلح على أن يدفع ثلاثة آلاف دينار نقدا والجزية المقررة فصالحه الأشتر على ذلك وكتب له عهدا (٤). وبعد ما قبض المال سار إلى عياض الذي كان مشغولا بحصار نصيبين وسلمه الأموال التي قبضها.
تدبير عياض بن غنم لفتح مدينة نصيبين.
بعد ما مر عام كامل على محاصرة نصيبين دون أن يتيسر فتحها (٥)، أخذ عياض في مشاورة رؤساء الجيش حول هذا الامر فتقدم رجل من المسلمين ممن كانوا تحت

---

(١) آمد: من مدن ديار بكر. قال في معجم البلدان: فتحت في سنة عشرين وسار إليها عياض بن غنم بعد ما افتتح الجزيرة فنزل عليها وقاتله أهلها ثم صالحوه عليها على أن لهم هيكلهم وما حوله وعلى أن لا يحدثوا كنيسة وأن يعاونوا المسلمين ويرشدوهم ويصلحوا الجسور، فإن تركوا شيئا من ذلك فلا ذمة لهم. (وانظر في فتحها الشام للواقدي ٢ / ١٥٧ - ١٥٨).
(٢) ميافارقين: أشهر مدن ديار بكر.
(٣) في فتوح الشام للواقدي ٢ / ١٦١ اسلاغورس.
(٤) في معجم البلدان: يقال إنها فتحت عنوة وقيل صلحا على خمسين ألف دينار على كل محتلم أربعة دنانير - وقيل دينارين - وقفيز حنطة ومد زيت ومدخل ومد عسل وأن يضاف كل من اجتاز من المسلمين ثلاثة أيام.
(٥) كذا. وانظر ما مر في ذلك. وهذا الخبر ذكره ياقوت في معجم البلدان - باختلاف - أن ذلك كان يوم فتح المدينة أنو شروان ملك الفرس.

قيادة سعد بن أبي وقاص في العراق وقال له: إني أرى رأيا يمكن لنا بواسطته أن نستولي على المدينة فسأله عياض: كيف؟ فقال: أرسل شخصا إلى مدينة شهرزور في العراق وهي تحت أيدي المسلمين الآن ومن هناك حيث توجد العقارب بكثرة فليملأ عددا من الجرار بالعقارب ثم توضع هذه الجرار على المنجنيق وتطلق ليلا في داخل المدينة فكل من أصابته هذه العقارب هلك فورا. فيندهش الناس لهذا الامر ويقعوا في حيرة. حينئذ يمكن فتح البلد بسهولة فوافق عياض على هذا التدبير وأرسل شخصا إلى شهرزور وملأ عددا من الجرار بالعقارب مع شيء من التراب. ثم في الليل ألقي بهذه الجرار بواسطة المنجنيق نحو البلد فانكسرت الجرار وخرجت منها العقارب في كل اتجاه فهلك ناس كثيرون بلسعة العقرب وحين طلع النهار هلك عدد من الناس فأرسلوا إلى عياض يطلبون الصلح فلم يجبهم عياض حتى أطلقوا جميع الجرار المملوءة بالعقارب على البلد فانشغل الناس بتعقب العقارب وقتلها بينما عياض شدد في الحرب ذلك اليوم واستولوا على المدينة عنوة ثم قتلوا المقاتلة وخربوا بيوت البطارقة وسبوا الذرية والنساء. وفي النتيجة طلب الباقون الأمان من عياض، فأعاد لهم عيالهم وأطفالهم وكتب لهم رسالة أمان ووقع عليها عدد من رؤساء الجيش وسلمها إليهم. ثم أرسل خمس الغنائم إلى أمير المؤمنين ووزع الباقي على المسلمين وقد نال كل واحد منهم أكثر من عشرة آلاف درهم عدا المواشي والأمتعة والاسرى وظل عياض في الجزيرة منتظرا وصول إشارة أمير المؤمنين. وحين وصلت رسالة عياض إلى أمير المؤمنين مبشرة بالفتوح ورأى الغنائم الكثيرة صار مسرورا وشكر الله على ذلك.

رسالة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إلى عياض بن غنم.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر، أمير المؤمنين، إلى عياض بن غنم.

أما بعد، سلام عليك، الحمد لله الذي فتح بلاد الجزيرة على يد المسلمين فأغناهم بعد فقر ووسع لهم في الرزق وإنني منذ الآن لا أخاف الفقر عليهم ولكني أخشى عليهم أن يغتروا بالأموال فيهلكوا. وإنك يا عياض أديت عملك على أحسن وجه فجزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيرا. وحين تقف على هذه الرسالة انتخب أحد وجوه الجيش ممن يعتمد عليه في القول والفعل واجعله نائبا لك ثم توجه نحو

الشام فإن يزيد بن أبي سفيان مريض هناك وأخشى إن هو مات أن تضطرب الأحوال. فالرأي هو أن تعود إلى الشام بأسرع ما يمكن ولا تبق في الجزيرة أكثر مما بقيت والسلام.

وحين وصل خطاب أمير المؤمنين عمر إليه، دعى عتبة بن فرقد السلمي وعينه واليا على جملة بلاد الجزيرة وجعل تحت إمرته أربعة آلاف فارس ثم اتجه ببقية الجيش إلى الشام وحين وصل إلى حمص غلب عليه المرض ثم انتقل إلى رحمة الله (١). ورووا أن ذلك اليوم الذي مات فيه عياض لم يكن يملك سوى فرسين اثنتين وجملا وضع عليه حوائجه ولم يجدوا في ثيابه وأمتعته دينارا واحدا. مع كل تلك النعم والأموال التي عادت إليه من الجزية. لقد تصدق بها كلها ولم يترك شيئا رحمة الله عليه.

رسالة يزيد بن أبي سفيان إلى أمير المؤمنين
عمر رضي الله عنه.

ثم بعد أن تم فتح الجزيرة ووفاة عياض بن غنم (٢)، ازداد المرض على يزيد، وإذ رأى هذه الحال كتب إلى عمر أمير المؤمنين رسالة بهذا المضمون (٣).

بسم الله الرحمن الرحيم...

بعد تقديم حقوق أمير المؤمنين، ليعلم بأن يزيد بن أبي سفيان يكتب هذه الرسالة ولا يظن أنه سيكتب رسالة بعدها لأنه مريض جدا، جزاك الله عنا خيرا وجمعنا بك في جنات النعيم. وقد أشرفت على نهايتي فليعين أمير المؤمنين شخصا صالحا لقيادة الجيش وإدارة البلاد والسلام عليك. وهذا آخر سلام يرسله إليك يزيد من دار الدنيا.

ثم أرسل الرسالة مع شخص وأوصاه بأن يسعى جهده لكي يوصل هذه الرسالة

---

(١) وذلك سنة ٢٠ (فتوح البلدان ص ١٨٠ تاريخ خليفة ص ١٤٧)

(٢) كذا بالأصل، وقد مات يزيد بن أبي سفيان سنة ١٨ في طاعون عمواس (قاله خليفة تاريخ ص ١٣٨ والبداية والنهاية ٧ / ١٠٩ وزعم الوليد بن مسلم أنه توفي سنة ١٩ بعد ما فتح قيسارية. وعلى كل حال فيكون موته قبل موت عياض بن غنم وليس بعده).

(٣) نسخة الكتاب في الوثائق السياسية. وثيقة رقم ٣٥٧ / ك، ل ص ٤٩٣.

إلى أمير المؤمنين بأسرع وقت. وقد توفي يزيد قبل وصول الرسالة إلى أمير المؤمنين عمر. فطالع عمر الرسالة فاضطرب لها وسأل الرسول: هل تركته حيا حتى أرسل له الجواب. فقال الرسول: أطال الله عمرك يا أمير المؤمنين، لقد كان في حالة الاحتضار فقال عمر: عفى الله عن يزيد. لقد كان شخصا فاضلا ولم تكن له في الدنيا رغبة وقد جعل همه في تحصيل أمر الآخرة. وحينئذ استدعى أبا سفيان وأخبره بما جرى. فاغتم أبو سفيان وتأسف كثيرا، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم سأل أمير المؤمنين. ما رأيك بالشخص الذي سترسله إلى الشام، فقال عمر: سأرسل ولدك الآخر معاوية (١) فسر أبو سفيان بذلك ودعا لأمير المؤمنين وقال: لقد وصلت الرحم ثم عاد أبو سفيان إلى منزله وأخبر زوجته هند بوفاة يزيد. فصاحت ولطمت وجهها وبكت كثيرا وقالت: ليت معاوية وعتبة ماتا بدل يزيد فقال لها أبو سفيان: لا تجزعي وقولي: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد تلطف أمير المؤمنين وعين ابنك الآخر معاوية واليا على الشام فهدأت هند وقالت: لقد وصل أمير المؤمنين الرحم ولتكن إمارة الشام مباركة على معاوية، ثم كتب أمير المؤمنين رسالة إلى معاوية بهذا المضمون.

بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبد الله عمر أمير المؤمنين. أما بعد:

اعلم يا معاوية بأن الله تعالى قد أعز الاسلام وأذل المشركين وصدق وعده.

وأخبر أمة نبيه بفتح بلاد الشام وغيرها وبشرنا بتملك خزائنهم وأموالهم وقد حصل ذلك فعلا. وخاصة مدينة قيسارية الشهيرة. بحصانتها كما أخضع لنا الروم وأما الان فيجب أن تتم الفتوح في عسقلان (٢) وغزة وتوابعهما لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا بأنه

ستكون في الشام فتوح وإني أبشرك بفتح هاتين البلدتين غزة وعسقلان، كما أن الرسول عليه السلام أخبر بأنه متى اشتعلت نار الفتنة في المشرق والمغرب وتعذرت الإقامة فعليكم بعسقلان وما فوقها. فإذا وقفت على رسالتي هذه، انطلق إلى

---

(١) وكان يزيد بن أبي سفيان قد استخلف أخاه معاوية مكانه - وقد أشار إلى ذلك في رسالته إلى عمر بن الخطاب - فأقر عمر ذلك.

(٢) عسقلان مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين.
غزة: مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان.

عسقلان بدون توقف واجتهد في فتح تلك المواضع لعل الله تعالى بيسير فتح تلك المناطق على يدك. ومتى وصلت إلى ذلك الموضع يجب أن تخبرني بما يجد من أحوال وأمور يوميا والسلام.

ذهاب معاوية بن أبي سفيان إلى نواحي عسقلان.

وحين وصل خطاب أمير المؤمنين عمر إلى معاوية، انطلق بمن معه من الجنود نحو عسقلان وحين وصل إليها، لم يحاربهم إلا ثلاثة أيام ثم استولى على المكان ودخل المسلمون البلد (١). ثم أرسل رسالة إلى أمير المؤمنين عمر يخبره بفتح عسقلان، فسر أمير المؤمنين بذلك وشكر الله تعالى على تيسير ذلك الامر وقال: لو لم يتم هذا الفتح فإن بقية الثغور ستكون معرضة للخطر وتصبح مدينة عسقلان سببا في تضييق المقام على المسلمين ولقد أخبرني بهذا الامر بسبب بركته ونجابته ولو قيض لي أن أقيم بالشام لما اخترت سوى مدينة عسقلان لان لكل شيء سرة وسرة الشام عسقلان.

ثم استدعى معاوية بن أبي سفيان سفيان بن حبيب الأزدي وسلمه جيشا وأمره بالذهاب إلى طرابلس. فأطاع سفيان الأمير وذهب حيث أمره ونزل في مرج يبعد عنها خمسة فراسخ وهيأ نفسه للقتال ثم اتجه نحو قلعة طرابلس وشرع بالقتال. وحين مغيب الشمس كان يتراجع عن القلعة مسافة معينة خشية من إغارة أهل طرابلس ليلا. وهكذا طال أمد الحرب مع أهل طرابلس، وخشي من جانب البحر أن تصلهم امدادات من جهة البحر فيصبح موقفهم حرجا. فكتب إلى معاوية يخبره بالحالة العامة فأجابه معاوية: بأن يبني قلعة تبعد مسافة فرسخين اثنين على طرابلس ويكون فيها متسع لايواء جميع عساكر المسلمين وحمايتهم من أية غارة محتملة.

ففعل سفيان ما أشار به عليه معاوية وبنى قلعة حصينة وجعلها مقرا له. وحين رأى أهل طرابلس القلعة الحصينة التي أقامها سفيان انزعجوا لذلك وتخلوا عن الجزائر التي كانوا يقيمون بها، ويحصلون منها على أنواع الغلات والفاكهة واجتمعوا داخل قلعة حصينة وكتبوا إلى هرقل رسالة يخبرونه فيها بحالهم وحال المسلمين

---

(١) في فتوح البلدان ص ١٤٨ فتح (معاوية) صلحا بعد كيد. قال: ويقال: إن عمرو بن العاص كان فتحها ثم نقض أهلها فأمدهم الروم ففتحها معاوية.

ويطلبون منه امدادهم.
وبعد وصول رسالتهم إلى هرقل أمر جماعة من العسكر بالركوب في الزوارق لامدادهم وحين وصول الامدادات قر رأيهم على الفرار إلى القسطنطينية فأخرجوا أمتعتهم ليلا وأحرقوا كل ما ليس لهم به حاجة ثم ركبوا السفن. وفروا إلى هرقل وفي اليوم الثاني خرج سفيان من حصنه إلى طرابلس فلم ير أحدا ورأى أن القلعة خالية تماما فدخلها المسلمون فلم يجدوا بها مخلوقا سوى رجل من اليهود كان مختبئا في أحد السراديب فاستخرجوه وسألوه عن الحال فأخبرهم بما جرى على وجهه.
فكتب سفيان إلى معاوية يخبره بما جرى، فعجب معاوية لذلك وأرسل إلى طرابلس جماعة من يهود الأردن ليسكنوا في قلعة طرابلس ويعمروها ثم سار معاوية على طريق الساحل وأخذ يستولي على الأماكن والمدن التي يمر بها ويرفع راية الاسلام فوقها. ومن بينها مدن عكار وصور ويافا وغيرها وقد كتب إلى أمير المؤمنين عمر بما فتح الله على يده كما أخبره بقرب جزيرة قبرص من سواحل الشام وأنها جزيرة
خصبة وفيها كثير من الخيرات والثمار وأن الاستيلاء عليها ليس بالامر الصعب ويطلب الإذن بالذهاب إليها [و] فتحها (١).
ولما وصلت رسالة معاوية إلى أمير المؤمنين وعلم بمضمونها وكان يكره ركوب البحر فتأنى في الجواب وبعث رسالة إلى عمرو بن العاص يشاوره في ركوب البحر وفتح جزيرة قبرص وأن رأيه لا يؤيد ركوب المسلمين البحر كما يكره مثل هذا الامر الخطير. أستحلفك بالله أن لا تخفي عني شيئا حول هذا الموضع وكل ما تعرفه عن أحوال البحر وأخطاره فاكتب لي ذلك بكل صراحة (٢) فأجابه عمرو بن العاص (٣) بأن
رسالة أمير المؤمنين قد وصلت وفهمت مضمونها حول ركوب البحر والذهاب لفتح جزيرة قبرص وكراهية أمير المؤمنين لذلك وأرجو من الله أن يلهم أمير المؤمنين الصواب في جميع أحواله. إن البحر أمره عظيم وخطره شديد والناس في البحر

---

(١) في الطبري ٥ / ٥١ وابن الأثير ٢ / ٢٣٩ كتب معاوية إلى عمر كتابا في غزو البحر يرغبه فيه ويقول: يا
أمير المؤمنين إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم.
(٢) انظر الطبري ٥ / ٥١ - ٥٢ وابن الأثير ٢ / ٢٣٩.
(٣) كتاب عمرو بن العاص في الطبري ٥ / ٥٢ وابن الأثير ٢ / ٢٣٩ والوثائق السياسية وثيقة رقم ٣٦٤ / ألف. ب.

كدودة تعلقت بخشبة فما دامت فوقها فهي في خوف شديد وإن هي تحركت غرقت، ولو أن أمير المؤمنين يرى تلاطم أمواج البحر وأنواع الأهوال التي يمكن أن توجد فيه فسيزداد برأيه تمسكا ولن يسمح لاحد من المسلمين بالمخاطرة بذلك. وهذا هو مقدار معرفتي بأحوال البحر. كتبتها إليك والسلام.

فحين وصل هذا الجواب إلى عمر وعلم بمضمونه، سر بموافقة عمرو له في رأيه بأن لا يخوضوا البحر وأعاد الجواب إلى معاوية على هذا الشكل. أما بعد (١). فاعلم يا معاوية بأن الله تعالى قد جعلني راعيا لامة محمد صلى الله عليه وسلم، وإني أستعين بالله

على قيام مصالحهم ولا أرى أن أعرضهم لخطر البحر ومع هذا فقد استخرت وتشاورت مع جماعة ممن عاينوا أخطار البحر ولهم في ذلك سابقة فلم يروا المصلحة بذلك ووافقوني على كراهيتي لركوب المسلمين البحر فدع منك هذه الفكرة ولا تذكرها مرة أخرى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وإذ وصل جواب أمير المؤمنين عمر إلى معاوية، أيقن بأن عمرو بن العاص هو الذي أشار على عمر بذلك فقال: إن عمروا لم يرد أن تفتح قبرص على يدي ولو أن أمير المؤمنين أجاز له مثل هذا العمل لأسرع إلى ركوب البحر وانطلق مستعجلا وقد بلغ هذا الكلام لأمير المؤمنين فقال: صدق معاوية فلو أننا أجزنا لعمرو بن العاص ذلك لسار بدون تأخر، وتوقف المشروع إلى أيام عثمان حيث تم فتح قبرص على يد جيش المسلمين كما سنبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى (٢). واستقر معاوية في الشام وخضعت له جميع أطرافها وسواحل البحر وكان يجبي الخراج وقد سكن المسلمون هناك، وأقاموا المساجد وتوطنوها حتى صارت الشام بلادا إسلامية. أما عمرو بن العاص فقد أتم فتح مصر (٣) واستقر في الإسكندرية وأمره بعد ذلك أمير المؤمنين عمر بأنه يتوجه إلى بلاده النوبة وأمره بفتحها كما وجهه إلى بلاد البربر وبرقة وطرابلس الغرب (٤) وما وراءها حتى طنجة وأقصى بلاد السوس. فأمر عمرو بن العاص أن يوزع على الجنود خراج مدينة الإسكندرية ومقدارها عشرة آلاف دينار. ثم اتجه إلى بلاد النوبة.

---

(١) قارن مع الطبري ٥ / ٥٢ وابن الأثير ٢ / ٢٣٩.
(٢) وذلك في سنة ٢٨ (الطبري ٢ / ٥١ - ٥٢ وفتوح البلدان ص ١٥٧ ويقال سنة ٢٩).
(٣) وذلك سنة ٢٠، وقيل سنة ١٦ (الطبري - ابن الأثير - فتوح البلدان).
(٤) انظر في ذلك فتوح البلدان ص ٢٢١ وما بعدها.

ذكر توجه عمرو بن العاص نحو النوبة وفتحها.
ثم نادى عمرو بالرحيل نحو بلاد النوبة وكان معه عشرون ألف رجل، وحين وصل الجيش إلى أرض النوبة، ذهبت فرق من الجيش للإغارة على تلك النواحي (١) وحين رأى رجال النوبة أن الجيش أخذ يغير على أموالهم فجمعوا مئة ألف رجل، وعزموا على الحرب على المسلمين وكانت حربا من نوع لم يشهد المسلمون مثله من قبل، فقد تناثرت الرؤوس والأيدي واقتلعت العيون بلا حساب. وقد قال أحد وجهاء المسلمين: إنني لم أر قوما يجيدون الرماية بالسهام (٢) مثلهم فقد كان يقف بعض أهالي النوبة في مواجهة المسلمين ويقول: في أي جهة تريدون أن أرميه فيقول له رفاقه: الجهة الفلانية. وفورا يرمي الجهة المحددة ويصيبها بدون خطأ وينقل عن الواقدي رحمه الله عن أحد شيوخ حمير، ممن اشتركوا في تلك الحرب فقال: كنا واقفين في أحد الميادين صفا بإزاء أهل النوبة وفي خلال ساعة واحدة قلعت مئة وخمسون عينا رماها النوبيون بالسهام ولقد حاربناهم حتى نصرنا الله عليهم. فقتلنا منهم خلقا كثيرا ومن نجا من السيف فر] (٣) إلى البراري والجبال. فلم يتبعهم عمرو بن العاص ولا قدر منهم على أسير وأحد، ولا على دينار ولا درهم (٤). قال: ثم سار عمرو بن العاص بالمسلمين يريد البربر.

---

(١) على غرار صوائف الروم قاله في فتوح البلدان ص ٢٣٨.
(٢) سموا برماة الحدق فتوح البلدان.
(٣) إلى هنا ينتهي النص المأخوذة عن الترجمة الفارسية.
(٤) في فتوح البلدان: فلم يصالحهم عمرو ولم يزل يكالبهم حتى نزع. وولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح فصالحهم (ص ٢٣٩).